العـــدد ٨٩- رجـب ١٤٠٣هـ - مايـــو ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- **بيت المقدس.. قضية دينية قبل أن يكون قضية قومية**
  محمد الغزالي
- **نحو فهم عربي للقوة الصفراء**
  د. محمد جابر الأنصاري
- **مع الروائي الذي تسلق جبال الألب!**
  د. عيسى الناعوري



أبطال الحكايات الشعبية بدون جواز سفر!



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٩ - رجب ١٤٠٣هـ - مايو ١٩٨٣م

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- السودان
  مؤسسة دار التوزيع
  ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم
- مصر
  مؤسسة توزيع الاهرام
  شارع الجلاء - القاهرة
- سوريا
  المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
  براممكة - تجاه ثانوية فايز منصور
  ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق
- العراق
  الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
  شارع الرشيد - ساحة الوثبة
  ص . ب ٦٢٤ - بغداد
- ليبيا
  المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
  فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
  فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى
- الاردن
  وكالة التوزيع الاردنية
  ص . ب ٣٧٥ - عمان
- البحرين
  دار الغد
  ١ شارع المعارف - بنادية الدرازى
  ص . ب ٥٠٥ - المنامة
- سلطنة عمان
  المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
  ص ب ١٠١١ - مطرح
  مسقط
- تونس
  الشركة التونسية للتوزيع
  ٥ شارع قرطاج
  ص . ب ٤٤٠ - تونس
- السعودية
  مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان
  ص ب ١٤٠٥ - الرياض
  مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة
- الكويت
  شركة دار الكويت للصحافة
  ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
  الكويت
- لبنان
  الشركة العربية للتوزيع
  ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت
- الجمهورية العربية اليمنية
  الوكالة اليمنية للتوزيع
  ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء
- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
  مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
  ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
  عدن
- الامارات العربية المتحدة
  مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
  شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
  ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى
- المغرب
  الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
  ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

- الجزائر
  الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
  ٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم : ما يعادل دولارين امريكيين

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

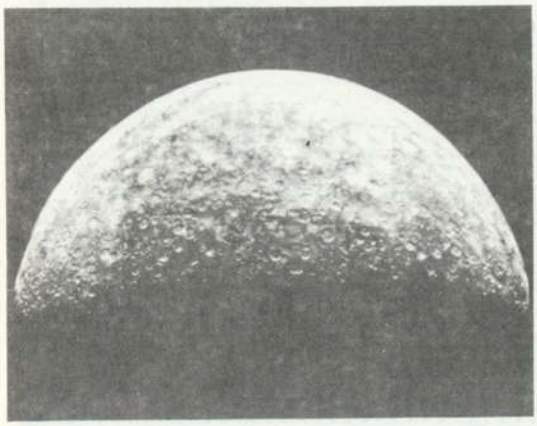
في هـــــذا العـــــدد



وكالة الأنباء القطرية
كيف تتصدى للاعلام الغربي ؟ ص ١٠٠



محمود درويش
في بلاد الانجليز ! ص ٣٣



أطلس جديد
للمجموعة الشمسية ص ٥٢

● دراسات ومقالات ●

● بيت المقدس : قضية دينية قبل ان تكون قضية قومية
محمد الغزالي ٦
● نحو فهم عربي للقوة الصفراء .....
تقديم وترجمة د . محمد جابر الأنصاري ٩
● الحضارة العربية : كيف قامت على ركائز انسانية ؟
د . السيد محمد بدوي ١٤
● أولوية تشغيل العمال العرب في العالم العربي .....
د . محمد شتا أبو سعد ٢٤
● من هم المستفيدون من التشكيك في القران والسنة ؟!
عبد القادر بن محمد العماري ٢٦
● خواطر تسر الخاطر .....
زكريا تامر ٣٢
● حفني ناصف : القاضي العادل الذي لم ينصفه الناس
نعمان عاشور ٣٥
● موشي أرينس : وزير الحرب الاسرائيلي الجديد .. صقر أم حمامة ؟ ..... عصام شريح ٣٨
● محمد علال الفاسي : المفكر الذي نادى باطلاق حرية التفكير ..... صديق عكاشة ٤٢
● عبادة بن الناطق ..... محمود السعدني ٤٤
● من تاريخ سيناء : ضابط المخابرات البريطاني .. لماذا أجاد لهجات القبائل .. درويش مصطفى الفار ٤٨
● أطلس جديد للمجموعة الشمسية .....
مجدي نصيف ٥٢
● من أسرار تنوع الكائنات : ظهور الطفرة .. دليل تغير الشفرة ..... د . عبد المحسن صالح ٦٠
● النباتات الطبية وأثرها في علاج أمراض الانسان
د . عز الدين فراج ٦٨
● أبطال الحكايات الشعبية بدون جواز سفر ! .....
صفوت كمال ٧٠
● طبرية : التاريخ والمأساة .....
نبيل خالد الآغا ٧٤
● احمد صبري : فنان متمرد من عصر البشمك والطربوش
حسين بيكار ٧٦
● مائة عام من العزلة او يزيد .....
حمدي الكحلوت ٨٥
● الكمبيوتر يتكلم العربية : أول دراسة علمية للغة العربية بواسطة الحاسب الالكتروني .....
ليلى الحريري ٨٦
● ذكريات : مع الروائي الذي تسلق جبال الالب .....
د . عيسى الناعوري ١١٠
● النمر .. اقوى واجمل القطط المفترسة .....
محمد أدهم أديب ١١٢
● الثقافة العربية في افريقيا لماذا تجاهلها ؟ .....
عبد القادر سيلا ١١٦
● كتاب مجمع الأحياء للعقاد .....
فاضل خلف ١١٨
● الأخطبوط : هل الانسان اقل ذكاء بحيث لا يفهمه ؟
حسام جميل المدانات ١٢٦

● شؤون الخليج ●

● ٧٠ باحثا ومفكرا يناقشون قضايا العمالة والتخطيط في أقطار الخليج العربي .....
د . أحمد محمد حسين نعمه ٢٠
● أوراق من البحر : باع السفينة حتى يشيع الدفء في القلوب ! .....
عبد الرحمن المناعي ٥٠

● محمد موسى السليم : فنان سعودي لم تقتلعه فنون الغرب من جذوره ! ..... يوسف أحمد ٥٨

● ها الشكل يا زعفران : بين الحكاية الشعبية والرمز د . محمد عبد الرحيم كافود ٨٢

● يوم المسرح العالمي على مسرح قطر الوطني ..... بشرى ناصر ٩٨

● وكالة الأنباء القطرية : كيف تتصدى للاعلام الغربي من أجل قضايانا العربية ؟ ..... مريم آل سعد ١٠٠

● نهاية العصر الذهبي وتجارة اللؤلؤ ..... أحمد العناني ١٠٤

● أدب وفنون ●

● دعوة « قصيدة » ..... العوضي الوكيل ٩١

● « زمار هاملين » بين الحقيقة والخيال ..... عادل شريف ٩٢

● اضواء ٩٦

● لعبة المطارة « قصيدة » ..... وفاء وجدي ٩٩

● رماد الياسمين « قصيدة » ..... فتحي سعيد ١١٥

● الجنازة « قصة » ..... وداد عبد اللطيف نقد وتعقيب د . محمد عبد الرحيم كافود ١٢٣

● فيلم الجوائز والمهرجانات « سواق الاتوبيس » ..... رءوف توفيق ١٣٢

● أبواب ●

● دائرة المعارف القرانية : البعث يوم القيامة ..... د . محمد البهي ٤٧

● من روائع الفن العالمي : الاستاذية وإنكار الذات في عالم الابداع ..... جمال قطب ٦٦

● لقطات من الكون المثير ١٠٨

● قف : هل تعلم ؟ ..... عبد العزيز السيد المصري ١٢٩

● العلم هو المستقبل ..... تقديم : لبنى الريدي ١٣٠

● ضحكات الشهر ..... صلاح الليثي ١٣٨

● دوحة القراء ١٤٠

● مسابقة الدوحة ١٤٢

● استراحة الدوحة ..... رؤوف ١٤٤

● النورس والعصفور ..... اسماعيل تامر ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

نائب رئيس التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

هل يكفى ـ عقاباً لبنى اسرائيل ـ أن يطردوا من فلسطين ؟ لا . إن الله عزلهم نهائياً عن القيادة الدينية التى كانت لهم . وحرمهم من الوحى وشرف إبلاغه.واصطفى الأمة العربية لتقوم بهذه الأمانة .
وكانت ليلة الاسراء والمعراج التصديق الحاسم لهذا التحول . فقد انتقلت الرسالة من بنى اسرائيل إلى بنى اسماعيل . وأصبحت الأمة العربية ـ لا العبرية ـ هى الوارثة لهدايات السماء .

من وحي الإسراء والمعراج

بيت المقدس قضية دينية

قبل أن يكون قضية قومية

بقلم: محمد الغزالي

ليس من قبيل المصادفات العارضة أن تروى آية فذة قصة الاسراء ، ثم ينتقل السياق بغتة إلى تاريخ بنى اسرائيل . وليس من قبيل المصادفات العارضة أن تسمى سورة الاسراء فى بعض المصاحف سورة « بنى اسرائيل » .. !

بل أقول : إنه ليس من المصادفات العارضة أن يدخل صلاح الدين « بيت المقدس » ويسترده من الصليبيين فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ بعد أن لبث فى أيديهم قرابة قرن ! كان الأقدار جعلت عودة المسجد الأقصى إلى المسلمين فى ذكرى احتفالهم بالاسراء إشارة إلى أن المسجد الذى ورثه الاسلام يجب أن يبقى له ، وأن العلاقة بين أولى القبلتين وأخراها لا تنفصم ، وانه لا الصليبية قديماً ولا الصهيونية حديثاً ستغيران سنن الله فى مصاير الأمم ، وإن نجحت كلتاهما إلى حين فى إلحاق هزيمة بالمسلمين ... !

ونعود إلى ما بدأنا به كلامنا ..

قال الله تعالى : « سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذى بَارَكْنَا حَوْلَه لِنُرِيَه من ايَاتِنَا ، إنه هو السَّمِيعُ البَصِير » .

وعقب هذه الآية مباشرة نقرأ قوله تعالى « وآتينا موسَى الكتابَ وجعلْنَاه هُدًى لبنى اسرائيل ألاَّ تتخِذُوا من دونى وَكيلاً » !

ما العلاقة بين الاسراء ، وإنزال التوراة وتاريخ اليهود ، ثم حكاية مفاسدهم ، والتعليق عليها ، وتبصير المسلمين بعواقبها ؟ ؟

إن الاسراء كان من مكة إلى القدس . ولليهود فى هذه البقاع تاريخ !

صحيح أنه لم يكن لهم وجود فى فلسطين يوم وقع الاسراء ، بل كان وجودهم فى فلسطين محظوراً . لكن وجودهم السابق لا ريب فيه .

وانتهاء هذا الوجود ثم حظره يحتاج إلى تفسير ، وهو ما أشارت إليه الآية وما بعدها فى صدر سورة الاسراء ، وهو ما نريد الآن متابعته من الناحية التاريخية . !

تجريح .. وإهانة !

كان الكنعانيون يسكنون فلسطين قديماً وهم سلالات عربية كاخوانهم العدنانيين والقحطانيين . ويظهر أنهم تجبروا ، وأثاروا الرعب حيث يعيشون ، وأراد الله تأديبهم على مفاسدهم ، فسلط عليهم بنى اسرائيل . وقد وجل الاسرائيليون أيام موسى من التعرض للكنعانيين ، وغلبهم الجبن ، ورفضوا الزحف إلى فلسطين قائلين لموسى : « إن فيها قَوماً جَبَّارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها .. » فلما ألح عليهم قالوا مرة أخرى « لن ندخلها أبداً ما داموا فيها .. » !

وعوقب الاسرائيليون على جبنهم بالتيه فى سيناء أربعين سنة مات خلالها موسى ، ثم خلفه يوشع الذى قاد بنى اسرائيل إلى فلسطين منتصراً على الكنعانيين ، وبانياً حكماً دينياً باسم التوراة بعد هزيمة العرب .. !

بيد أن اليهود لم يلبثوا طويلا حتى نجمت بينهم علل خلقية واجتماعية بالغة السوء ، زادوا بها شراً على من كان قبلهم ! وقد حكوا عن أنفسهم ، وحكى القرآن عنهم ما يستحق التأمل ، فقد اقترفوا رذائل جعلت القدر يحكم بطردهم من فلسطين شر طردة ، وبدا أن السلطة فى يدهم تعين على الافتراء والاعتداء إلى حد بعيد ، فليسوا لها بأهل .. ! ينبغى تجريدهم منها .. !

وكانت فلسطين ـ حتى بعد قدوم اليهود ـ مليئة بأجناس أخرى ، وكان المسلك المستحب لبنى اسرائيل تحقير هذه الأجناس والنيل منها بأسلوب غريب ! فقد زعموا أن « البنعميين » من أصل لا يمكن أبداً أن يرتفع ، كيف ؟ قالوا : إنهم سلالة « لوط » لما سكر وزنى بابنته !!! وكتبوا ذلك فى سفر التكوين !!

والقصة يقيناً مكذوبة ، فأنبياء الله لا يسكرون ولا يزنون !!

ثم جاءوا إلى الكنعانيين العرب ووصفوهم بأنهم كلاب ! ، وقد امتد هذا الوصف حتى ذكر فى العهد الجديد ! فقد لقيت امرأة كنعانية عيسى وهو يدعو فى بيت المقدس ، وصاحت به : يا سيد يا ابن داود ، بنتى مريضة جداً .

وطلبت منه شفاءها !

فقال لها : اذهبى يا امرأة فان طعام البنين لا يرمى للكلاب . « يعنى بالبنين : بنى اسرائيل ، وبالكلاب : الكنعانيين » .

فقالت المحزونة : والكلاب أيضاً تأكل تحت أقدام السادة ! . فشفى لها ابنتها بعد هذه الضراعة الذليلة !

ونحن نجزم بأن الانسان الرقيق الرحيم عيسى بن مريم يستحيل أن يسلك هذا المسلك ، أو يرسل هذه الشتائم ! لكنهم اليهود الذين تخصصوا فى تجريح الأنبياء وإهانة الشعوب ! ومن ثم نفهم قول القرآن فيهم « .. أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين » .

وكانت ليلة الاسراء

أيكفى فى معاقبة بنى اسرائيل أن يطردوا من فلسطين ؟

لا . إن الله عزلهم نهائياً عن القيادة الدينية التى كانت لهم ، وحرمهم من الوحى وشرف إبلاغه ، واصطفى الأمة العربية لتقوم بهذه الأمانة ، وكانت ليلة الاسراء والمعراج التصديق الحاسم لهذا التحول . فقد انتقلت الرسالة من بنى اسرائيل إلى بنى اسماعيل ، وأصبحت الأمة العربية لا العبرية هى الوارثة لهدايات السماء .. !

ونهض الاسلام بالعرب نهضة رائعة ، وجعل منهم حملة حضارة زاهية ، وفوجىء العالم بالأمة التى لم تعرف إلا رعى الغنم ونقل السلع ، تتلو من كتابها أصح العقائد وأحكم الشرائع وأشرف التقاليد .

كان دريد بن الصمة يصف نفسه وقومه وعلاقة العرب بعضهم ببعض فيقول :

يُغار علينا وَاترين فَيُشْتَفَى
بنا ، إن أصبنا ، أو نُغير على وِتر !

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضى إلا ونحن على شَطر !

وها هم العرب بالاسلام يعلّمون الناس السماحة والأخوة والتعاون على البر والتقوى حتى قال « غوستاف لوبون » : إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب .. !

وكان دخول المسلمين بيت المقدس أيام عمر بن الخطاب آية من آيات التواضع لله والبر بالناس .

ثم كان دخولهم بيت المقدس أيام صلاح الدين آية من آيات السماحة والعفو والمرحمة ..

أما الأمة العبرية فقد خطّت لنفسها طريقاً آخر ، لقد هبت على اليهود عاصفة غضب بعثرتهم فى أرجاء الأرض ، فتوزعتهم المدائن والقرى فى المشارق والمغارب ، بيد أنهم حيث ذهبوا كان لهم فكر واحد ونهج ملحوظ ، يزعمون أنهم شعب الله المختار ، ومع هذا الزعم فانهم نسبوا إلى الله مالا يليق بجلاله ، ونسبوا إلى رسله مالا يليق بشرفهم ، واستباحوا لأنفسهم الربا وأكل مال الناس بالباطل .

وتقوقعوا فى حاراتهم يحلمون بالعودة إلى الأرض التى طردوا منها بسوء خلقهم مع الله والناس .

والغريب أنهم جعلوا آمالهم هذه وحياً يتلى ، وأودعوها صحائف كتبهم وكأن الله هو الذى أنزلها عليهم . ! ! وقد تضايق النصارى من مزاعمهم وأعمالهم لاسيما أنهم هم الذين سعوا فى قتل عيسى !

وإذا كنا على عكس النصارى نعتقد أن عيسى نجا من مؤامرتهم فالقوم على أية حال قتلة بضمائرهم . ومن ثم شرع النصارى حكماً وشعوباً فى اضطهادهم وإرخاص دمائهم .

وعرضت لهم مآس فى أنحاء أوربا كادت تنتهى بإبادتهم حتى قال نفر من المؤرخين : لولا ظهور الاسلام لفنى اليهود ! إنهم وجدوا فى أرضه الفسيحة وسماحته الممتدة ما أبقى حياتهم ! !

ومن المؤرخين من يرى اليهود مسئولين عما نزل بهم من آلام ، فأثرتهم الشديدة ، وشرههم فى حب المال ، وقلة اكتراثهم

بيت المقدس قضية دينية

قبل أن يكون قضية قومية

بقضايا الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها كل ذلك جعل القلوب تنطوى على بغضهم . وقد كان « هتلر » الحلقة الاخيرة فى سلسلة طويلة من الحكام الذين اذلوهم فى طول أوربا وعرضها ..

ومرت السنون ثقيلة طويلة ، وظهرت الخلائق المستورة ، أو نبتت ونضجت البذور الكامنة !

كان المسلمون يغطون فى نوم عميق ، وكانت الدنيا من حولهم تتحرك بحقد مشبوب وتطالب بثارات قديمة .

كان يحلو للمسلمين ان يتحدثوا عن الرحلة الجوية بين المسجد الحرام والمسجد الاقصى ، او عن الرحلة الفلكية بين المسجد الاقصى وسدرة المنتهى ! ولا بأس أن يقولوا شعرا ونثرا . ! أما الدرس الواعى للأمم التى توارثت فلسطين ، وأسرار ازدهارها واندثارها فقلما يفكرون فى ذلك . وربما لا يخطر لهم ببال ان هذه الأمم تفكر فى العودة ، وتحسن استغلال الفرص ..

فلما جاء العصر الحديث انكشف الغطاء عن مفارقات مذهلة . انكشف عن تعصب يهودى شديد النبض ، وعن تأييد حار له من رجال الكنيسة وأغلب الساسة .. اما العرب فقد قيل لهم : احلموا بانسانية عامة متجردة عن الهوى ، تؤازركم فى المحافل الدولية ، وتعدل بينكم وبين خصومكم .. ! !

واستكان النُوَّام للأحلام فما صحوا إلا على المذابح تحصدهم رجالا ونساء ، والتسميم يجتاح الطلاب والطالبات ، والغيوم تسد الآفاق كلها أمام مستقبل معقول ..

ما الذى حدث ؟

ندع الجواب لغيرنا !

ندعه لخصومنا ونتدبر ما يقولون .

كتب « حاييم وايزمان » فى مذكراته يقول لقومه : « تحسبون أن لورد « بالفور » كان يحابينا عندما منحنا الوعد بانشاء وطن قومى لنا فى فلسطين ؟ كلا ، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم » !!

.. وندع « وايزمان » و « بالفور » ، ونتدبر تصريحات مستر « كارتر » ومن بعده !

إنهم جميعاً يتحدثون مع « بيجن » عن ارض الميعاد ، وعن نبوءات التوراة والحدود التى رسمتها .. !

إن المشاعر الدينية الغائرة فى العقل الباطن والظاهر هى التى جعلت جنرال « جيرو » يقول فى دمشق أمام قبر صلاح الدين : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين !

وهى نفسها التى جعلت مارشال « اللنبى » يدخل القدس فى الحرب العالمية الأولى ويقول : الآن انتهت الحروب الصليبية !

يظهر أن العالم كله شديد الاحساس بعقائده وآماله الدينية إلا قومنا وحدهم ، فانهم يتذاكرون بينهم أن الدين رجعية ! !

قضية دينية

إن قضية بيت المقدس وفلسطين منذ فجر التاريخ إلى قيام الساعة قضية دينية عند أصحاب الرسالات السماوية جميعاً ، فكيف يتجرأ البعض على جعلها قضية قومية أو اقتصادية ؟

المسلمون يرون المسجد الأقصى يذكر فى سياق واحد مع المسجد الحرام والمسجد النبوى ، ويرون الدفاع عنه جزءاً من الايمان ، ويعترضون باسم الله ورسوله جهود اليهود لهدمه وإقامة الهيكل فوقه ! ويعدون هذه الجهود جريمة ضد الاسلام والألف مليون مسلم الذين يعتنقونه ! فكيف يُتجاهل هذا ؟

والنصارى يرون بيت المقدس قبلتهم ، وبه قبر المسيح ، وقد جعلوا مفاتيح كنيسة القيامة بأيدى المسلمين لأنهم أمناء عليها ، وحماة لها ، ولرفع التنازع الطائفى بينهم على حيازتها !

واليهود يرون أن هذه الأرض منحها الله ابراهيم الخليل وذريته من بعده وزعموا أنهم هم الذرية المعينة (!) وأن طردهم منها لعصيانهم وقتلهم الأنبياء لا يمنع من العودة إليها وطرد العرب منها ! !

فاذا كان الدين وراء كل دعوى ، فكيف جاء من أسموا أنفسهم العروبيين ، وجردوا العرب من ولائهم الاسلامى ، وأغروهم بجعل القضية صراعاً جنسياً أو نزاعاً « أمبريالياً » وغير ذلك من الأوصاف المكذوبة ؟

وعندما يفقد صاحب البيت عاطفته الدينية ويهجم اللص بهذه العاطفة المهتاجة فماذا تكون النتيجة ؟

ان اليهود اغتصبوا نصف مسجد الخليل ، ويتآمرون على اغتصاب بقيته ، والأخبار تترى – وأنا أكتب هذه السطور – أن مساجد شتى فى يافا وعكا نسفت ، وأن ترويع الطلاب العرب فى مدارسهم بمحاولات التسميم مستمر حتى يترك العرب الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، أو كما يعبر اليهود « يهوذا أو السامرة » إحياء لعناوين التوراة .. !

اننى أتساءل : ماذا وراء تجريد فلسطين من صبغتها الاسلامية إلا الضياع ؟

نحن نحتفى بالبقعة التى انتهى إليها الاسراء ، وبدأ منها المعراج ، ونريد أن يسأل العرب أنفسهم : لماذا لم يكن المعراج من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟ إن الاجابة تعرف من الآيات التى أعقبت قصة الاسراء فى سورتها المباركة ، كما تعرف من دراسة التاريخ القديم والوسيط والحديث !

فى هذه الأرض قامت رسالات وانتهت ، وفيها نهضت دول وتلاشت ..

ثم ورث المسلمون بيت المقدس باسم الله .

ولو انك قرأت أحوال أمتنا أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين لظننت انك تقرأ أحوال المسلمين فى هذه الأيام العجاف !

إن الصليبيين القدامى تقدموا فى فراغ !

كانت الفرقة بين العرب والمنافسة على السلطة هى الأسلحة التى هَزَمَتْنَا بها أعداؤنا ، ولو اشتبك المسلمون مع الهاجمين فى اية معركة جادة ما سقطت فلسطين .

وكان التاريخ يعيد نفسه ، إن الصهيونيين تقدموا فى الفراغ نفسه !

أعانتهم الفرقة ، والشهوات المطاعة ، والعقائد المنحلة ، والأنانية الطاغية ، فكسبوا معركتهم بأيدينا ..

أريد – ونحن نستقبل ذكرى الاسراء – أن نتجاوز الهامش إلى الصميم ..

ان نترك السرد السطحى للقصة ..

أن نعمق النظر فى الأسباب التى من أجلها كان الاسراء .. ولأجلها قامت للعرب دولة تحمل الرسالة الاسلامية ، وتضع الموازين القسط بين الناس .

محمد الغزالى

«هذا الحديث ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى المقارن . وعلينا أن نجريه بوعي كامل ، يتجنب أى نوع من الترويج للمصالح الاقتصادية والسياسية لليابان أو غيرها من بلدان الشرق الأقصى . كما يتجنب محاذير الهجرة الآسيوية لمجتمعاتنا العربية من ناحية أخرى ، ويدرك مختلف أبعادها ، ويضعها فى إطارها الصحيح» .

نحو فهم عربي للقوة الصفراء "٢"

تقديم وترجمة : الدكتور محمد جابر الأنصاري

سر البداية في الانطلاقة اليابانية

"رؤية فرنسية"

من واقع تميز الدراسات الفرنسية بشأن « الظاهرة اليابانية » عن غيرها من الدراسات الغربية والسوفياتية بميزات التفهم الأقرب الى الاعتدال ، والنظرة الحضارية الانسانية التى تستشف الروح اليابانية خلف قناع الأخطبوط التكنولوجى الذى ألصقه الغرب بالوجه الياباني ـ وذلك ما أشرنا إليه فى العدد الماضى من « الدوحة » ـ نقدم كنموذج لهذه الدراسات قسماً من الفصل التاريخي المكثف الذى قدم به الباحث الفرنسي فى شئون اليابان ، مسيو روبير غيلان لكتابه الشمولي حول أبعاد الظاهرة اليابانية ، الموسوم : « اليابان ، العملاق الثالث » . وهو كتاب ظهرت طبعته الجديدة المنقحة بباريس مؤخراً ، وكان قد طبع عدة مرات من قبل ، بتنقيحات تابعت النبض السريع للتطور الياباني . والكتاب يمثل صفوة البحوث الفرنسية فى موضوعه .

ويكفى ان نشير الى ان مؤلفه ، روبير غيلان ، كان فى اليابان يوم وقوع الهجوم اليابانى على قاعدة « بيرل هاربر » البحرية الأمريكية ، وظل بها طوال سنوات الحرب ، وكان فى الصين أثناء الغزو الياباني لها ، ثم عاد الى اليابان ليعمل كبير مراسلي صحيفة « اللوموند » المستقلة المشهورة ، فى الشرق الأقصى .

وهذا المقطع الذى نقدمه مترجماً عن الفرنسية « فى سبيل فهم عربى أفضل للتجربة اليابانية » ـ من وجهة الفكر المقارن ـ يخضع للمعايير والتحفظات التى طرحناها فى المقال السابق ، وهى تتلخص فى النقاط التالية ، نوردها ايجازاً ، للتذكير بما أوردناه مفصلا فى المقالة الأولى من هذه السلسلة :

١ ـ اليابان بلد شرقي ، مثلنا ، حقق تقدماً حضارياً جوهرياً ، حسب أرفع المستويات العالمية ، وبقينا نحن العرب على ما نحن عليه .. فلماذا وصلوا ولم نصل ؟

٢ ـ اليابان ، بعكس الصين مثلا ، حققت تقدمها بالحفاظ على تراثها وتقاليدها وهذا نموذج شديد الجاذبية للعرب لأن همهم الأكبر تحقيق تقدمهم بالمحافظة على تراثهم .. « وليس كما فعلت الصين الشعبية ، مثلا ، التى خرجت على تراثها الكونفوشي فى سبيل اعتناق أيدولوجيتها المادية الجديدة » .

٣ ـ اليابان طليعة القوة الصفراء فى

سر البداية في الانطلاقة اليابانية

" رؤية فرنسية "

الشرق الأقصى ، المتجهة لقيادة الحضارة العالمية فى القرن الحادى والعشرين . ومن الضرورى انفتاح العرب على هذه القوة وخلق الصلات الايجابية معها للتعويض عما يعانونه فى هذا القرن من القوة البيضاء ، قوة الاستعمار والصهيونية والهيمنة الأمريكية ـ الروسية القائمة .

٤ ـ منطقة الخليج والجزيرة هى واجهة التفاعل الحضارى الجديد مع قوة الشرق الجديد ، كما كان البحر المتوسط واسطة التفاعل بين عرب المشرق واوربا . وسيحكم التاريخ لعرب الخليج أو عليهم بنوعية تفاعلهم مع هذه القوة .

ثم يبقى قبل الشروع فى قراءاتنا عن التجربة اليابانية ، التحفظ التالي : « إن هذا الحديث ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى المقارن ، وعلينا ان نجريه بوعي كامل يتجنب أي نوع من الترويج للمصالح الاقتصادية والسياسيه لليابان او غيرها من بلدان الشرق الأقصى .. كما يتجنب محاذير الهجرة الآسيوية لمجتمعاتنا العربية ، من ناحية أخرى ، ويدرك مختلف أبعادها ويضعها فى إطارها الصحيح .. » .

منطلقات النهضة الأولى

● من التجزئة الى الوحدة القومية :

« كان التحديث على الطريقة الغربية ، وبكل قوة ، الهم الأكبر لليابانيين ، وذلك للتخلص من عزلة دامت أكثر من مئتي سنة : حيث كان أي اتصال بالغربيين محظوراً ، وأية رحلة إلى الخارج جريمة عقوبتها الاعدام !

واذا كان اليابانيون قد تبنوا فجأة أساليب الغرب وأدواته ، فان ذلك لم يكن حباً فيه ، كما قد يعتقد خطأ ، وانما لتحقيق معرفة أفضل بكيفية مقاومته والوقوف فى وجهه . فلقد كان قادة اليابان الجدد ، مثل الامبراطور ميجي نفسه ، من القوميين الذين أرادوا تجنيب الأمة التصدع القادم مع المؤثرات الغربية ، فقرروا فتح الباب واسعاً للتمكن من تعلم دروس البيض واقتباس أسلحتهم ذاتها .

فلقد وصل « الخطر الأبيض » الى أوجه بتقطيع أوصال الصين واحتلال بكين من قبل الغربيين ، ونهب قصر الصيف الامبراطوري فيها .

وعلى امتداد الشرق الآسيوى ، كان الانجليز والفرنسيون والألمان والروس يضاعفون من حملاتهم واعتداءاتهم . وكانت « البوارج السوداء » تنفث دخانها وهى تطوف بالسواحل اليابانية ابتداء من سنة ١٨٤٦ . وفى عام ١٨٥٤ استطاع الكومودور الامريكى بيري انتزاع أول



غلاف كتاب « اليابان .. العملاق الثالث » الذى كتبه الباحث الفرنسي « روبير غيلان » حول ابعاد الظاهرة اليابانية



رئيس وزراء اليابان الجديد .. في البدء كانت الروح القومية ..

معاهدة من اليابان انتهكت سياج عزلتها . وقام أسطول انجلو ـ فرنسي بقصف مدينة كاجوشيما عام ١٨٦٣ انتقاما لقتل مفاوض بريطاني هناك . وقام الانجليز عام ١٨٦٦ بعرض قوة بحري أمام شواطىء هيوجو (مدينة كوبي الآن) لاجبار اليابانيين على منحهم معاهدة امتيازات تجارية .

حيال ذلك ، كانت اليابان بلا أسطول ، ولا جيش ، ولا صناعة ولا مال . ولم يكن في مقدورها المخاطرة بالدخول في حرب قد تجلب عليها ما جلبته على الصين من كوارث . لذلك فقد كان أول عمل قام به الامبراطور الجديد الميجي ، دعوة السفراء الأجانب إلى قصره واعتبارهم «ضيوفا أعزاء» على الرحب والسعة ، مع تعهده لهم بحماية الغربيين ضد أي اعتداء .

كان التغيير جذريا : فاليابان المتمسكة بعزلتها قد قررت الآن الانفتاح على المؤتمرات الأجنبية . ولم يكن ذلك غير مفارقة واحدة من المفارقات العديدة لنظام الاصلاح في عهد الميجي . فهذا الاصلاح بدأه سادة اقطاعيون بانهاء نظامهم الاقطاعي ذاته لاعطاء البلاد نظاما قويا واعادة وحدتها القومية . وقد كان هؤلاء أعمدة نظام ارستقراطي واستبدادي ولكن من أجل توحيد الشعب وخلق الدولة ، أقدموا الآن على إزالة كل الفـــوارق الاجتماعية التي كانت تقف عائقا أمام صعود المواطنين الأكفاء ، ولو كانوا من أدنى الطبقات .

وباختصار ، فمن أجل تحقيق أقصى قدر من المقاومة ، قررت اليابان أن تطبق أسلوب التغيير الكلي الشامل . ولم تكن تلك المرة الأولى في تاريخها التي تقدم فيها على هذا القرار . وكما نعلم اليوم ، فلن تكون الأخيرة .

● مقارنة مع الصين :

هذا بينما أصرت الامبراطورة المســـنة تسوهي ، التي كانت وصية على العرش في بكين ، على رفض التحديث بعناد حتى انهارت المملكة الصينية ، وصممت على مجابهة القوى الكبرى حتى اجتياح العاصمة بكين عام ١٩٠٢ . في ذلك الوقت كان الامبراطور الياباني ميجي يسرع الخطو نحو التحديث دون تردد .

في ٦ نيسان (ابريل) ١٨٦٨ أعلن الامبراطور في خطاب العرش :

« سندعو لعقد المجالس التمثيلية (التي تمثل الشعب) وسنحكم الأمة آخذين في اعتبارنا مطالب الرأي العام . وســوف نبحث عن المعارف بين أمم العالم . وبهذا سيتحقق الخير العام للامبراطورية » .

وهكذا ، حيال الضغط الخارجي انهارت الصين القديمة ، هذه الدولة المركزية التي تمتلك أقدم إدارة موحدة عرفها العالم ، وتمزقت الى أجزاء . بينما تحولت اليابان تحت ذلك الضغط والصدمة الى أمة موحدة ، وهي التي كانت قبل ذلك مجزأة الى اقطاعيات عائلية متعددة . وكان ذلك التحول أشبه ما يكون بظاهرة الانصهار أو التبلور .

أضف الى ذلك ان التطعيم الغربي للجسم الياباني جلب الحصانة لسائر اجزاء هذا الجسم من نظام عسكري ،



الشعوب الحية لا تنسى الاساءة : عشرة الاف متظاهر ياباني هتفوا في طوكيو مؤخرا ضد تدمير هيروشيما

سر البداية في الانطلاقة اليابانية

" رؤية فرنسية "



واقتصادى ، وحكومي ، ومن وسائل وأفكار . أما فى الصين ، فعلى النقيض من ذلك ، كان ما يأتى من الغرب يفسد وينحل ويذهب هدراً طوال نصف قرن إلى ظهور ماوتسي تونغ . وكان من أهم بواعث هذا الفساد قبول الصينيين مداخلات الأجانب فى شئونهم المالية والاقتصادية ، وذلك ما رفضته اليابان دائما .

وقد نجمت عن ذلك أول « معجزة يابانية » فى العصر الحديث ، ألا وهى عدم وقوع بلاد الشمس المشرقة فى قبضة الاستعمار .

فبينما شملت الفتوحات الاستعمارية أفريقيا وآسيا والصين ، نجحت اليابان فى صد هذا الخطر . وعرفت كيف تتعامل مع الغرب كبلد مستقل ، ولم تقبل من مؤثراته الوافدة إلا الوسائل والتقنيات التى استطاعت السيطرة عليها بذاتها ، والتى كانت كفيلة بصيانة استقلالها .

وبفخر له ما يبرره ، استطاع اليابانيون مؤخراً الاحتفال بمرور مائة سنة على هذا الحدث ، حدث اقتحامهم العصر الحديث بنجاح . فاليابان الحديثة بلغت عامها المئوى سنة ١٩٦٨ ، حيث مر قرن كامل على الثالث من كانون الثانى (يناير) سنة ١٨٦٨ عندما قرر الامبراطور موتسوهيتو ، الذى خلف والده على العرش قبل ذلك بعام واحد ، إنهاء سلطة حكام الاقطاعيات (شوغون توكوجاوا) وإعادة السلطة الموحدة إلى البلاط الامبراطوري .

وقد أطلقت تسمية مشرفة على عهد هذا الامبراطور ، حيث دعي عهده بعهد الميجي أي « الحكم المستنير » ، ثم أطلق الاسم على الامبراطور ذاته ، حيث صار يدعى بالامبراطور ميجي ، وذلك لدى وفاته عام ١٩١٢ .

عندما تولى الامبراطور ميجي السلطة عام ١٨٦٨ (وكان اسمه عندئذ موتسوهيتو) كان يبلغ من العمر السادسة عشرة فقط ، لكنه جلب معه الى السلطة روحاً حازمة ، أنضجتها الأحداث الجسام ، وجعلتها متفتحة على التجديدات الجريئة .

وكان يتمتع بميزة بارزة ، وهى قدرته على إحاطة نفسه بمستشارين ممتازين ، كانوا شباباً فى مثل سنه ، وأصغر لكنهم فى مثل حماسته وتصميمه على خلق اليابان الجديدة .

ومن الشائق ، إجراء مقارنة تاريخية بين التجربة اليابانية فى تلك الحقبة ، ومثيلتها الصينية . كان حكام الصين فى ذلك الوقت « المندرين » رجال آداب مهذبين ومحافظين ولم يكونوا يحملون لبرابرة الغرب - هكذا سمى الغربيون هناك - غير الاحتقار والكراهية . لقد رفضوا التعامل معهم بازدراء ورفضوا قبول سفاراتهم فى بكين ، ولم يوافقوا إلا على فتح بضعة بنوك ومراكز تجارية لهم بشرط أن تبقى منعزلة وهامشية .

أما فى اليابان فقد كانت الفئة الحاكمة من المحاربين المنحدرين من أسر الساموراي العسكرية الاقطاعية . وقد أظهرت هذه الفئة تفهماً دقيقاً لمغزى قوة الغرب العسكرية وصممت فى الوقت ذاته على مجابهتها بقوة يابانية قادرة على صيانة وحدة البلاد وكيانها .

وهكذا فان يابان الساموراي تملكها الاعجاب المشوب بالتوجس تجاه برابرة الغرب ، وقررت فتح أبوابها لقدوم المؤثرات الخارجية من أجل أن تقتبس أساليبهم وتصل إلى أسرارهم .

ولاتمام هذه المقارنة ، فانه يتوجب علينا أيضاً عقدها بين صين ماوتسي تونغ ويابان الميجي .

على الجانبين ، نرى أن جيلا من الثوريين يبرز وينغمس فى العمل والتغيير فى سن مبكرة جداً . ولكن فى اليابان نراهم يبدءون عملية البناء فى الحال دون أن يهدموا المجتمع القديم وتقاليده وطرائقه فى العيش والتفكير . بل على نقيض ذلك نراهم يحمونه بتحصينه ، بشكل أو باخر ، خلف سياجه الواقي . وفى الوقت ذاته يقررون أن يبنوا إلى جانبه عالماً جديداً مختلفاً تماماً على الطريقة الغربية ، مقدمين للعالم من خلال ذلك تجربة لا سابقة لها ولا نظير بخلق بلد مزدوج الحضارة حيث يعيش كل يابانى نصفاً من حياته فى الغرب ، ونصفاً فى الشرق ، منتقلا من أحدهما للآخر ، بخفة مدهشة تجعلنا عاجزين عن التمييز .

أما فى الصين ، فان الثورة الشيوعية هناك كانت لها نظرة مختلفة تماماً تجاه الثقافة الصينية القديمة . لقد حافظت حقاً على الآثار ، وفتحت المتاحف الجميلة لصيانة الكنوز الأثرية وإبرازها للشعب ، ولكن تراث الماضى نسب فى حينه الى الماضى ، ولم يعد حياً ولم يعد له مكان فى الحياة الحاضرة .

ويعكف اليابانيون اليوم على التأمل فى بدايات نهضتهم الحديثة وتاريخها باهتمام كبير ، باحثين عن الاجابات لمختلف أنواع الأسئلة بشأنها :

ما هى أسرار نجاحهم المبدئي فى مطلع النهضة ؟ لماذا مروا بكارثة بعد أكثر من ربع قرن من تلك البداية ؟ هل تصلح التجربة اليابانية لتكون نموذجاً يحتذى من قبل الأمم الأخرى ؟

ولا يجمع اليابانيون على اجابات موحدة لهذه التساؤلات ، لكن نتيجة واحدة على الأقل تبدو مؤكدة وتبرز بوضوح من هذا التفحص لتجارب الأمس : وهى أن

اليابانيين ، منذ نقطة البداية ، قد أظهروا قابليات استثنائية لاستيعاب العصر الحديث ومواجهته .

كما أنهم يكتشفون اليوم ان اليابان الاقطاعية ، قبيل عهد الميجي ، كانت أكثر قربا لنا « نحن الغربيين » وأكثر شبها بتطورنا التاريخي ، مما كان يعتقد سابقا . فعلى الرغم من انقسامها الى اقطاعيات عائلية فانها كانت تمثل ، قبل ظهور الميجي وحدة قومية راسخة الجذور ، تتجلى قبل كل شيء في وحدة الجنس ووحدة اللغة بشكل بارز . ومنذ عهود الاقطاع « توكوجاوا » كانت المواصلات بين اجزائها قائمة ونشطة جدا ، وكانت الطرق كثيرة ، ونظام البريد متطورا وفعالا . وكانت البلاد تتمتع باقتصاد تقليدي قابل للتحديث حيث كانت قد نشأت فيها منذ زمن سوق قومية موحدة لعدد من السلع الرئيسية كالرز والساكي « كحول الرز » والصويا « وهو من التوابل المستخدمة كثيرا في المأكولات اليابانية » . كما كان نظامها النقدي والمصرفي قويا ومتطورا . ومن العوامل الاقتصادية الأساسية أيضا : كون نظام التعليم العام متطورا جدا في العهد السابق « لعهد الميجي » . فقد اكتشفوا مؤخرا انه في نهاية حقبة الاقطاع « التوكوجاوا » كان اكثر من ٤٠٪ « أربعين في المائة » من اليابانيين يجيدون القراءة والكتابة .. (! !) .

● الجذور كانت صالحة :

حقا كانت اليابان ما تزال إقطاعية ، ولكنها كانت اقطاعية مركزية قوية التماسك وهذا الوضع ساعد كثيرا على إقامة النظام الجديد في ظل الامبراطور الميجي ، وتحويل الولاءات من الولاء للعشيرة الاقطاعية الى الولاء للأمة بسرعة وفاعلية . وعليه فيمكن القول الآن إن الامبراطور الميجي لم يخرج اليابان من النظام الاقطاعي التقليدي ، لكنه جعلها فقط تجتاز النصف الأخير من طريق الخروج . « حيث أن اليابان طورت نفسها في ظل النظام الاقطاعي قبل الميجي بشكل جعلها أكثر قابلية لعهد الاصلاح – المترجم » .

وثمة ميزة أخرى تبدو اليوم بارزة في النهضة اليابانية ، وهي ان اليابان قد عرفت دفعة واحدة ومنذ البداية كيف تعتمد على نفسها بنفسها وبقدراتها وقواها الذاتية في تحقيق الانطلاقة أو « الاقلاع » الاقتصادي ، دون أن تسمح لأي عون أجنبي بأن يخترقها ، أو يغريها بأي شكل .

ومن المدهش التأكيد انها لم تلجأ الى رأس المال الأجنبي . فمنذ مطلع نهضتها « ١٨٦٨ » حتى نهاية القرن التاسع عشر لا نجدها تقترض من الغرب غير قرض صناعي وحيد ومحدود يقل قليلا عن المليون جنيه استرليني للمساعدة في بناء سكة حديد يوكوهاما .

ولكن بالمقابل ، فان اليابان لم تمتنع عن اللجوء بشكل واسع الى الخبراء والتقنيين الغربيين الذين كانت تختارهم بعناية شديدة ، وتدفع لهم جيدا ، مما جعل لهم دورا هاما في نهضتها . وفي الوقت ذاته عرفت كيف تستورد أفضل الآلات والمعدات الغربية ، والذين يتهمون اليابان بانها كانت غالبا تحاكي هذه المخترعات وانها لم تكن غير مقلدة ، يتجاهلون حقيقة ان تحصيل وتقليد التقنيات المستوردة هي مرحلة أولية وحتمية لكل البلاد المتخلفة . وان اليابانيين قد أظهروا قدرات متميزة في استيعاب هذه التقنيات الجديدة وبسرعة ، وهذا مالم تنجزه البلاد النامية الأخرى .

ثم إن اليابانيين ، فضلا عن ذلك ، تمكنوا من تحسين تلك التقنيات وتطويرها بشكل منهجي ، وتلك ميزة أخرى من ميزاتهم الخاصة .

والسمة الثالثة البارزة لدخول اليابان الجديدة على المسرح العالمي ، تتمثل في سرعة النمو على مختلف الصعد ، وهي ظاهرة لا تقتصر على هذه الأيام ، فقد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، واستمرت وتزايدت مع بدايات قرننا العشرين .

ولقد تم إرساء دعائم الصناعة اليابانية خلال ثلاثة عقود من السنين بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ بفضل وجود حكومة قوية ، ونظام تربوي شامل ، ومجموعة من المؤسسات المالية ، وشبكة من المواصلات المتطورة بصورة جيدة .

وفي أثناء ذلك ، تم التوسع في الصناعات التقليدية بوتيرة متسارعة هذا مع تنامي القطاع الصناعي الحديث .. « إذن لم يدمروا صناعاتهم التقليدية باسم الصناعة الحديثة ، كما فعل غيرهم من الشرقيين ! – المترجم » .

وهكذا حققت اليابان إصابة الهدف بعد عام ١٩٠٠ بقليل ، عندما وصلت الى اكتفائها الذاتي في حقل المنسوجات الذي بلغته من ذلك الوقت .

وبعد الانتصار الياباني على روسيا القيصرية في الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ – ١٩٠٥ ، بدأ حقا الانطلاق الكامل ، أو ال « تيك – أوف Take-off » ، أي الاقلاع ، كما يحلو للاقتصاديين الأمريكيين أن يسموه اليوم ، كمصطلح للتعبير عن تلك الانطلاقة الاقتصادية اليابانية » .

ترجمه عن الفرنسية :

د . محمد جابر الأنصاري

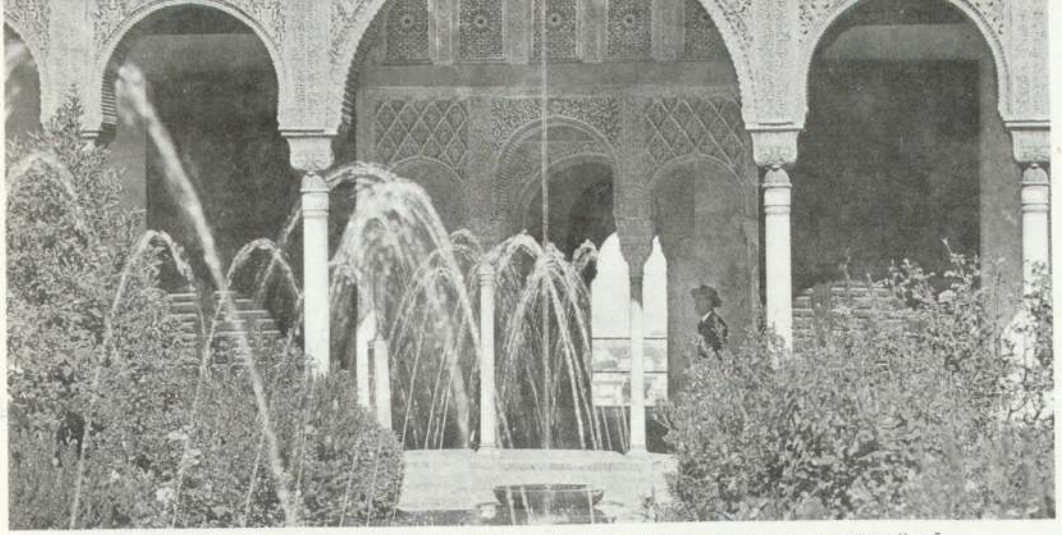
من كتاب Japon, Troisie'me Grand

ص ٣٧ – ٤٤

تاليف : Robert Guillain

منشورات : Points

في المقالة التالية : تطورات التجربة اليابانية في القرن العشرين وحتى الآن تتبعها دراسة مقارنة بين التجربة اليابانية والتجارب العربية .



قصر الحمراء من الداخل ، حيث نرى روعة العمارة والنقوش والزخارف الاسلامية التى أمدت الغرب بالمعارف الفنية والاصول المعمارية وأثرت في الذوق الأوربى

أطول الحضارات العالمية عمرًا
وأعظمها أثرًا في المدنية الحديثة :

الحضارة العربية

وكيف قامت على ركائز إنسانية؟

بقلم : الدكتور السيد محمد بدوي

تعتبر الحضارة العربية احدى الحضارات الكبرى التى ظهرت فى تاريخ البشرية . بل ان هناك فريقاً من العلماء يؤكدون أنها أطول الحضارات العالمية عمراً ، وأعظمها أثراً فى المدنية الحديثة . إذ سيطرت هذه الحضارة على الفكر الأوربى طوال القرون الوسطى ، وذلك حين أحيا العرب التراث الفلسفى والعلمى لليونان ، ثم نشروه فى قالب جديد بعد أن صهروه فى بوتقة عبقريتهم الفذة ، وأضافوا إليه اضافات جديدة تنم على ملكاتهم الفكرية الخلاقة .

لقد كان العرب يشتغلون بالفلسفة والعلم ، ويؤسسون أعظم الحضارات فى الوقت الذى كانت أوربا يخيم عليها الظلام والجهل . ويصور هذه الحقيقة ، أبلغ تصوير الأستاذ « فيليب حتى » فى كتابه « موجز لتاريخ العرب » ، إذ يقول : « إن مفكرى العرب كانوا يدرسون أرسطو ، ويكتبون الشروح على فلسفته ، فى الوقت الذى كان فيه الامبراطور شارلمان ورجال بلاطه لا يعرفون كيف يكتبون اسماءهم . وفى الوقت الذى كانت فيه «قرطبة» مركز حضارة الأندلس تزهو بمكتباتها السبع عشرة المليئة بالكتب والمؤلفات العلمية ، وكان علماؤها وكبراؤها يقضون أوقات فراغهم فى حمامات فاخرة – فى ذلك الوقت كان أساتذة جامعة اكسفورد يعتبرون غسل الجسم من أكبر الأخطار التى تهدد حياة الانسان » .

ومن العجيب أن هذه الحضارة العربية قد اتسمت بسمة متجانسة بالرغم من أنها حضارة لم ينفرد بتكوينها أهل بقعة بعينها ، وإنما اشتركت فى تكوينها المجموعة العربية التى انصبت فى قالب واحد ، وجمعتها مشاعر واحدة ، ولغة واحدة ، وآمال واحدة ظلت على الدهر نبراساً يستضيء به الناس ، سواء أعاش العرب دولة موحدة ، أم دولا فرقتها أحداث التاريخ .

ويمكن القول إن انتشار الاسلام ذلك الانتشار السريع الذى لا مثيل له فى التاريخ هو الذى أوجد الدولة العربية التاريخية ، وطبعها كلها الى يومنا هذا بطابعه وروح حضارته بمؤازرة اللغة العربية ، وبقدرته العجيبة على تقبل الثقافات الأجنبية . فلم يكد يمضى على وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مائة عام حتى كان المسلمون يسيطرون على امبراطورية أكثر اتساعاً من امبراطورية روما فى أوج عظمتها . إذ كانت هذه الامبراطورية تمتد من خليج بسكاى فى الغرب الى الهند وحدود الصين شرقاً ، ومن بحر آرال فى الشمال الى افريقيا الاستوائية فى الجنوب وهذه الفتوح كلها يعترف المنصفون من المؤرخين الغربيين بأن الأساس الأول والأعظم فيها ، لم يكن هو الحرب ، فهم يقولون بصريح العبارة إن المعارك الاسلامية الكبيرة كانت نادرة جداً ، وان أكثر ما تم من الفتح الاسلامى انما كان بفضل الدعوة السلمية ، والاقناع الحكيم ، والقدوة الحسنة .

ليس بالمرء حاجة إلى أن يكون فيلسوفا عميق الفكرة ، بعيد المقدمات لكى يستنتج من هذه الظاهرة العجيبة ، وهى ظاهرة الانتشار السريع للحضارة العربية ، انها لابد أن تكون قد حوت من عناصر الحق والخير والجمال كل ما تتطلبه الفطرة السليمة ، على اختلاف مشاربها وأساليبها فى الحياة ، وأنها لابد محققة لكل ما تطمح إليه الأمم والشعوب من أسباب القوة والرغد . ان فى سرعة انتشار هذه الحضارة ، فى عالم يبلغ خمس الكتلة البشرية على الأقل ، وبين أمم مختلفة فى السنتها وألوانها ، ونزعاتها ، وطبيعة أرضها ، وأسلوب حياتها ، وان فى قابليتها لزيادة الانتشار على الدوام كلما رفعت الحواجز المصطنعة من طريقها ، إن فى ذلك كله لأية بينة على مبلغ ما فى طبيعة هذه الحضارة من اشباع لحاجات العقول والقلوب ، وتوفية لمطلب الأفراد والجماعات ، ومجاوبة للفطرة الانسانية العميقة .

وكان العرب فى انتشارهم ينشرون دينهم ولغتهم ، بل ان ثقافتهم ونموذج حياتهم كانا يطغيان على الحضارات الأخرى التى سبقت حضاراتهم كحضارة اليونان ، والرومان ، والفرس . وازدهرت الحضارة العربية فى الأندلس مدة ثمانية قرون ، لم يشهد التاريخ فترة مثلها حضارة وازدهارا . وإذا كان العرب قد فارقوها ملكا وحكما ، فانهم لم يفارقوها أثرا ورسما .

جذور التراث

وتتصل جذور التراث الحضارى العربى بنظامين متباينين من نظم المعيشة : التقاليد البدوية ، وحضارة مجتمع ثابت قديم .

فمن حياة البدو أخذ العربى مجموعة من الصفات ذات قيمة انسانية عظيمة : حبه للحرية ، وشعوره بالمساواة ، واعتماده الوثيق على نفسه مع مسارعته لاغاثة الملهوف . ونتج عن هذه الصفات احترام النفس ، والمحافظة على الكرامة ، وتلك المهابة ، وذلك الاتزان اللذين أعجب بهما من اتصل بالعرب من الأقوام الأخرى . وما السهولة والرقة اللتان بهما يستقبل العربى من يراهم لأول مرة ، ويخاطب بهما الناس أيا كان مقامهم سوى المظهر الطبيعى لثقته بنفسه ، وشعوره بأن الناس جميعاً متساوون . والبداوة فى الواقع أصل العروبة ، وأصل الحضر : فيها الذوق السليم ، وفيها اللغة النقية ، وفيها تلك الصفات التى يتميز بها البدوى ، صفة الكرم رغم الفقر والحاجة ، وصفة البذل والعطاء ، ولو كان بذل النفس ، وصفة النخوة والشهامة هذه الصفات الكثيرة التى تتميز بها حياة البداوة على بساطتها ، هى المنبع ومصدر الالهام الذى نستمد منه أصول سلوكنا الانسانى .

والسلطة فى حياة البادية ترتكز على النفوذ المعنوى الذى يتمتع به شيوخ القبيلة . وهم يمارسونها لا بالتدابير القسرية ، بل بالاقناع والدعوة إلى احترام العرف . ومن هنا برزت الأهمية التقليدية لموهبة الكلام والقدرة على التأثير فى نفوس السامعين واقناعهم ، فاشتهر العرب بالخطابة والشعر وتفوقوا فيهما .

ولقد حاول الاستعمار أن يطمس هذه المعانى فى نفوس أبناء العرب من أجل أن ينسيهم حقيقة ماضيهم . وعمد بعض المؤرخين الأجانب ، لأغراض سياسية ، أن يتخذوا من بداوة آبائنا العرب سبيلا إلى الطعن فى صفاتهم القومية ، ففسروا البداوة بانها الهمجية التى تجلت فى صفات القبائل الآسيوية التى حطت على أوربا ، وخرجت الحضارة الرومانية إبان القرن الخامس للميلاد وحاولوا أن يجدوا نوعاً من الرابطة أو التشابه بين بداوة العرب ، وهمجية « الهـــون » « والوندال » ، « والقوط » . وكان غرضهم من ذلك الحط من صفات العرب تنفيراً لأهل الغرب منهم ، كما أرادوا أن يمسخوا حقائق التاريخ لتحقيق المرامى السياسية البعيدة التى كانت تهدف الى إبعاد العرب عن أصولهم الثقافية أولا ، ثم اخضاعهم بعد ذلك لثقافة الغرب وسيطرته الاستعمارية . ولكن بداوة العرب لم تكن بالصورة التى صورها المؤرخون المغرضون فمن المعروف أن الهمج الذين خربوا الحضارة لم يكن لهم ماض حضارى ، ولم يعرفوا غير حمل السيف للنهب والسلب . أما العرب فقد كان لهم آداب من شعر وخطابة وبلاغة أصبحت مضرب الأمثال ، وكانت لهم تقاليد الفروسية التى نقلتها عنهم أوربا . ولم يلبث العرب بعد أن فتحوا دنيا الحضارة حتى أقاموا أعظم الآثار المعمارية كمسجد « قرطبة » وقصر الحمراء بغرناطة ، وقصور بغداد ، ومعاهد العلم كالجامع الأزهر والزيتونة بشمال افريقيا ، وحملوا مشعل الحضارة وحدهم ما يزيد على ستة قرون . فهم الذين عملوا فى الواقع على تراجع الهمجية التى انتشرت فى أوربا إذ كانت غزوات أهل الشمال قد هزتها هزا عنيفاً .

وإلى جانب هذه الأصول البدوية للثقافة ، نمت فى الجزيرة العربية مدنية متحضرة قبل الاسلام بمئات السنين . وكان مقـر هذه المدنية الركن الجنوبى من الجزيرة حيث ازدهرت مدة ألفى سنة من حوالى ١٥٠٠ ق . م إلى عام ٥٠٠ ب . م . ومن أشهر الحضارات التى ازدهرت فى ذلك الحين حضارة مملكة سبأ . ويستدل من السدود التى بنيت لحصر المياه والشبكات الواسعة التى أنشئت لتامين الرأى على أن هؤلاء القوم كانوا على علم واسع بالهندسة .

وفى أوائل القرن السابع بعد الميلاد بدت طلائع ثورة اجتماعية جديدة ، حمل لواءها محمد النبى العربى . وباعتناق الاسلام تولد بين العرب شعور بالتضامن سما على المنازعات القبلية والعصبيات العشائرية . وكان نتاج ذلك ، مولد الأمة العربية التى منحها الدين الجديد هدفا انسانياً سامياً . فتفتحت مواهب العرب ، وانطلقت قواهم المكبوتة من عقالها ، ووجدت حيويتهم الحبيسة منذ قرون منفذاً لها فى أداء رسالة رفعت الأمة العربية الى مقام الخلود ، ودفعت الانسانية خطوة كبيرة الى الأمام .

وتوطدت دعائم المجتمع العربى على أسس إنسانية قوامها المساواة والعدالة . فلم يجعل فروقاً بين الأسود والأبيض ، أو الغنى والفقير أو السيد والعبد . وكان هذا أكبر عامل على اتحاد جميع الشعوب التى انضمت تحت لواء العرب على اختلاف أجناسها وألوانها . ونتج عن هذا الاتحاد فى الفكر والعاطفة تحطيم الحواجز التى كانت تحول دون ظهور الكفاءات وأصبحت فرص التقدم مهيأة أمام كل انسان بعد أن كانت وقفاً على طبقة محظوظة فأصبحت للحياة معنى ، وبرز الشعور بالكرامة ، وبالقيمة الانسانية . وقد أكد هذه الحقيقة الأستاذ « هاريسون » فى كتـــابه « العرب فى وطنهم » ، إذ يقول « فحيث حلت حضارة العرب تأكدت قيمة الفرد ، ونهض الناس معتزين بكرامة لا تقهر » .

كذلك فان من أهم الأسس الانسانية للحضارة العربية ظاهرتين لم يجد علماء أوربا المنصفون بدا من الاعتراف بهما والتنويه بشانهما :

فاما الظاهرة الأولى فهى ظاهرة « الأخوة » التى تسمو على كل الفوارق العنصرية ، وتمحو كل الحواجز الاقليمية . فلقد أتى على العالم العربى حين من الدهر ، فى مدى القرنين الرابع والخامس من الهجرة (العاشر والحادى عشر الميلادين) ، كان يتولى الخلافة فيه ثلاثة خلفاء فى وقت واحد : خليفة عباسى فى العراق ، وخليفة أموى فى الأندلس ، وخليفة فاطمى فى مصر . ومع ذلك كان المواطن العربى الذى ينتقل فى سفره من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، فى امتداد يقطعه الراكب ــ فى ذلك الزمان ــ فى عشرة أشهر على الأقل

ـ كان لا يجد حيثما حل إلا أخوة ، ولا يشعر حيثما حل إلا بانه فى قلب وطنه .

ظاهرة التسامح

أما الظاهرة الثانية فهى ظاهرة التسامح بإزاء الأديان الأخرى فمع أن الرابطة التى تجمع بين هذا العديد من الشعوب كانت دينية ، ثم لغوية ، إلا أن هذا المجتمع كان يؤمن لاتباع الديانات الأخرى مكانا معترفا به داخل إطار الوحدة الكبرى . وكان هذا التسامح العربى على نقيض ما انطوى عليه الحكم البيزنطى من تعصب طائفى ، وهو أحد العوامل الرئيسية التى مهدت السبيل أمام التوسع العربى وساعدت على الاسراع فيه . وقد حاول المؤرخ الألمانى « كريمر » أن يحلل طبيعة هذا التسامح ويعرف أسبابه وينتهى المؤرخ من تحليله الى هذه النتيجة : وهى أن من الأسس الوطيدة التى أرست أركانها الحضارة العربية، الفصل فصلا تاما بين العقيدة التى يجب احترام حريتها عند الآخرين ، وبين المصالح الدنيوية التى تعتمد على الكفاية والأمانة ، والتى لا تميز بين دين ودين فى سبيل التعاون لتحقيق المثل العليا الانسانية .

وقد قيل ان العرب قد اعتزوا بعصبيتهم . واذا كان هذا صحيحاً إلا أنهم مع ذلك لم يعرفوا التعصب . وشتان بين العصبية والتعصب . فلم يعرف العرب التعصب كما عرفه غيرهم من الأمم ، وإنما امتازوا برحابة إنسانية رائعة ، وضمير يرفعهم فوق مستوى الحيوانية . والانسان إنما يتميز عن الحيوان بضميره قبل ان يتميز بغريزته أوحتى بعقله . فالغريزة أمر مشترك بين الانسان والحيوان جميعاً ، والعقل يشارك بعض الحيوان الانسان فيه ولو بأقدار قليلة أو متفاوتة . أما الضمير فينفرد به الانسان . هذا الضمير الذى عرفه سكان المشرق العربى منذ قديم ، هو الذى هداهم إلى أن يعرفوا الله ، وهو الذى نظم سلوكهم بحيث يعرفون غيرهم من الامم ، وبحيث يقدرون مالدى غيرهم من الأمم من رأى أو فكر أو حضارة ، وبحيث تقوم الصلة بين الانسان وأخيه الانسان على أساس من السلوك الذى يمليه الضمير ، والذى يحاسب عليه الضمير .

عرفنا نحن العرب ، أننا جزء من الانسانية جمعاء ، وأننا نتوسط العالم ، ونتوسط الشعوب ، وأننا نخالط الناس فى كل مكان ، وأننا نعطى الناس كما نأخذ عن الناس . وفى الحالات التى شذ فيها عنصر من العناصر التى تقطن هذا المشرق العربى عن هذا الطابع ، أصبح هذا العنصر منبوذاً ، ونعنى به طائفة اليهود . فطائفة اليهود شذت عما تقضى به طبيعة سكان هذا الاقليم من أنهم جزء من العالم يعيشون لأنفسهم ولغيرهم ، ويعيشون بأنفسهم وبغيرهم ، وتقوم صلات التبادل بينهم وبين غيرهم على أساس من العدل والانصاف والمحبة . شذ اليهود عن هذا الطابع ، وانطووا على أنفسهم ، بل تنكروا ، فى كثير من الأحيان لرسلهم أنفسهم . وترتب على هذا ان الديانة اليهوية لم تنتشر فى الأرض وانما الذى انتشر أو الذين انتشروا هم اليهود . وفرق بين أن ينتشر الناس وبين أن تنتشر أفكارهم وعقائدهم .

ولم يقتصر المجتمع العربى الاسلامى على نشر العدل والمساواة والتسامح ، بل تعدى ذلك الى الاقرار بفوائد الاختلاف داخل نطاق الاطار العام . وكان يرحب باختلاف الآراء والأفكار ويشجع الذكاء ، ويستفيد منه أياً كان مصدره وعمد أهل الذمة (وهم أصحاب العقائد الأخرى ، أو الجنسيات الأخرى الذين اندمجوا فى المجتمع العربى) إلى المساهمة فى اغناء الثقافة المشتركة . اذ كان تاريخهم يؤهلهم للقيام بدور حملة تراث حوض البحر المتوسط .

انتشار الحضارة العربية

وانتشرت الحضارة العربية لأنها كانت ـ كما قدمنا ـ تدعو الى الانسانية.انتشرت الى قلب آسيا ، فى أرض المغول ، وانتشر الاسلام الى اندونيسيا عن طريق البحر أى عن طريق التجارة .كما انتشرت الحضارة العربية فى أرض السودان . ومن شمال أفريقيا انتقلت الى أرض السنغال . انتشرت هذه الحضارة لأن الذين حملوا لواءها كانوا يمثلون الانسانية ، ويمثلون الضمير الانسانى .

لقد كنا نحن العرب نعتز بحضارتنا ، وكنا فى الوقت ذاته نعرف لغير حضارتنا من الحضارات قيمتها .وهذه الصفة انفردنا بها بين الأمم والشعوب أما الحضارات الأخرى فكانت تنطوى على نفسها ، أو كانت تزدرى حضارات الآخرين فى كثير من الأحيان : فالصين كانت لها حضارة ، ولكنها بقيت للصين على مر العصور . وكانت للهند حضارة ولكنها اختلطت حتى أصبحت الهند مستودعاً لسلسلة من الحضارات المتعاقبة والمتعاصرة فى آن واحد ، كاد معها طابع الحضارة الهندية أن يزول . فالهنود اليوم لا يتفاهمون بلغة واحدة ، واذا أراد هندى جنوبى أن يتفاهم مع هندى شمالى ، فكثيراً ما يستخدمان لغة غريبة عن الاثنين كاللغة الانجليزية . وكانت للفرس حضارة ولكنها بقيت ضيقة النطاق تكاد تقتصر من حيث اللغة على أرض الفرس نفسها . وكانت لليونان حضارة ولكنها ماتت على مر الزمن ولم تبق ولم تستمر . وكانت للروم حضارة ، ولكنها حضارة من جانب واحد تمثلت على الخصوص فى نواحى الادارة ، أو نواحى التشريع ، أو فى بعض النواحى المادية كهد الطرق .

فأما العرب . فحضارتهم عريقة ، وحضارتهم فى الوقت ذاته مستمرة ، وباقية على الزمن . ولغتنا العربية لغة بقيت حوالى خمسة عشر ، أو ستة عشر قرناً لغة حية . فنحن اليوم لا نزال نقرأ الشعر الجاهلى ونتذوقه ، فى حين أن الانجليزى أو الفرنسى اذا قرأ شعراً مضت عليه عدة قرون فانه لا يكاد يفهم منه حرفاً واحداً ، وإن فهم شيئاً فانه لا يتذوقه . لقد احتفظت لغتنا بحيوية عجيبة ، هى قديمة ، وهى مستمرة ومتطورة مع الزمن ، وسر احتفاظها بحيويتها أنها لغة القرآن .

فاللغة العربية تعتبر مقوماً أساسياً من مقومات الوحدة والترابط فى العالم العربى . ولذلك يجب أن نتمسك بها فى ثقافتنا ، ونعمل بكل الوسائل على التقريب بين اللغة الفصحى واللجهات العامية المحلية . وإن من يدعو الى تشجيع العامية والكتابة بها ، واهمال اللغة العربية ، فانه يدعو ، فى الواقع ، إلى إزالة عامل من أهم العوامل التى تبرز وحدتنا ، وتيسر سبل الاتصال الثقافى بين شعوب الأمة العربية .

أصالة الحضارة العربية

وقد ادعى المغرضون من الكتاب الأجانب أن الحضارة العربية ما هى الا حضارة ناقلة لم تفعل أكثر من نقل علوم اليونان . وهذا الادعاء أبعد ما يكون عن الحقيقة . فالاضافات التى أضافها العرب إلى علوم اليونان ، ومعالم

الحضارة التى ابتكروها ، مع حفظهم لروح البحث العلمى ، فى عصر عرفته أوربا بعصر الظلام ، كل ذلك انما يضفى على الحضارة العربية صفة الأصالة والخلق والابداع .

ولم تصل هذه الحضارة الى ما وصلت اليه من ازدهار الا بفضل تقديس العلم وتشريف العلماء ، حتى لقد ذهب الناس ، فى ذلك الزمان ، إلى القول بأن « الكتابة » أشرف المراتب بعد « الخلافة » . وترتب على ذلك أن اشعاع الحركة الفكرية عم العالم المتحضر فى تلك الوقت . وكان الخلفاء يدفعون فى الكتاب وزنه ذهباً . وبينما حاول « شارلمان » أن يوقظ أذواق الناس ، ويوجهها نحو العلم والأدب ، بدون جدوى ، كان خلفاء بنى العباس يجمعون حولهم أكثر الرجال ثقافة وعلماً من جميع الأقاليم ، وعملوا على ترجمة أعظم المؤلفات ، وجمعوا مكتبات غنية ذاخرة . ويقال ان « الحكم » الأموى فى قرطبة كان يمتلك مكتبة تحوى أكثر من أربعمائة ألف مجلد ، على حين أن ملك فرنسا « شارل الخامس » الذى كان يلقب « بالحكيم » .. لم يستطع بعد ذلك بأربعة قرون أن يجمع أكثر من ألف مجلد .

ولم يقتصر العرب على حفظ كنوز المعارف السابقة بل أضافوا اليها وفتحوا طرقاً ومناهج جديدة نحو دراسة الطبيعة . وكما يقول «جورج سارتون» فى كتابه «مقدمة تاريخ العلوم» ، كانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر ، لغة العلم والحضارة للبشرية ، وكان يتعين على من يبغى الالمام بثقافة عصره وباحدث صورها أن يتعلم العربية ، وذلك تماماً مثلما يحدث فى عصرنا من حيث ضرورة الالمام باحدى اللغات الأجنبية إذا أراد المرء أن يتتبع التطور الفكرى فى العالم .

ونريد الآن أن نجول جولة سريعة لنظهر أثر الحضارة العربية فى التراث الفكرى الانسانى . ونبدأ باظهار فضلهم على الحركة الأدبية فى أوربا :

يقول «السير جيب» فى كتابه «تراث الاسلام»

«إنه ففى نهاية القرن الحادى عشر نشأ فى جنوبى فرنسا نوع جديد من الشعر ينهج منهجاً جديداً ، وتميزه صفات نفسية واجتماعية جديدة ، وتصوير خيالى فنى جديد ... وكان هذا الشعر الجديد كثير الشبه بنوع من الشعر المعاصر فى اسبانيا العربية . وهذه القرائن كلها تؤيد ما قد نفترضه من أن الشعر الرومانسى الأول قد تأثر بالنماذج العربية» . والواقع أن العرب أقاموا فى جنوبى فرنسا ، وبخاصة فى مقاطعة «بروفانس» ابتداء من منتصف القرن الثامن . فاذا علمنا أن العربى كان يقرض الشعر بسليقته ويسيطر على خياله التأثر بالجمال ، أفلا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن هذه الجماعة من العرب قد لعبت دوراً فى نشوء شعر «التروبادور» الذى نشأ فى بروفانس بالذات ؟ وإذا أخذنا بما أثبته العلامة «راندال» فى كتابه «تكوين العقل الحديث» من أن الفكر الأوربى كان بطىء التكوين فى بدايته ، وأن الشعوب الأوربية كانت تحتاج الى ضعف الوقت الذى تحتاجه الشعوب الشرقية لاستيعاب الثقافات ، لأدركنا كيف أن شعر التروبادور نشأ فى نهاية القرن الحادى عشر ، بعد أن مرت ثلاثة قرون من الاتصال المباشر بالعرب وبثقافتهم سواء فى جنوبى فرنسا أم فى اسبانيا .

وقد ثبت من البحوث الحديثة أن «دانتى» شاعر إيطاليا الكبير قد استوحى فكرة «كوميديته الالهية» التى مثلت ثقافة أوربا المسيحية ، فى القرون الوسطى ، من مصادر عربية اسلامية ، استقاء «دانتى» من قصة الاسراء والمعراج ، ومن تعليقات وتفسيرات المفكرين العرب ، ومن مذاهب الصوفية ، وعلى الأخص كتابات «محيى الدين بن عربى» . وقد اثبت هذا الرأى عالم اسبانى هو «ميجل أسين بالاسيوس» « .. فى كتاب ترجم الى الانجليزية بعنوان «الاسلام والكوميديا الالهية»

وقد كرس أسين بالاسيوس أكثر من خمسة وعشرين عاماً من حياته فى بحث وتمحيص الفكر الاسلامى الفلسفى والدينى فى القرون الوسطى ، وتأثيره فى ثقافة أوربا المسيحية . ومكنته خبرته بفقه اللغة العربية ، بالاضافة الى تمكنه من فلسفة الكلام فى القرون الوسطى أن يكشف كشوفاً هامة فيما يتعلق باللاهوت ، وكيف أثر ابن رشد فى القديس «توما الأكوينى» ، وابن عربى فى «ريموندلال» ، واخوان الصفا فى «أرسلمو دى تورميدا» الخ ... ولكن أهم اكتشاف قامت عليه شهرته هو موضوع الكتاب الذى ذكرناه ونعنى به اكتشافه أن النماذج الاسلامية ، هى التى أوحت لدانتى بكوميديته الالهية .

ومن المؤلفات التى أثرت كذلك فى الأدب الأوربى مقامات «الحريرى» . ويرى بعض النقاد شبهاً كبيراً بين شخصية «فيجارو» التى صورها «بومارشيه» فى مسرحيته المعروفة «حلاق اشبيلية» ، وبين شخصية «أبى زيد» بطل «المقامات» . فكلتا الشخصيتين تتألف عناصرها من الدهاء والخبث والمبالغة ، وسعة الحيلة وحسن التصرف ، كل ذلك ممزوجاً بخفة الدم والمرح .

وقصة «دون كيشوت» للمؤلف الاسبانى «سرفانتس» ترجع الى أصول عربية . فقد كان المؤلف سجيناً فى الجزائر وكثيراً ما صرح بأن مسودات كتابه قد كتبت أولا بالعربية .

وأخيراً لا ننسى أن قصة «روبنصن كروزو» المشهورة التى كتبها «ديفو » « مأخوذة من القصة الفلسفية لابن طفيل «حى بن يقظان» . وقد ترجمها الى اللاتينة «بوكوك» فى عام ١٦٧١ تحت عنوان «الفيلسوف المعلم لنفسه » .

أما فى ميدان الدراسات الانسانية فيكفى أن نشير الى جهود المفكر والفيلسوف العربى الكبير عبد الرحمن بن خلدون الذى شهد له كبار علماء الغرب فى العصر الحديث بانه كان الرائد الأول لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ . إذ سبق فى ذلك أوجست كونت بخمسمائة سنة تقريباً ، حين كتب مقدمته الخالدة فى القرن الرابع عشر الميلادى (أى الثامن الهجرى) . فقد أراد أن يكتب تاريخ الدولة الاسلامية كتابة تعتمد على الوثائق وعلى الدراسة الموضوعية . غير أنه رأى بثاقب نظره أن كتابة التاريخ لا تستقيم إلا إذا سبق ذلك دراسة للبيئة والحضارة والظروف الاجتماعية التى انبعثت منها حوادث التاريخ . وحين اقتنع بذلك شرع فى كتابة «مقدمة» لمؤلفه التاريخى الكبير ، ووضعت هذه المقدمة «أسس» علم العمران أو علم الاجتماع كما نسميه اليوم . ولم يفطن علماء الغرب الى القيمة العلمية لهذه المقدمة إلا منذ وقت قريب . فعكفوا على دراستها دراسة دقيقة وكتبوا عليها التعليقات والشروح التى تفيد كلها بأن ابن خلدون كان رائداً لكثير من علماء الغرب فى ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد . فيقول «جاستون بوتول» ، واليه يرجع الفضل فى توجيه أنظار علماء الغرب الى أهمية آراء ابن خلدون .. يقول «إن ابن خلدون قد أبدى من الآراء ما جعله مبشراً بالأفكار الاجتماعية الحديثة ، وعلى الأخص تلك التى نشرها منتسكيو فى أوربا . وإن حديث المفكر العربى العظيم عن صلة الأخلاق بالحضارة تجعله رائداً بالنسبة لآراء «روسو» فى هذا الصدد» . ويقول العالم الأمريكى «ناتانيل شميت» الأستاذ بجامعة كورنل بامريكا : «إن حديث ابن خلدون عن تأثر العادات بالاقاليم والأرض والغذاء تجعله مفكراً سابقاً على مفكرى العالم الحديث من أمثال منتسكيو وسبنسر» .

وأخيراً يتوج المؤرخ البريطانى الشهير « أرنولد توينبى » هذه الآراء بتأكيده أن مقدمة ابن خلدون أعظم عمل من نوعه أبدعه أى عقل بشرى فى أى زمان ومكان .

وفى المجالات العلمية

ننتقل الآن الى ذكر فضل العرب فى ميادين العلوم التجريبية والطبيعية . ولا نستطيع أن نذكر قائمة علماء العرب جميعاً ، ولذلك سنقتصر على أهمهم : لقد اهتم العرب بالطب وتفوقوا فيه وكانوا يجمعون الى جانب بحوثهم فى الطب والعقاقير صفة البحث فى ظواهر الكون وما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) ، والحكمة . (ومازال العوام حتى اليوم يطلقون على الطبيب اسم الحكيم) . . وتفوق العرب كذلك فى استنباط كثير من أنواع العلاج ، وكانوا أول من انشأ الصيدليات . ويقال إنهم أسسوا اول مدرسة للصيدلة ، وكتبوا اول كتاب فى «الفارماكوبيا» (أو علم الأدوية) . وفى عصر الخليفة المامون أصبح الصيادلة يمرون بامتحان قبل السماح لهم بممارسة مهنتهم . وعرف المجتمع العربى ، فى ذلك الحين ، نوعاً من الخدمة الطبية ، إذ كان الأطباء يوفدون الى القرى والأرياف حاملين معهم الأدوية ليعالجوا كل من احتاج للعلاج . كما كان هناك أطباء يزورون السجون كل يوم لعلاج المسجونين . ومثل هذه الاجراءات ، إذا اعتبرت اليوم عادية فانها كانت فى ذلك الوقت تدل على وعي كبير ، واهتمام تام بمبادىء الصحة العامة التى لم تكن معروفة حينئذ فى بقية انحاء العالم .

وأول مستشفى فى العالم الاسلامى انشاه هارون الرشيد فى مطلع القرن التاسع الميلادى (أى الثالث الهجرى) ، ثم تعددت المستشفيات بعد ذلك حتى بلغ عددها ٣٤ مستشفى موزعة على البلاد المختلفة . وكانت المستشفيات تحتوى على أقسام خاصة بالسيدات كما ألحق بكل منها عيادة خارجية . وكان بعضها يضم مكتبة طبية يرجع اليها المهتمون بالطب ، كما كانت تعطى فيها أحياناً محاضرات طبية .

واهم الشخصيات التى ظهرت فى محيط الطب فى العالم العربى ، فى العصور الوسطى ، «الرازى» و «ابن سينا» . وقد اعترف علماء الغرب بفضلهما ، وخلدت كلية الطب بجامعة باريس ذكراهما بلوحتين كبيرتين مازالتا حتى اليوم تحتلان مكاناً بارزاً فى الصالة الكبرى بالكلية .

أما الرازى فقد عاش بين سنتى ٨٦٥ ، ٩٢٥ م. ويعده العلماء والمستشرقون اكبر شخصية ظهرت فى محيط الطب فى القرون الوسطى . ويقال إنه حين كلف باختيار مكان مناسب لاقامة مستشفى بغداد الكبير ، أمر بوضع قطع من اللحم فى أنحاء متفرقة . ثم اختار المكان الذى ظلت فيه قطعة اللحم أطول مدة قبل أن تفسد . وقد ألف كتاباً مشهوراً فى الكيمياء عرف باسم «كتاب الأسرار» ، وترجم الى اللاتينية فى أواخر القرن الثانى عشر . ومازلنا نحتفظ من مؤلفات الرازى بمخطوطات منها دراسة عن «الحصبة» ، وأخرى عن «الجدرى» . على أن اهم مؤلفات الرازى هو كتابه الجامع الذى سماه «الحاوى» ، وقد ترجم الى اللاتينية فى عام ١٢٧٩ ، وترجمه طبيب يهودى من جزيرة صقلية يدعى «فرج بن سليم» .. وبعد أن اخترعت الطباعة ظهرت منه عدة طبعات أولها فى عام ١٤٨٦ وكما يدل عليه اسمه ، كان هذا الكتاب يهدف لأن يكون موسوعة (أفسيكلوبيديا) تضم جميع ما عرف فى ذلك العصر عن مادة الطب . وهو يلخص جميع المعارف التى وصلت الى العرب عن الطب اليونانى والفارسى والهندى ، ويضيف الى ذلك ما اسهم به العرب أنفسهم فى ذلك الميدان من نظريات وآراء وطرق علاجية . وظلت مؤلفات الرازى تحتل مكانها البارز فى محيط الطب ، واعتبرها علماء الغرب مصدرهم الأساسى طوال قرون عديدة ، ولتعميم الفائدة منها كانت هذه المؤلفات ـ كما ذكرنا ـ أول الكتب التى ظهرت مطبوعة بعد اختراع الطباعة .

ويأتى بعد الرازى ـ بالنسبة لعلم الطب ـ الفيلسوف «ابن سينا» . وقد اعتبرت مؤلفاته الأساس الذى لابد من استيعابه لكل دارس فى هذا الميدان . وتعدد نشر هذه المؤلفات الطبية باللاتينية والعبرية طوال العصر الوسيط . وفى العصور الحديثة ترجمت أجزاء منها الى الانجليزية . وتحتوى تصنيفاته فى «الفارماكوبيا» على ما يقرب من سبعمائة وستين عقاراً . ويقول الدكتور «وليم أوسلر» إن كتاب «الشفاء» لابن سينا قد اعتبر «انجيل الطب» ، واحتل هذا المركز مدة تفوق بكثير المدة التى احتلها أى كتاب آخر .

ولا يخفى أن المعرفة فى العصور القديمة والوسطى كانت لا تعرف التخصص الذى نعرفه اليوم . فكان المفكرون والفلاسفة ، الى جانب اشتغالهم بالفلسفة يعالجون المسائل الرياضية ، ويبحثون فى الموسيقى والفلك ، بل وينظمون الشعر أحياناً . وقد يدهش كثير من الناس اليوم حين يعلمون أن عمر الخيام مؤلف الرباعيات المشهورة التى ترجمت الى كثير من اللغات الأوربية ـ كان يعتبر ضمن علماء الفلك والرياضة الممتازين . وكذلك فان الفيلسوف «الكندى» يعتبر من أهم الشراح لنظريات فيثاغورس فى الهندسة والرياضيات ، كما اشتغل بالكيمياء والبصريات ، وله آراء قيمة فى الموسيقى دلت على تقدم هذا الفن فى البلاد الاسلامية قبل انتقال أصوله العلمية الى أوربا .

ويعتبر «أبو علي الحسن بن الهيثم» اعظم عالم عربى فى الطبيعيات . وقد عاش فى القاهرة بين سنتى ٩٦٥ ـ ١٠٣٩ ميلادية . وهو يمثل وحده طفرة كبرى فى تطور البصريات وفسيولوجيا النظر . وقد ترجم مؤلفه فى «البصريات» الى اللاتينية والايطالية ، وأصبح المرجع الأساسى لعلماء الطبيعة ، كما كانت أبحاثه التى كرسها لاختراع العدسة المكبرة هى الأساس الذى اعتمد عليه كل من «روجر بيكون» و «فيتلو» البولونى ، بعد ذلك بثلاثة قرون فى ابحاثهما الخاصة بالميكروسكوب والتلسكوب . كما أن «فيتلو» الذى كتب أول مؤلف أوربى فى البصريات ، فى القرن الثامن عشر ، استمد معظم آرائه من كتاب ابن الهيثم . وقد اطرح ابن الهيثم نظريتى «اقليدس» و «بطليموس» ومهد لنظريته الجديدة بوصف دقيق للعين ، ولعملية التنسيق فى الابصار المزدوج بواسطة العينين ، كما انه فسر ظواهر الانكسار تفسيراً ينم عن عبقرية ، وكان أول من أشار الى كيفية استخدام الغرفة السوداء فوضع بذلك أساس التصوير الفوتوغرافى . وحين أشاد علماء الغرب بفضله على العلم الأوربى لم يكن فى تقديرهم هذا ، أى أثر للغلو أو المبالغة ، إذ صرح العالم الرياضى «شال» وهو من علماء القرن التاسع عشر أن أبحاث ابن الهيثم كانت النواة الأولى التى انبثقت منها جميع النظريات الأوربية فى علم البصريات ، وأنه حتى ظهور أبحاث «كيلر» و «ليونارد» ظلت البحوث ، فى علم الضوء والبصريات ، تعتمد كلها على كتابات ابن الهيثم .

ويعزى الى العرب الفضل فى ادخال الطريقة التجريبية فى علوم الطبيعة والكيمياء ، وبذلك حققوا فيهما تقدماً حاسماً بعد أن ظل هذان العلمان ، مدة طويلة ، قاصرين على الآراء النظرية التى قدمها فلاسفة اليونان .

ويعتبر «جابر بن حيان» أشهر اسم عربى فى مجال علم «الكيمياء» . وقد عاش فى الثلث الأخير من القرن الثامن (حوالى ٧٧٦) . وبدأ بحوثه كمن سبقه من علماء اليونان والمصريين من الفكرة التى كانت تقول بأن جميع المعادن الشائعة كالقصدير ، والرصاص ، والحديد ، والنحاس يمكن تحويلها الى ذهب أو فضة بعد معالجتها بطريقة كيميائية . ولكن فضله الأساسى هو فى إظهار أهمية الوسائل التجريبية وتوضيح طرق استخدامها . ولذا فقد تقدمت الكيمياء على يديه نظرياً وعملياً . ويعتقد علماء الغرب أن «جابر بن حيان» هو مكتشف كثير من المركبات الكيميائية التى لم يرد ذكرها فى مؤلفاته الاثنين والعشرين .

ونسبة مؤلفات أخرى كثيرة اليه ، خير دليل على انه منذ مطلع القرن الرابع عشر ، لم يكن هناك مؤلف يظهر فى الكيمياء إلا ويشير فى كثير أو قليل الى جابر بن حيان . وقد استطاع الباحثون المحدثون أن يستخرجوا من بين الخليط من الآراء والاكتشاف التى نسبت اليه بعض الحقائق التى اكتشفها فعلا . ومن ذلك انه كان أول من وصف وصفاً علمياً عمليتين هامتين فى محيط الكيمياء ، ونعنى بهما عمليتى التكليس والاختزال ، وأدخل كثيراً من التحسينات على الوسائل التى كانت مستعملة فى عمليات التبخر ، والتسامى والذوبان ، والتبلور .. وتوصل الى تحضير حامض الكبريتيك ، وحامض الأزوتيك ، ثم خلطهما لانتاج ما نسميه «ماء النار» ، واستخدمه فى إذابة الفضة والذهب . ومن الناحية النظرية عدل فى نظريات أرسطو عن تركيب المعادن وظلت آراؤه مقبولة فى عمومها حتى ظهور الكيمياء الحديثة ، أى حتى القرن الثامن عشر .

أثر العرب فى ميادين الفن والعمارة

يعتقد الكثيرون أن العرب الذين برزوا فى الميادين العلمية التى ذكرناها قد قصروا كل التقصير فى ميدان الابداع الفنى . ويذكرون فى ذلك قول ابن خلدون نفسه فى مقدمته : «ليس للعرب فن إلا فن الشعر» . والحق أن ابن خلدون خلط فى هذا الحكم بين العرب الذين عرفوا جميع الفنون الحضارية ، وبين الأعراب الذين عاشوا فى البادية .

والواقع أن العرب قد أمدوا الأوربيين بمعارف فنية وأصول معمارية تأثرت بها حضارة الغرب الى حد كبير . وقد خلد العرب مجدهم فى تاريخ الفنون بما أبدعوه من أشكال زخرفية تبدو فى المساجد والقصور العربية . ولا ينكر أحد روعة ما عكسته هذه الزخارف من جمال شكلى ، ومدى ما أحدثته مبتكراتها الطريفة من أثر فى الذوق الأوربى . ولعل الصور العربية التى تزين سقف «قاعة الملوك» فى قصر الحمراء بغرناطة (وهى تمثل فرسان العرب ، وقد امتطى بعضهم صهوات جيادهم ، وسدد بعضهم الآخر رماحه الى صدور أعدائه) ـ لعل هذه الصور كانت نماذج تعلم منها رساموو أوربا طريقة تزيين أسقف الكنائس والقصور بالصور الملونة ، واتخذوا منها نقطة انطلاق للتجديد الفنى الذى حققوه بعد ذلك فى عصر النهضة الأوربية .

وهناك تحفة فنية فى متحف «اللوفر» بباريس تدل على مبلغ ما وصل اليه العرب من مستوى رفيع فى فن الحفر . هذه التحفة ، التى عثر عليها الأسبان فى قرطبة ، والتى يدل تاريخها على انها صنعت فى عام ٩٦٨ م عبارة عن علبة خشبية اسطوانية حفرت على جدرانها صور نساء يعزف بعضهن على العود ، وتغنى الأخريات ، وصور غزلان ونمور وفهود .

بيد أن أهم ما يستحق التنويه فى هذا الصدد هو الأثر الكبير الذى أحدثته فنون الموسيقى والغناء والرقص فى فنون أوربا المماثلة لها . إذ يحسب أكثر الناس أن هذه الفنون الثلاثة مختلفة عند العرب ، أو أنها عندهم من لون مختلف كل الاختلاف عن لون نظيراتها فى أوربا . والا صلة بين هذه وتلك ، ومن ثم لا يكون للأولى اى تأثير فى الثانية . ولكن الذى يدرس تاريخ الموسيقى الأوربية يدرك مدى خطأ هذا القول . ونحن نكتفى هنا ، للتدليل على صحة ما نذهب اليه بنقل ما ورد فى هذا المجال عن مفكر اسبانى ، إذ يقول «لم يكف العرب عن تجديد آلاتهم الموسيقية التى نقلوا أصلها البدائى عن بلاد فارس وغيرها ، ثم ابتدعوا الربابة من آلة القوس ذى الوتر الواحد ... ومن الربابة العربية عرفت أوربا «الكمنجة» ، وقد أدخلوا كذلك تحسينات جوهرية على العود والقانون ... ولولا «الكلافسان» التى تولدت من «القانون العربى» ، ولولا «الكمنجة» التى تولدت من «الربابة» ، لظلت عبقرية «باخ» ، و «موزار» خرساء . ويقول «فيتسى» بصراحة فى كتابه «التاريخ العام للموسيقى» إن «الموسيقى الأوربية بنيت فى أواخر القرون الوسطى من أصل عربى» . وقد واصل شعراء الأندلس تطوير الشعر ليجعلوه أكثر ملاءمة للغناء ، فنظموا الموشحات ذات القوافى المتبادلة فازداد فن الغناء ، وفن الموسيقى العربية ارتقاء ، بينما لم تكن أوربا تعرف إلا الغناء البدائى ، ونغمات القيثارة ، والمزمار غير الموقعة . ويقول «جون روا» فى كتابه «منابت الشعر الغنائى» : «كانت الأغانى العربية الأندلسية تنتشر فى سرعة تفوق سرعة انتشار الكتب وقد ارتقى فن الرقص فى فرنسا بتوجيه الأندلس ، وذلك منذ أخذت الأندلسيات يرقصن فى قادس لأول مرة على انغام الصاجات ومختلف الآلات الموسيقية» .

ننتقل الآن الى ميدان آخر من ميادين الفنون العربية ، وهو ميدان فن العمارة ، والزخرفة ، وتنسيق الحدائق الذى اغترفت منه أوربا اغترافاً . فلقد سكن ملوك أوربا القصور بعد القلاع خلال اتصالهم الأول بالعرب ، وانشأوا الحدائق أيضاً فى هذه الحقبة بالذات . ولاشك أن العلاقات الطيبة بين ملوك أوربا وأمراء الأندلس كانت سبباً فى تغلغل تأثيرات العمارة الأندلسية فى أنحاء أوربا . وتتمثل هذه التأثيرات فى استخدام عقد حدوة الفرس «والطرز» المربعة المحيطة به ، أو النوافذ المزدوجة . كذلك نرى هذه التأثيرات الأندلسية فى كثير من الكنائس فى اسبانيا .

ولقد كانت هناك مناطق فرنسية أخرى على علاقة وثيقة بأسبانيا فى القرن الحادى عشر والثانى عشر . وشوهدت بعمارة هذه المناطق محاولات كثيرة مستلهمة من الفن المعمارى الأندلسى .

من كل ما تقدم يبدو مدى ما أحدثه الفن العربى الأندلسى من تأثير فى الفن الأوربى ، ويبدو مدى ما أحدثه العرب من تأثيرات عميقة تفصح عن فضل الحضارة الاسلامية على الحضارات الغربية .

● ●

هذه أطراف من أمجاد العرب ، ولمحات عن حضاراتهم الزاهرة . وقد قامت هذه الحضارة ـ كما رأينا ـ على صفات أصيلة فى نفس العربى دعمتها سماحة الاسلام ، وتشجيع العلم ، وتكريم العلماء ، وتضامن شعوب الأمة العربية ، وتساندها للوصول الى أهدافها السامية .

وإذا كانت الحضارة العربية اليوم تتطور لتساير تقدم العلم الحديث ، فان ذلك يجب ألا ينسيها طابعها الخاص ، وشخصيتها المتميزة ، ويجب ألا يفنيها فى الحضارات الأخرى . إذ أن عناصر نهضتنا وتطورنا يجب أن تنبثق من طبيعة بيئتنا ، ونظمنا ، وتقاليدنا . والتطور الذى تحتمه طبيعة الحياة الحديثة فى عصر العلم والاختراعات يجب ألا ينسينا تقاليدنا القويمة .

إن الأزمات التى يعانى منها العالم اليوم سببها انغماسه فى المادية الجارفة ، والتعصب المقوت ، ومحاولة اخماد صوت الحق . وما أحوجه لأن ينتفع بما فى رسالة الحضارة العربية من انسانية ، وروحانية ، ونورانية ، حتى يتبدل خوفه أمناً ، وقلقه استقراراً وطمأنينة .

د. السيد محمد بدوى



بعض الباحثين والمفكرين الذين اشتركوا فى ندوة « العمالة الاجنبية فى اقطار الخليج العربى » التى عقدت مؤخرا فى الكويت .

٧٠ باحثا ومفكرا

يناقشون قضايا العمالة والتخطيط في أقطار الخليج العربي

بقلم : الدكتور أحمد محمد حسين نعمة

بدعوة من المعهد العربى للتخطيط بالكويت ومركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت ، انعقدت فى الكويت ندوة على درجة كبيرة من الاهمية من ١٥ الى ١٨ يناير ١٩٨٣ موضوعها « العمالة الاجنبية فى اقطار الخليج العربى » . وقد قدمت فى الندوة اربع عشرة دراسة تم التعقيب عليها بخمسة وثلاثين تعقيباً . وقد شارك فى هذه الندوة سبعون باحثاً ومفكراً ومختصاً فى قضايا العمالة والتخطيط والتنمية فى اقطار الخليج العربى من بينهم د . اسماعيل سراج الدين الخبير فى الاقتصاد السياسى وديناميكية السكان من جامعة « جونز هوبكنز » فى الولايات المتحدة و د . جورج قصيفى من الامم المتحدة ـ اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا ، د . روبرت مابرو مدير معهد أكسفورد لدراسات الطاقة . د . رياض طبارة ممثل برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، فيصل مدوه من مجلس التعاون لدول الخليج ، د . عبد الفتاح ناصف مستشار معهد التخطيط القومى فى مصر ، الأستاذ علي العوني رئيس قسم تخطيط القوى العاملة بمنظمة العمل العربية ، الأستاذ محمد شريف داود الأمين العام المساعد بالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، د . نعيم أحمد الشربينى من البنك الدولى للانشاء والتعمير بواشنطن و د . عبد المؤمن محمد العلبى خبير المعلومات والحسابات القومية بالصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى .

وتكتسب الندوة اهمية خاصة لتناولها الشامل لمختلف القضايا والمشاكل الناجمة عن تزايد الاعتماد على العمالة الأجنبية فى دول الخليج العربى وبالتالى تواجد جاليات اجنبية كبيرة فى قوة العمل والسكان تصل فى بعض المناطق الى اغلبية ، مما يثير المخاوف على عروبة هذه المناطق . وترتب على وجود هذه الجاليات الأجنبية بسبب سماتها الاجتماعية والاقتصادية الخاصة ، مشكلات اجتماعية واقتصادية وربما سياسية ايضا . وتدل مؤشرات السنوات الأخيرة على تزايد نسبة الأجانب فى قوة العمل والسكان على حساب انخفاض نسبة العرب الوافدين الى هناك ، كما ظهر وتاكد شكل جديد لتنظيم العمالة الاجنبية على صورة مجمعات عمل سواء فى إقامة مشروعات الانشاءات



وصل عدد المشتركين فى الندوة إلى سبعين باحثا ومختصا فى قضايا العمالة والتخطيط والتنمية

الضخمة والمجمعات الصناعية وتسييرها . كل هذه الأمور تثير إشكاليات تتعلق بمدى التآلف الاجتماعى والاستقرار السياسى واحتمالات التنمية ببلدان الخليج العربى ، مما يوجب دراستها بعمق من منظور قومى عام .

ثلاثة محـــاور

وقد ارتكزت الندوة حسب المخطط المعد لها على ثلاثة محاور : المحور الأول عن توصيف الظاهرة واشتمل على ثلاثة بحوث. البحث الأول بعنوان «حجم وتركيب قوة العمل والسكان فى أقطار الخليج العربى» وهو دراسة للتغير فى حجم وتركيب قوة العمل والسكان خلال عقد السبعينات (خاصة منذ ١٩٧٥) مع بيان أهم خصائص قوة العمل والسكان طبقاً للسن والنوع وتقسيم السكان وقوة العمل طبقاً للجنسية الى مواطنين عرب وافدين ، وأجانب مقسمين الى ايرانيين ، مواطنى الهند وباكستان ، وشرق آسيا ، وأوروبا وأمريكا وجنسيات أخرى ، وتصنيف قوة العمل حسب قطاعات النشاط الاقتصادى والاجتماعى (الادارة الحكومية ، القطاع العام ، القطاع الخاص والمشترك وقطاع الخدمات الشخصية والعائلية ، والمهن، والجنسية .

والبحث الثانى عن تنظيم استخدام العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى وهو حصر وتحليل للسياسات والقواعد القانونية وللقرارات الوزارية والادارية المنظمة لدخول وإقامة الوافدين من الأجانب الى دول الاستخدام سواء للعمل أو الالتحاق بعائليهم ، والتصريح لهم بالعمل وتنظيم استخدامهم ، وتحليل توجهاتها . مع التعرف على الممارسات الفعلية بهذا الشأن ومدى الالتزام بالقواعد الموضوعية وبيان الفرق بين معاملة الأجانب ومعاملة العرب الوافدين إن وجد .

أما البحث الثالث ففى ظروف عمل ومعيشة العمال الأجانب وهو دراسة للظروف الخاصة بمعيشة العمال الأجانب من الجنسيات المختلفة وعلى الأخص فيما يتعلق بالأجر وبظروف العمل والسكن والمستوى المعيشى عامة ومدى تمتعهم بالخدمات التى توفرها الدولة لمواطنيها ، ونوعية الخدمات التعليمية والصحية التى تتوفر لهم ومدى اعتمادهم على الجهود الذاتية أو جهود دولة المقر أو دولة المصدر فى توفيرها . كما تتناول الدراسة مدى التحاق الأسر بعائليها واستقرارهم الأسرى ومدى اختلاطهم بباقى المجتمع .

الأسباب والآثار

وبالنسبة للمحور الثانى للندوة والمتعلق بالأسباب والآثار فيشتمل على سبعة بحوث ، البحثان الأول والثانى متصلان وقد وضعا عن أسباب انتشار استخدام العمالة الأجنبية (الآسيوية) فى أقطار الخليج العربى ومدى الحاجة إليها : تحليل للظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية التى أدت إلى تدفق العمالة الأجنبية الى أقطار الخليج العربى خاصة فى الفترة التالية لعام ١٩٧٣ ، وتتناول الدراسة على وجه التحديد التواجد التاريخى للعمالة الأجنبية فى بعض مناطق الخليج العربى ، ومناقشة مدى تفضيل القطاع الخاص للعمالة الأجنبية والعوامل المؤثرة فى ذلك ، ودور وكالات توريد العمالة الآسيوية ، ومدى كفاءة سوق العمالة العربية .

البحث الثالث يعالج آثار العمالة الأجنبية على الأسرة العربية وبالتحديد التأثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة فى المجتمعات الخليجية : تحليل تفصيلى لطبيعة الآثار المترتبة على الاعتماد المتزايد على العمالة الأجنبية فى مجال الخدمات الشخصية (خاصة الاعتماد على المربيات الأجنبيات) ، فى مجال تربية النشء حيث يمكن أن تؤثر على نوعية القيم والعادات التى يكتسبونها إلى جانب التأثير على اللغة .

البحث الرابع يناقش آثار العمالة الأجنبية على التآلف الاجتماعى ويهدف إلى التعرف على طبيعة المشكلات الأجنبية التى تنشأ عن وجود كتل بشرية تختلف عاداتها ولغاتها وظروف معيشتها وآمالها وقيمها ، ولا تتفاعل فيما بينها ، خاصة من حيث تأثيرها مع تطور أقطار الخليج العربى ومدى تنافس الجماعات الواحدة فيما بينها واحتمال تفجر نزاعات

عرقية بين الكتل البشرية المختلفة .

البحث الخامس :يتطرق لآثار العمالة الأجنبية على الثقافة العربية حيث يهدف إلى استكشاف الاخطار التى تتعرض لها الثقافة العربية ونوعية القيم الجديدة التى تفرزها ظاهرة العمالة الاجنبية عن طريق دراسة مدى تلوين الثقافة العربية واسلوب الحياة العربية باساليب حياة وثقافات اخرى . ويهتم فى ذلك بالتاثير على اللغة العربية وتاثير العلاقة غير المتساوية بين مختلف الكتل البشرية على اسلوب الحياة خاصة فى العمل والتكسب لدى المواطنين .

إن ما يحدث فى الخليج حسب رأى الدكتور حيدر ابراهيم يعكس أزمة الثقافة العربية ومازق الامة العربية حيث ان اللغة المستعملة فى حالة دفاع فى مناطق الخليج العربى ، فهى تزخر بعدد وافر من المفردات والمصطلحات الهندية والايرانية والانجليزية ، كما يلاحظ بوضوح أن الاستعمال السائد للمصطلحات والكلمات المرتبطة بالآلات والادوات والصناعة هو استعمال الكلمات الأجنبية وهى مدلولات لموضوعات حديثة وكان اللغة العربية غير قادرة على توليد مصطلحات الحضارة الحديثة مما قد يرجح الرأى القائل بلفظية اللغة العربية وانها تميل إلى التجريد والأفكار والخواطر ولا تصنع الأشياء .

إن خطورة وجود العمالة الاجنبية فى المنطقة تاتى من ان ثقافة الآسيويين المتنوعة قد تتسبب فى اضعاف الهوية العربية ، وتفتح الباب امام الاستعمار الغربى والصهيونى الذى لن يجد مقاومة فى ظل انعدام ثقافة عربية جادة ومتاصلة وفى حجم التحدى الحضارى للأمة العربية كما أنه ليس بامكان العمالة الآسيوية التاثير على الثقافة والهوية العربية لو انها كانت فى قدرتها الحقيقة ، كان باستطاعتها تذويب هذه العناصر ، لو على الأقل أن توقف تغلغلها داخل اللغة العربية .

ان الأمن الثقافي لا يقل أهمية عن أى أمن آخر ، وهذا لن يتم إلا من خلال نهوض للثقافة العربية يهدف إلى تحقيق ثقافة عربية حيث تستلهم التراث وتستوعب التغييرات الجارية فى العالم حولها . كما لابد أن تكون ثقافة شاملة



المشاركون فى الندوة اثناء مناقشة تنظيم استخدام العمالة الاجنبية فى الخليج العربى



خلال الاستماع الى احد البحوث التى تهتم بتقييم آثار العمالة الاجنبية على عملية التنمية فى اقطار الخليج

ومتطورة بمعنى أن تصل الى كل المجتمع من خلال مجانية التعليم ومحو الأمية وانتشار وسائل الثقافة وتغيير محتوى التعليم وربطه بالمجتمع .

البحث السادس يهدف الى استكشاف التاثير المحتمل لهذه الهجرة الأجنبية الواسعة واحتمالات استقرار بعض فئات السكان الأجانب فى المنطقة على الأوضاع السياسية لدول الخليج العربى وعلى مواقفها السياسية من بعض القضايا خاصة الوحدة العربية .

البحث السابع يعنى بتقييم آثار العمالة الأجنبية على عملية التنمية فى اقطار الخليج العربى من منظور شامل وعلى وجه الخصوص بالنسبة للتكامل العربى . كما يركز على آثار العمالة الأجنبية على امكانيات تنمية القوى البشرية المواطنة مع التركيز على اخلاقية العمل ، انتاجية العمل وتدريب وتعليم المواطنين .

حل المشكلة

اما المحور الثالث للندوة المتعلق بحل



كانت فعالية هذه الندوة بالغة الاهمية .. وهنا عبد الله محمد علي يلقي كلمته ، وإلى جانبه جاسم القطامي والدكتور خير الدين حسيب

المشكلة فيشتمل على اربعة ابحاث .

البحث الأول : يدور حول العمالة الاجنبية وانماط التنمية الاقتصادية فى اقطار الخليج العربى،وهو محاولة للتعرف على العلاقة بين معدلات نمو النشاط الاجتماعى والاقتصادى المختلفة ومعدلات الهجرة الى الدول العربية فى الخليج ، وخاصة من قوة العمل الاجنبية والسكان الاجانب ، وتحديد ما هى المعدلات الانسب للنمو سواء من وجهة النظر القطرية او القومية .

وعلى وجه الخصوص يتطلع البحث إلى دراسة مدى ضرورة الحجم من قوة العمل الاجنبية لمستوى النشاط الاجتماعى ـ الاقتصادى السائد بالفعل،مع التركيز على بعض قطاعات العمالة مثل الادارة الحكومية والخدمات الشخصية والعائلية ومدى امكان الحد من هذه الهجرة الاجنبية عن طريق تعظيم الكفاية الانتاجية والحد من البطالة المقنعة واختيار الفن الانتاجي وتبنى انماط حياة متوافقة مع هذا الهدف .

البحث الثانى من المحور الثالث يهدف لتحديد مدى وجود سياسات سكانية وسياسات عمالية واضحة ومحددة ، تاخذ فى الاعتبار التاثيرات المحتملة لهذه السياسات على التنمية الشاملة ، وتقييم البعد القومى لهذه السياسات خاصة فيما يتصل باستخدام العمال الأجانب . كما ويهدف البحث إلى محاولة التعرف على ماهية السياسات السكانية وسياسات العمالة الأصلح بالنسبة لهذه الأقطار من منظور تنموى قومى شامل . ان المطلوب فى هذا المجال هو رسم سياسات لاصلاح التركيبة السكانية وترشيد استخدام العمالة الوافدة ، والتقليل من الاجنبية منها ، ترتبط عضوياً بمشروع مخطط لتنمية المجتمعات الخليجية ويقوم على تنمية القوى البشرية المواطنة والعربية .

اما البحث الثالث فيدور حول التعاون العربى للحد من العمالة الأجنبية حيث يناقش قدرة البلاد العربية المصدرة للعمالة على توفير العمالة العربية المطلوبة لدول الخليج بالمهارات والانواع اللازمة ، وتقييم القدرات التصديرية لدول المنشا وامكانات رفع كفاءة القوى العاملة بها وتنمية مواردها البشرية وزيادة مستوى المهارات لديهم واليات تنظيم انتقال قوة العمل بين البلدان العربية . ويهدف البحث أيضاً إلى استكشاف ضرورات ومجالات التعاون العربية بهدف الحد من العمالة الأجنبية ببلدان الخليج العربى وافضل الطرق لتحقيقه .

اما البحث الأخير من المحور الثالث فيتعلق بتجربة العراق فى العمالة الوافدة الأجنبية ومدى علاقة ذلك باستخدام العمالة العربية والى حد تتفق ظروف وشروط ذلك مع ما هو مطبق فى بقية أقطار الخليج العربى .

خلاصة الدراسات

وقد أسفرت دراسات الندوة ومناقشاتها كما جاء فى تلخيص عام للندوة للدكتور نادر فرجانى عن حقائق ثلاث جوهرية .

الأولى: أن العمالة الاجنبية فى بلدان الخليج العربى ظاهرة مركبة تمتد جذورها اسباباً واثاراً ، الى كافة ابعاد هذه المجتمعات . فالعمالة الاجنبية لا توجد فى فراغ ، وإنما نشات فى رحم الاقتصاد السياسى للمنطقة فى تمفصله الداخلى وعلاقاته العربية وارتباطاته الدولية . كما انها ما فتئت تؤثر فى الوضعية الاقتصادية والسياسية لاقطار الخليج العربى وتتاثر بها فى تفاعل جدلى مما يكاد ينشيء للعمالة الاجنبية الية مجتمعية تلقائية .

الثانية : أن التلاحم الوثيق لمشكلة العمالة الاجنبية مع النسيج الاجتماعى الاقتصادى لبلدان الخليج العربى يرجع حلها النهائى الى الاطار الشامل نفسه . ولكن توجد على الطريق الى هذا الحل علامات كثيرة ربما كان اولها فى المجال الفكرى هو التعرف الدقيق على ابعاد المشكلة باسلوب علمى رصين ونشر الوعى الجاد بها من منطلق الالتزام بالتقدم والوحدة فى الوطن العربى .

الثالثة : إن معرفتنا بظاهرة العمالة الاجنبية فى كليتها قاصرة عن متطلبات العمل الفكرى اللازم لمجابهتها . ويعود هذا الى عدم توافر الاحصاءات عن النواحى المختلفة لقوة العمل والسكان وارتباطاتها الاجتماعية والاقتصادية من ناحية ، والى قرب الغياب التام للبحث الميدانى المضبوط فى نواحى الظاهرة التى لا تغطيها عادة بيانات الأجهزة الاحصائية .

د . أحمد محمد حسين نعمة

أولوية تشغيل العمال العرب في العالم العربي

بقلم: د. محمد شتا أبوسعد

لكم تمنيت مذ طالعت دراسات ومقالات «الدوحة» الغراء ، أن أكتب فى هذا الموضوع الحيوى ، ولكنى كنت أحجم دائماً ، لما أعلمه من أن مجال هذا الموضوع الهام ، هو الدراسات التى تستوعبها المجلات المتخصصة ، وبقى ركام الأفكار يلح على خاطرى كثيراً ، فالمجلات المتخصصة قل ان تقرأ وهذا موضوع حيوي لا يجوز ارجاؤه . وعقدت العزم فمنبر الدوحة عريق وعميق الى أبعد حد ، وأنا بدورى أحور الفكر ليتسق مع الغاية من النشر .

ونقطة البداية فى فلسفة أولوية تشغيل العمال العرب فى العالم العربى ، تكمن ليس فقط فى الاعتبارات الانسانية والمصلحية المجردة ، بل أيضاً ، وفى المقام الأول ، فى أثر العمل العربى على العامل العربى .

بيان ذلك أن فرصة العمل التى تمنح للعامل العربى ، تتيح له خبرات عملية بالغة الدقة ، وإذا وقفنا عند العمل اليدوى وشبه الفنى ، وهو المقصود هنا ، لوجدنا أن طالب العمل ، بفضل فرصة العمل ، يحتك احتكاكاً مباشراً مع كافة الأجهزة المختصة فى بلده ، فينتقل عبر تراب بلده الوطنى أميالا عديدة ، من أجل الحصول على ترخيص عمل ، وتوثيق أوراق ، ودخول سفارات ، وطرق أبواب والعائد غير المرئى الهام هنا ، هو تلك الخبرة العظيمة التى يكتسبها طالب العمل ، فتنعكس على فكره ، وأسلوب تفكيره ، وطموحه ، واحساسه العام بالمشكلات الصغرى ، التى لم تكن لتدخل فى حسبانه على الاطلاق ، لو استنام الى هدوء العيش ، واستراح من الطموح .

وبعد ذلك تأتى خبرة السفر ، وهى خبرة بالغة الأهمية ، قد تعكسها عبارات كبار الدارسين لطبائع السلوك الانسانى ، من أن الطائرات بين البلدان العربية ، تتحول فى مواسم السفر للعمل والعودة ، الى ما يشبه «المصاطب»ولست أعبا من هذا التعبير بغير الاختلاط والتدخل البشرى الوجدانى والفكرى الذى تتيحه هذه الفرصة ، ثم ما تستلزمه من اتصال بشركات الطيران ، وهو اتصال كانت تحوطه السمة الأرستقراطية قبل وجود فرص العمل العربية ، وصار بعد ذلك أمراً سهلا وهينا بالنسبة لطالب العمل .

وأكثر من هذا ، وأخطر ، تلك الخبرة الشخصية ، التى يجتازها ، طالب العمل ، عندما يبدأ يجرى سلسلة التوقعات ، وهى العملية الذهنية ، بالغة التعقيد ، والتى تتيح له ، فرصة التصور والتخيل ، لما ستكون على أرض الوطن الجديد ، وناس هذا الوطن ، ومعاملاتهم ، وتعاملهم ، ومدى نجاحه فى التكيف معهم ، وقدرته على إرضائهم ... وتلك سلسلة رهيبة من التوقعات تحتاج الى تفكير وإنعام نظر ، وتبصر ، وما يقتضيه كل ذلك من عقد العزم على الاجتهاد فى العمل .

وإذا اختزلنا المراحل اللاحقة ونفذنا مباشرة الى العائد الأساسى من عمل العربى فى الوطن العربى ، والذى يشكل جوهر الفكرة ، لوجدنا انه ليس المقابل المادى وحده ، بل الاندماج والامتزاج العربى ، بما ينطوى عليه ذلك من التأثير الحضارى المتبادل أو المزدوج ، وإذا كان للانسان أن يتصور خطورة هذا الأثر ، فله أن يتصور ما كنا نتلقفه على لسان رجال الأسفار والترحال من قصص ، ثم مقارنة ذلك بما يحدث الآن ، فى عشرات الأماكن ، داخل القرية الواحدة ، فى مصر ، على سبيل المثال .

إنك تسمع أن هذا يعمل فى صعدة فى اليمن وتسمع البلدة تحديداً ، وذلك يعمل فى خميس مشيط فى المملكة العربية السعودية ، بينما يعمل ثالث فى الدوحة ورابع فى العين ، وخامس فى الأحمدى وسادس فى الأنبار بالعراق ، وسابع فى بيروت رغم الحرب والحصار والصراع ، وثامن فى حلب ، وتاسع فى وجدة بالمغرب وعاشر فى غريان بليبيا ، ثم هذا يعمل فى أم درمان بالسودان وذاك يعمل فى مقديشيو ثم هؤلاء يعملون فى عمان أو عمان ، أو يجوزون تونس فى طريقهم الى الجزائر .

إنه شىء غريب حقاً أن تسمع فى بلدة واحدة قصص كل هذه البلاد وغيرها ، وإذا كان لكل عامل قصة ، فان لكل عامل خبرة أيضاً ، وهذا هو بيت القصيد .

ولذلك فاننى أعتقد أن تشغيل العمال العرب لدى العرب أنفسهم هو أعظم نشر جديد لرسالة الأخوة ، التى تحاول الحكومات العربية الآن ، باخلاص ، أن



توثق عراها .

وإذا كان اليوم لا يولد إلا من رحم الغد ، وكان غدنا العربى واحداً ، بمشيئة الله ، فان التمازج العربى يصبح أمراً لا مفر منه ، ومن هنا فان أولوية تشغيل العمال العرب فى العالم العربى ستحقق المعانى الكبرى الآتية :

● التراحم العربى :

وهذا مطلب عظيم ، ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان الآن ، ذلك أن أية علاقة عمل ، تنطوى على نوع من التعاطف ، حب العامل للعامل ، وحب العامل للآلة ، وحب العامل لصاحب العمل ، هذا اذا استثنينا العلاقات الشاذة ، ومحصلة كل ذلك ، هى مولد تراحم عربى ، نحن أحوج ما نكون اليه لتحقيق المعنى الثانى الهام .

● خلق أسس حضارة عربية مشتركة :

إننى لا أتجاوز الحقيقة اذا استخلصت أن ما يجرى فى العالم العربى الآن هو مخاض حضارة عربية كبرى ، لن يخيب أمل المسلمين فيها ، فأيدى العمال العرب التى تتدرب هى درع كبير وهام ، فى مواجهة الهجمة الصهيونية الرهيبة ، التى لازال البعض لا يعي مخاطرها ، وهى هجمة قد لا تدع ، للعالم العربى ، دوراً حضارياً يلعبه أو يبنى معالمه ، ما لم تتجه كل الأنظار لعمل عربى حضارى كبير .

وفى هذا الصدد يثور السؤال عن مدى امكانية فرض ضريبة حضارة على كل عامل عربى ،تخصص لعمل حضارى عربى علمى كبير ، ولست أريد التطرق للتفاصيل ، لأن المقصد واضح ، فلتكن الفكرة فى قلب كل منا ، ولتحدث اتصالات ، ثم لتكن النتيجة ما تكون بعد ذلك .

● فتح المجال أمام الطاقات الخلاقة :

وليس المقصود طبعاً بالطريق الفردى ، بل المقصود هو أن العمل العربى الذى يتيح فرصة العمل أمام العربى ، سيفتح باب الحوار فى مجال العمل ، أمام العمال ، لخلق أسس فكرية تيسر القيام بعمل يحقق الطموح .

● تجسيد الارتباط العضوى بين البلدان العربية :

ولنا أن نستشهد هنا بكلمات الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن فى العدد ٨٥ من الدوحة ص ٣٤ عن مثل هذا الذى نعنيه بيقين حين قال إن «الشوام» قد لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، كما لعب المصريون مثل هذا الدور فى تاريخ بلاد الشام» ولكن الفارق فيما أقصد ، هو أن الدور فيما نحن بصدده ، يدور فى فلك البنيان الحضارى العام ، لا مجرد التأثير السياسى أو الحضارى الخاص .

● تأكيد الثقة الايمانية لدى العوام :

ولست أخرج على الموضوع إذا سردت هنا قصة ذات مغزى ، أقتطف منها ما قاله ، كتابى ، صديق حميم ، لمسلم ، قريب منى جداً ، «لنا المال ، وفينا الجمال .. يا حاج» فقال له «ولنا الله ..... ثم تلى قوله تعالى «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب» . وهذا مثال ، والمعانى الأخرى الكثيرة مفهومة ، إنما يهمنى أساسها ، وهو أن الله سبحانه وتعالى لا يترك مؤمناً مهما ابتلاه بالفقر والمرض ، ولنا إذن كعرب أن نجعل أولوية العمل لدى العرب للعرب .

● التأهيل للمستقبل :

فتلمذة اليوم ، والتدريب ، واستقرار العلاقات ، وفهم الأصول ، والتكافل ، والخبرة ، والحماية ، ووزن العلاقة بين العمل والأجر ، والوقوف على الأعراف والعادات ، والتعاضد والتآزر الجماعى ، كل ذلك يعنى المرور بالمرحلة الصعبة ، بغية الوصول الى بر الأمان ، أى الى بر المستقبل المؤهل (فى المفاهيم المتقدمة يمكن مراجعة د. فتحى عبد الرحيم عبد الله ، مبـــادىء قانون العمـــل والتامينات الاجتماعية ـ دراسة مقارنة ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى من ص ١٥ حتى ٣٠٤) .

عمل عربى كبير

وبالجملة ، فنحن الآن كعرب ، لا تقتلنا شعوبية ، ولا تفرق بيننا مسافات ولا حواجز ، سوى خنجر إسرائيل ، يجب أن نبذل جهوداً كثيرة لرسم معالم طريق العمل العربى ، الذى يبدأ على التراب العربى ، بالساعد العربى ، من أجل كل عربى ، فنحن إذن فى حاجة الى عمل عظيم ، ومع أننى لا أقصد هنا العمل الأدبى ، إلا أننى أستعين بالعبارة العامة المجردة التى وردت فى مقال الدكتور محمد جابر الانصارى فى العدد ٨٥ من الدوحة ، ص ١٢ ومساقه «إن أى عمل عظيم لا يمكن أن يكون مجرد استمرار لما سبقه ، لأنه فى هذه الحالة تقليد غير مبدع ، كما أنه لا يمكنه أن يكون مجرد نقض خالص ، لأنه فى هذه الحالة تمرد اعتباطى ينقض الجيد والردىء فى وقت واحد ، فيصبح من عناصر الهدم دون بناء» . فعلا نحن فى حاجة الى عمل عربى كبير من أجل أولوية العربى فى العمل العربى ، لكن دون أن يكون ذلك على حساب صناعة المستقبل ، بالخبرة الأجدر ، وهنا يقع على عاتقنا دور هام فى تلقى الخبرة ، واستيعابها لاعادة بعثها من جديد ، فى ثوب عربى قشيب .

وفى النهاية ، فلست أجد ما أختم به هذه المقدمة سوى كلمة للاستاذ عبد الله الجفرى فى مقاله عن الحقيقة ليست «حر ملك» فى نفس عدد الدوحة سابق الذكر ص ١٦ «فى يقظة النهار .. يشمخ الآدمى بمقدرته على الحركة ، والتنقل ، وقرع المصالح ، والاستفادة من نتائج البشر عندما يفكرون أن هذه حياة يلتزم فيها الواحد بنبضه ، وببصره ، وبشرايينه ، ولابأس أن يموت معنوياً ، أو يموت خلقياً ، أو يموت بالسكتة ... فهو قد حاول أن يحيا للغد» ولقد حاولت فى هذه الكلمة أن أحاول الحياة للغد .

د. محمد شتا أبو سعد

من هم المستفيدون من التشكيك في القرآن والسُّنّة؟

بقلم : عبد القادر بن محمد العمّاري

● افتراءات المبشرين تبعث من قبورها، ورياح الاستشراق تهب من جديد على الأرض الإسلامية تحت مظلة حرية الرأي!

● القواعد التي وضعها أسلافنا في علم مصطلح الحديث ونقد الأخبار هي الميزان الدقيق للتمييز بين الصادق والكاذب

نشر الكاتب حسين احمد امين مقالين فى مجلة الدوحة بالعدد رقم ٨٥ ربيع الاول ١٤٠٣ هـ يناير ١٩٨٣ م . بعنوان « تاملات فى حقيقة امر ابى لهب يهوذا بنى هاشم » والثانى بعنوان « استنكار البدعة وكراهية الجديد موقف إسلامي ام جاهلى ؟ » وكلا المقالين يتضمن التشكيك فى القرآن والسنة . وقد مهد الكاتب لهذين المقالين بمقال سابق نشر بمجلة الدوحة بالعدد ٨٤ صفر ١٤٠٣ هـ . ديسمبر ١٩٨٢ م . بعنوان « رسالة فى الاصلاح الدينى » بين فيه منهجه وما يهدف من الكتابة فى الدين ، ويقول إن الهدم احيانا يفوق البناء فى القيمة ، وإن التشكيك له ما للايمان من اهمية ويعترف بانه سيسلك فى منهجه فى الكتابة طريق المراوغة والمخادعة والتستر احيانا والظهور احيانا اخرى لان الضرورة تقتضى ذلك . وقال عن نفسه إنه مصلح دينى وإن شعاره متى اضرت النوافل بالفرائض لزم رفضها وان المرء اذا اراد العدل الاكبر فلا باس ببعض الظلم ولكن الله الذى يعلم المفسد من المصلح جعله لا يستطيع ان يخفي الزيف عن طريق المراوغة والمخادعة ويضلل القراء وافشل دعواه فى زعم الاصلاح الدينى فكانت اخطاؤه ظاهرة للعيان وزيفه يميزه ابسط القراء ثقافة .

بدأ الكاتب بالتشكيك فى سبب نزول سورة « المسد » ورأى انها ليست من السور المكية . وقال انما نزلت فى الغالب بعد وفاة ابى لهب ولم يستند فيما راه إلى اى حجة بل مجرد تخرصات وتوهمات نعترف انه لم يسبق إليها . واتهم المفسرين باختلاق واختراع اسباب النزول مع أن سبب النزول فى هذه السورة ثابت فى صحيح البخارى ومسلم وبقية الصحاح والسير وليس هناك خلاف بين احد من المحدثين ولا من اصحاب السير ولا المؤرخين ولا المفسرين فى هذه القضية واجمع المسلمون من لدن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ان السورة مكية ، وانها نزلت فى بدء الدعوة ، وانه قد خص ابا لهب وزوجته ام جميل بهذه السورة لشدة عداوتهما للرسول صلى الله عليه وسلم وللدعوة . فما الهدف من أن ياتى احد فى هذا الزمن ويقول غير ذلك !؟ إذ لا سبيل الى معرفة اسباب النزول إلا بالنقل الصحيح ، ولا سبيل الى معرفة المكى والمدنى إلا بما ورد عن الصحابة ، لأن هذه اخبار ليس للاجتهاد فيها مجال . واذا كانت هناك ضوابط لمعرفة المكى والمدنى إنما

هذا كان بالتتبع والتقصى . فمثلا قالوا كل سورة فيها « كلا » فهى مكية وكل سورة فيها « يا أيها الذين آمنوا » فهى مدنية . وغالب سور المفصل مكية . وقال العلماء إنه لا يحل القول فى أسباب النزول الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وهم الصحابة . والاجتهاد فى ترجيح الروايات فقط عند تعددها . وقد ثبت سبب نزول هذه السورة فى الصحاح فقد أخرج البخارى باسناده عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى : يا صباحاه. فاجتمعت اليه قريش . فقال أرايتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم لكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تبا لك . فانزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ) وفى رواية : فقام فنفض يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم . واستشهد الكاتب على رأيه بما ورد فى طبقات ابن سعد وقال إن هذا أقوى دليل عنده لأنه ثقة وما استشهد به هو ما جاء فى الكتاب المذكور من أن أبا لهب خلف أبا طالب فى زعامة قريش وانه حمى النبى فمكث أياما لم يعترضه أحد من قريش خوفا من أبى لهب . وقال إنه لا يمكن تصور هذه الحادثة ان كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة وقد فضل الكاتب رواية ابن سعد وجعلها أقوى الأدلة من أجل أن يدعم رأيه مع أنها من أضعف الأدلة فى هذا الشأن أمام كتب الحديث والسير الأخرى . وقد وصف الكاتب ابن سعد بأنه ثقة ولا يريد أن يمنح هذه الصفة لمن شهد لهم جميع المسلمين ووصفوهم بالثقات ووصفوا كتبهم بأصح الكتب بعد كتاب الله كالبخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وترك روايات أصحاب السير الأخرى كابن اسحاق وبالبتة وقد اختار رواية ابن سعد لم يحرفها ولم يبترها ولم يفعل بها كالذى كان يقرأ « ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » عندما سكت عند « ولا تقربوا الصلاة » وترك « وانتم سكارى » . فرواية ابن سعد تقول فى آخرها غير ما ذكره الكاتب ولا تؤدى الى ما فهمه ولو سايرناه على فهمه فكلها عدة أيام التى زعم أن أبا لهب حمى الرسول فيها . والكاتب جعل الأيام هذه عاما أو بعض عام . وعلى كل فاذا أراد القارىء أن يتأكد من مدى أمانة الكاتب العلمية فليرجع الى طبقات ابن سعد صفحة (٢١١) . والكاتب عندما يتجاهل السبب الصحيح الثابت ويتمسك بالأوهام والتخرصات ويضع تساؤلا عن سبب آخر إنما يريد أن يخلص الى الطعن فى القرآن بالبهتان وبالتعلق بخيوط هى أوهى من بيت العنكبوت .

افتراء على الصحابة

يقول الكاتب « صحيح اننا نعلم أن الصحابى عبد الله بن مسعود وكان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار فى القرآن ذهب الى أن نسخة القرآن التى أقرها الخليفة عثمان بن عفان غير كاملة واتهم زيد بن ثابت واصحابه ممن جمعوا القرآن باستبعاد آيات تلعن الأمويين . غير أن الاتهام غير مقبول . فقد كان على بن أبى طالب والكثيرين غيره من الصحابة أحياء وقت قيام زيد بمهمته ولم نسمع أحداً منهم أيد زعم ابن مسعود واحتج على استبعاد آيات » .

فالكاتب يريد هنا أن يوحى للقارىء بأن الصحابة قد وضعوا وحذفوا بعض الآيات تبعاً لأرائهم السياسية وافترى على ابن مسعود انه اتهم زيد بن ثابت واصحابه الذين اشتركوا فى جمع القرآن بانهم استبعدوا آيات تلعن الأمويين مع انه لم يقل احد من المسلمين فضلا عن ابن مسعود ان هناك آيات من القرآن تلعن بنى أمية استبعدت منه ولكن الكاتب كما هو واضح يريد أن يشكك فى القرآن بالدس والافتراء . وهذا القول الذى نقله الكاتب عن ابن مسعود لا يوجد فى أى مرجع من مراجع المسلمين . وما قاله الكاتب ينتظر أن يقوله بعض الشيعة لا ابن مسعود مع أن ائمة الشيعة انفسهم انكروا ما قيل عن بعضهم إنهم ادعوا نقصاً أو زيادة فى القرآن ، اذ كيف يتسنى لهم ذلك وقد جمع المصحف على مرأى ومسمع من على بن ابى طالب رضي الله عنه بل وباشرافه وموافقته واحضر ما جمعه هو الى عثمان وقال لو لم يصنع عثمان ذلك لصنعته أنا . وقد جاء في كتاب ابى جعفر الأم من كتب الشيعة « ان اعتقادنا فى جملة القرآن الذى أوحى الله به تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو كل ما تحتويه دفتا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر لما من ينسب الينا الاعتقاد من أن القرآن أكثر من هذا فهو كاذب » وقال ميرزا اسكندر كاظم :فالفرق الوحيد هو فى طريقة تقسيم السور وترقيمها وهذا الفرق أيضاً لا يوجد الا نظرياً عند العلماء لأن نسخهم فى الواقع لا تختلف عن نسخ أهل السنة فى شىء (انظر كتاب « مدخل الى القرآن الكريم » للدكتور محمد عبد الله دراز ، وكتاب « مناهل العرفان فى علوم القرآن » الجزء الأول ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى) .

تفسير مادي للاسلام

والكاتب لم يلبث ان كشف أوراقه وبين ما يسعى اليه من نشر مذهبه المادى من خلال الكتابات المتصلة بالدين ، فهو يجرد الدعوة الاسلامية من علاقتها بالوحي ويفسر أحداثها تفسيراً مادياً بحتاً فنراه يقول « لقد كان أبو لهب عم النبى وكان فى وقت من الأوقات على علاقة طيبة بابن أخيه بدليل القصة التى أوردها من كتاب الطبقات وبدليل ان ابنيه عتبة وعتيبة كانا متزوجين أو مخطوبين لابنتي النبى ، الأول لرقيه ، والثانى لأم كلثوم ، فما عسى أن يكون قد حدث بعد ذلك حتى أصبح أبو لهب من رؤوس الكفر من أعدى أعداء الرسول . ثم قال:كلمتان فى السورة عندى مفتاح الاجابة ماله وامرأته » ثم أخذ يشرح كيفية انتقال المجتمعات من رعويه الى تجاريه وكيف تتكون الثروات ثم ما كان من صراع بين أصحاب الثروات الأكثر ثراء والأقل ثراء وما يفرضه الأثرياء من أحتكار للتجارة وقيام جماعتين متنافستين هما جماعة حلف الفضول وجماعة الأحلاف التى تريد أن تفرض الاحتكار مما دعا الرسول الى ان يوجه بعض المسلمين الى الحبشه لكسر ذلك الاحتكار ويبحثوا عن طريق آخر للتجارة الى آخر ما جاءت به قريحة الكاتب من أوهام ووساوس الماديين الجدليين . فهو يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم وصحابته ما هم إلا طرف فى صراع طبقى ، ومن أجل أن يؤكد أن الدعوة الاسلامية لم تكن أساساً دعوة لعبادة الله

وحده لا شريك له وانما كانت فى أساسها نتيجة للصراع الاقتصادى حسب تفسير للذهب الشيوعى للأحداث . يقول الكاتب « إن قريشاً لم تكن كما يعتقد الكثيرون شديدة التمسك بالهتها ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور وإنما استمرت عبادتها للأوثان من قبيل التقليد المحض لسنة اسلافها ونتيجة للافتقار حتى ظهور الاسلام إلى اية معارضة منظمة لهذه العبادة . ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثير منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة ودعوة الحنفاء إلى عبادة إله واحد وتسفيههم لعقيدة قومهم دون ان يلحقهم اذى او اضطهاد . ثم ما نعلمه من ذلك التقبل السهل المذهل من قريش بعد فتح مكة لهدم اوثانها دون ان يصيبها شيء من لواعج الأسف او الحيرة او الانزعاج وإنما كانت معارضة قريش للنبى اساساً من مخاوف سياسية واقتصادية ، الخ .» وعلى نفس المنوال نسج الكاتب اوهامه فى مقاله الثانى بعنوان « استنكار البدعة وكراهية الجديد موقف اسلامى ام جاهلى ؟ » . فهو يسعى إلى تقرير وتثبيت التفسير المادى للتاريخ ويرفض الوقائع الصحيحة المسلمة الثابتة نقلا وعقلا التى تثبت ان الدعوة الاسلامية إنما قامت اساساً لتوحيد الله وانكار ما يعبد سواه من آلهة واحجار واشجار التى درج العرب على عبادتها والالتجاء اليها من دون الله وان ما جعل للمشركين يشتدون فى عداوتهم هو بسبب هذه الدعوة وتسفيه احلامهم لشدة تمسكهم بهذه الالهة والاصنام . واذا كانت دعوة الاسلام قد اشتملت على العدالة والمساواة وغير ذلك من قيم الخير والحق ، فان ما اشتد حولها الصراع بين المشركين والرسول هى دعوته إلى نبذ ما يدعونه من دون الله . ولا احد ينكر ان للعرب كانت فضائل يتمسكون بها . وقد كان الزنا امراً مستقبحاً عندهم ولذلك عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع النساء وفى صيغة البيعة « ولا يسرقن ولا يزنين » قالت له هند بنت عتبه او تزنى الحرة ؟ . اما الخمر فقد كان مباحاً حتى فى الاسلام الى ان صدر الامر بتحريمه فى المدينة لا فى مكة . ومع هذه الحقائق وعلى الرغم منها يقول الكاتب « وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم ناشئة عن تسفيهه لعبادة الأوثان بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مالوف ولا مقبول فتعلقهم باصنامهم كان سطحياً وفى طريقه إلى الزوال غير انه جاء يدعوهم الى استهجان قيم ورثوها عن آبائهم وأتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له اصلا ككبح الشهوات والتضحية بالمال والزهد فى الحياة الدنيا والقرآن الذى جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالاطيبين وهو يدعو الى اخوة ومساواة . الخ .

تزييف الوقائع

فهل رأى احد تزييفاً لوقائع الامور وحقائق التاريخ كهذا التزييف . فمن من الناس لا يعرف ان دعوة الاسلام انما بدات بالتوحيد وبمحاربة عبادة الاصنام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستضعفين من اصحابه انما لاقوا ما لاقوا من صنوف العذاب إنما كان بسبب ذلك وفى بدء الدعوة بمكة وان المشركين عرضوا عليه كل العروض ومنها الملك والمال على ان يترك الهتهم ومايعبدون من دون الله فلم يقبل . وان بلالا وسمية وياسر وعماراً كانوا يطلبون منهم ان يقولوا خيراً فى الهتهم فلا يوافقون فيشددون عليهم العذاب وبلال يتقلب فى الرمضاء وتحت السياط وهو يقول احد احد . الم يقرأ فى كتب السير غضب قريش من محمد واصحابه على عيب الهتها وتسفيه احلامها ؟ الم يقرأ حوارهم مع ابى طالب ؟ الم يرجع إلى طبقات ابن سعد الذى شهد له انه ثقة وقبل ثلاث صفحات فقط من الصفحة التى نقل منها قصته الآنفة الذكر ؟ اما قرأ فيها قول ابى طالب عندما جاء بعض قريش اليه ، قال : يا ابن اخى هؤلاء ابناء عمومتك واشراف قومك وقد ارادوا ان ينصفوك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اسمع فقالوا : تدعنا والهتنا وندعك وإلهك . فقال ابو طالب قد انصفك القوم فاقبل منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارايتم إن اعطيتكم هذه هل انتم معطيّ كلمة ان انتم تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم . فقال ابو جهل إن هذه الكلمة مربحة نعم وابيك لنقولنها وعشر امثالها . قال قولوا لا إله الا الله فاشمازوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون (اصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد) اما اجتمعت قريش عند الحجر وقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ؟ سفه احلامنا وضلل آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا وصبرنا منه على امر عظيم ؟ اما حاط المشركون برسول الله يريدون الفتك به وابو بكر ينكى دونه ويقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ؟ .

لاشك ان الكاتب بمسلكه هذا انما يفترض فى القراء الجهل الكامل بابسط الامور فى تاريخ الدعوة الاسلامية فيزودهم بمعلومات اخترعها على امل ان تمر عليهم. فكيف بعد هذا يصدق الكاتب فى قوله إن تعلق المشركين باصنامهم كان سطحياً وفى طريقه إلى الزوال . اى انه لا داعى لان يجهد الرسول نفسه فى دعوتهم إلى عبادة الله وحده . اليس ما يقوله الكاتب تجنياً على الواقع والحقائق ؟ كما تضمن هذا للقال تجاوزات على الحقيقة العلمية والمنطقية فيما يتعلق بالسنة النبوية واثار حولها غباراً مما اوجب علينا ان نبين الحق فى الامر وان نبدد ذلك الغبار الذى اثاره امام اعين القراء وان كانت الحقيقة فى هذا للوضوع ظاهرة للعيان ولن تطمسها محاولات الكاتب الا ان قراء المجلة ليسوا كلهم على مستوى واحد من النظر والفهم فى هذه المواضيع واحياناً يكون هناك ضحايا كثيرون للزوبعة والتشويش وما نريد ان اقوله هنا هو الآتى :

وضع الكاتب سؤالا هو : هل استنكار البدعة وكراهية الجديد موقف إسلامي ام جاهلى ؟ وكنا نظن انه سيجيب على هذا السؤال جواباً يقرب من الصواب على الاقل ولكنه مع الأسف اجهد نفسه فى إيراد الادلة وحشرها فى مقاله من غير ان يوفق الى الرد الصحيح على السؤال فاختلطت عليه الأمور ولم يحسن استخراج الجواب من الادلة التى اوردها . وحتى لا اطيل فى الرد على السؤال واشتت ذهن القارىء فبادر الى الاجابة على السؤال الذى طرحه واقول ان استنكار البدعة فى العبادات موقف اسلامى وكراهية الجديد فى غيرها موقف غير إسلامى وهذا ما دلت عليه نصوص الشرع وما قاله العلماء فى كل عصر ومصر . قال الامام ابن القيم رحمه الله (ان الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعه على السنة رسله ، فان العبادة حق على عباده . وحقه الذى احقه هو

ورضى به وشرعه . واما غيرها فهو عفو حتى يحرمه ولهذا نعى الله سبحانه وتعالى على المشركين مخالفة هذين الاصلين ، وهو تحريم مالم يحرمه الله والتقرب اليه بما لم يشرعه) . وقال الامام الشاطبى : إن القاعدة المستمرة بين العلماء هى التفرقة بين العبادات وغيرها . فالاصل فى العبادات الا يقدم عليها المكلف الا باذن إذ لا مجال للعقول فى اختراع العبادات ، والاصل فى غيرها الاباحة الا ما دل الدليل على تحريمه . وقد اوقع الكاتب نفسه فى خطا شنيع عندما ذهب يلتمس تناقضا بين الكتاب والسنه فقال (وقد امرنا الرسول الكريم ان نعرض ما ينسب اليه من احاديث على القرآن فما اتفق منها معه قبلناه وما خالفه منها ابينا الاخذ به . فهل يعقل بعد ما اوردناه من ايات على سبيل المثال لا الحصر ان يسلم احد بصحة احاديث تنسب إلى النبى ؟ واورد الكاتب ثلاثة احاديث توهم انها تعارض القرآن ، وهى « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » . والثانى « وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » والثالث « سيكون فى آخر امتى اناس يحدثونكم مالم تسمعوا انتم ولا اباؤكم فاياكم واياهم » . والذى نعرفه ويقرره كل العلماء ان السنة الصحيحة لا تناقض القرآن ابداً . ففى كتاب الاحكام لابن حزم « ليس فى الحديث الذى صح شىء يخالف القرآن » وقال محمد بن عبد الله بن مسرة « الحديث ثلاثة اقسام فحديث موافق لما فى القرآن فالاخذ به فرض وحديث زائد على ما فى القرآن فهو مضاف إليه فالاخذ به فرض . وحديث مخالف لمافى القرآن فهو مطرح » وقال « لا سبيل الى وجود خبر صحيح مخالف لما فى القرآن اصلا . وكل خبر شريعة ، فهو اما مضاف الى ما فى القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملته واما مستثنى فيه مبين لجملته ولا سبيل لوجه ثالث » . وهذا الحديث الذى اشار إليه الكاتب بقوله امرنا رسول الله ان نعرض ما ينسب اليه من احاديث على القرآن ، قال عنه اهل العلم المختصون إنه حديث منقطع لا يعتد به وبفرض صحته فلا يتعارض مع ما قلنا فليس هناك احد يقول ان يقبل خبر مخالف للقرآن . وما قيل عن جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة والمشهورة عند بعض العلماء فهو مجرد رأى مفترض لم يترتب عليه واقع . اما الاحاديث الثلاثة التى اوردها وتوهم مخالفتها للقرآن فهى صحيحة ومطابقة للقرآن . فحديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم . الخ » ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا فيه من الابتداع فى الدين . وقد جاء هذا التحذير بالأسلوب العربى البليغ . وقال العلماء إنه كناية عن شدة للموافقة لهم فى المخالفات والمعاصى . وقالوا إن اللفظ خبر ومعناه النهى عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغير دين الاسلام . وهو يفيد التحذير من تقليد الامم السابقة فى مساويها . ولو احسن الكاتب الفهم لاتخذ من هـــذا الحديث حجة له فى محاربة التقليد للعقائد والآراء الموروثة الذى تكلم عنه فى اول المقال ، وربما انه نسي ما كان يقول او انه لا يعي ما يقول . وكذلك الحديث الآخر وهو « وإياكم ومحدثات الامور . الخ » ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبـــه « اما بعد . فان اصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

مصطلح البدعة ودلالته

فواضح ان المقصود به البدعة فى الدين والزيادة فيه بما لم يشرعه الله . ولعل هذه الأحاديث التى تنهى عن البدع فى الدين هى التى افادت فى التخفيف من الخرافة والدجل والشعوذة التى اراد المغرضون ان يفسدوا بها الدين ليكون مطيه لاغراضهم واهوائهم . فكلما حاولوا ان يسخروا الدين لمطامعهم واستغلال جهل الناس وغفلتهم واجههم العلماء المخلصون بهذه الاحاديث والأدلة القاطعة بان الدين قد اكمله الله فليس فى حاجة لان ينصب احد من البشر نفسه ليبتدع فى الدين ويشغل الناس بالخرافات كما فعل الرهبان والاحبار فى الأديان الأخرى والمشركون فى الجاهلية الذين عارضوا كل ما جاء به الاسلام بحجة انه مخالف لما كان عليه آباؤهم . إن هذا الموقف هو فى الواقع بسبب الابتداع فى الدين لأنهم كانوا على دين ابراهيم حنفاء فابتدعوا فى الدين وقلدوا النصارى فى تماثيلهم واصنامهم . وقصة عمرو بن لحى واحضاره اول صنم من الشام معروفة . ولولا الابتداع لما استغل الأحبار والرهبان والكهنة الذين صاروا يتحكمون فى رقاب الناس ويحللون ويحرمون باهوائهم . ومما يجب ان يلاحظ ان ممن يسمون انفسهم الآن بالتقدميين والعلمانيين يؤيدون البدع والخرافات فى الدين حتى تشوه صورة الدين الاسلامى فى نظر الطليعة من الشباب فيسهل عليهم جذبهم الى الأفكار المناهضة للدين ، ويبقى محصوراً فى المساجد والزوايا ومقصورا على العجزة والشيوخ . اما حديث « سيكون آخر امتى اناس يحدثونكم مالم تســـــمعوا انتم ولا اباؤكم . الخ » ، فلا اعتقد ان احداً يجهل مقصود هذا الحديث وهو تحذيرنا من الكذابين الذين ياتون بالأخبار المزورة والمزيفة يختلقونها على نبينا واسلافنا ولا يمكن ان يفهم احد إلا من سقم فهمه انه بناء على هذا الحديث ان نرفض كل جديد وكل عمل مثمر وكل اكتشاف مفيد ، وان نتعلم كل ما يعود على الاسلام والمسلمين بالقوة والمنعة ، وعلى المجتمعات الاسلامية بالتقدم والازدهار . فالواضح من كلمة « يحدثونكم » انها تعنى الأخبار والاحاديث الملفقة وما اكثر الاكاذيب والافتراءات على تاريخنا وسلفنا . ولعل اقرب مثل على ذلك ما نشره الكاتب نفسه فى مجلة العربي بالعدد ٣٧٢ يوليو ١٩٨١ م فقد ذكر قصة مكذوبة عن الامام ابى يوسف وهارون الرشيد . فقد ذكر ان السبب فى اتصال ابى يوسف بهارون الرشيد وتوليته القضاء ان ابن هارون الرشيد زنى بامراة وحبس ، وان هارون طلب ان يحضروا له فقيها يخلصه من هذه المشكلة بحيث لا يقام الحـــد على ابنه فاحضروا له ابـــا يوسف الذى افتاه بما يريد فكافاه على ذلك بتوليته القضاء وتسلم هدية من الابن الزانى ومن امه . وقال إن ابا يوسف قد عرف عنه انه لا يتقيد بمبدأ . اليس هذا من الاكاذيب والاضاليل التى يروجها الكذابون ؟ كيف وابو يوسف قد شهد له المؤرخون المنصفون بالنزاهة والاستقامة ولا زالت آراؤه وفتاويه معتبرة عند المسلمين الى اليوم ؟ كيف يتجاهل الكاتب رسالته الجريئة القوية الموجهة الى هارون

الرشيد والمسجلة الى اليوم فى مقدمة كتابه « الخراج » ويتجاهل الثابت فى التاريخ بأن ابا يوسف قد تولى القضاء منذ أيام الهادى والمهدى وقبل أن يأتى هارون الرشيد الى الحكم ، وان معرفة هارون الرشيد به قبل هذه القضية المزعومة ولو كنا نعمل بهذا الحديث الذى استنكره الكاتب ما كنا ننقل هذه القصص الكاذبة .

التشكيك بالسنة

قال الكاتب (إنه قد ورد ايضا فى البخارى « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر» وانه قد ورد فى صحيح مسلم « لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر » . وفى غير البخارى ومسلم « الباذنجان شفاء من كل داء » . هنا مربط الفرس وبيت القصيد وشنشنة اعرفها من اخزم . فقد كشف عن غرضه ومرماه فى التشكيك بالسنة كلها لاطراحها بحجة ان فيها احاديث لا يقبلها العقل . واورد هنا ثلاثة احاديث . اما حديثان فالاول فى البخارى والثانى فى مسلم . اما الثالث وهو « الباذنجان شفاء من كل داء » والذى اهتم به وجعله من عناوين المقالة فهو موضوع مكذوب باتفاق اهل العلم وقد وضعه الكذابون المغرضون الذين لا يختلفون فى اغراضهم عن اولئك الذين يحاولون هدم السنة فى هذا العصر . وواضح أن الكاتب قد اورده هنا بقصد السخرية فلا اعتقد انه يجهل كذبه ووضعه اذ لا مجال لذكره هنا اذ هو يتحدث عن اخطاء الثقات من المحدثين فى نظره هو ولم يسنده الى مصدر ، ويريد أن يدلس على القراء بجعل هذا الحديث فى صف احاديث البخارى ومسلم ليوهم القارىء ان هذا الحديث مما يعتبر من الاحاديث الصحيحة فى نظر المحدثين مع ان ابن القيم قد قال فى التعليق على هذا الحديث « قبح الله واضعه فان هذا لو قاله امهر الأطباء لسخر الناس منه » . فقصد التشويه والتهويش من قبل الكاتب واضح هنا . اما بالنسبة للحديثين « من تصبح بسبع تمرات ، ولولا حواء . الخ » فهما محل جدل بين العلماء ولبعضهم تاويلات قد يختلف حولها الناس . ومن اراد ان يطلع على شىء من ذلك فليراجع كتب الحديث وخاصة كتاب السنة ومكانتها للدكتور مصطفى السباعى رحمه الله . غير اننا نقول هنا اذا كانت هناك بعض الأحاديث فى البخارى او مسلم وهى محل نظر من قبل العلماء من ناحية المتن او السند فهى قليلة جدا لا تتجاوز اصابع اليد ومن بينها الحديثان المذكوران ، فلا يسوغ ذلك ان نطرح السنة جميعها والعلماء لهم نظر وبحث فى كل حديث على حده . فليست الاحاديث مجموعة كوحدة متماسكة مثل القران . وقد اراد الكاتب ان يهدم كل ما فى السنة الصحيحة بحجة وجود حديث بها او حديثين هما محل نظر واختلاف بين العلماء . وما بال الكاتب نفسه يستدل باحاديث حتى لو كانت ضعيفة فهل يباح ذلك فقط او ان المقبول هو ما وافق مزاجه هو . على انه يجب ان يلاحظ ان هناك اسبابا ومناسبات لورود الاحاديث قد لا تنقل ولا تعرف هذه الأسباب والملابسات وهى تساعد على فهم كثير من الاحاديث وتوضيح معانيها ومقاصدها . كما ان هناك فى علوم الحديث وفى علوم القران باب للشكل والمتشابه. فبالنسبة لمشكل الآثار يحاول العلماء التوفيق بين الاحاديث المتعارضة وتاويل الاحاديث المشكلة فى معانيها ، لانه إذا ثبت الحديث عن طريق السند الصحيح فلا معنى لرده من اول وهلة . واذا توفرت النية المخلصة عند الباحثين فلن يعترض طريقهم عائق ولن يقف فى سبيلهم مشكل ولن يحيرهم امر . اما اذا ساءت النية ولم يكن لهم الا التفتيش عن العيوب المزعومة فان الله سيزيدهم حيرة على حيرتهم وضلالا على ضلالهم لان قلوبهم قد اشرابت بالنفاق وزاغت عن الحق « فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا يذكر الا اولو الألباب » . ثم يقول الكاتب بعد ان اورد حديث تابير النخل وفى اخره انتم اعلم بشؤون دنياكم قال : (ان تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والاخلاق لا المتعلقة بمعاش الدنيا الفرعية التى نكرها على سبيل الراى ومع ذلك فاننا نرى من بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شان من شؤون الحياة كالملبس والماكل وحتى فيما يقال لمن عطس ولا يرون مسلما حقا من اتبع شيئا من عنده .. الخ .

إن حديث « انتم اعلم بشؤون دنياكم » قد اتخذه العلمانيون ذريعة عندما يحاولون إبعاد الدين عن الحياة ويتجاهلون الآيات القرانية والاحاديث النبوية التى تتحدث عن البيع والشراء والربا والحكم ولا يسالون انفسهم لماذا تنزل تلك الآيات وترد الاحاديث إن لم يكن للعمل بما فيها ؟ ولماذا كانت أطول اية فى القران فى شان من شؤون الدنيا وهى اية الدين ولم يتاملوا ما جاء فى الحديث نفسه « واذ امرتكم بشىء من رايى فانما انا بشر » ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجتهاد وهو معرض فيه للصواب والخطا بحكم بشريته ولكن لا يقر على الخطا بل يسدده الوحى وقد قال : « انكم تتحاكمون الى وانى بشر ورب احدكم الحن بحجته من الآخر فاحسب ان الحق له فاقضى له . الخ » . فمسالة طلبه الكف عن تابير النخل فى أول الأمر كان اجتهادا منه . وعندما تبين الخطا فى ذلك اذن لهم بالتابير وفى ذلك حكمة من الله سبحانه فى تاكيد بشرية الرسول وعدم علمه بالغيب ولكن ما كان عن وحى من الله سبحانه وتعالى فغير معرض للخطا فيه ابدا سواء اكان فى امر الدنيا او فى امر الدين .

اما الأمور التى يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم بالعادة كالملبس او الماكل فلا احد من علماء المسلمين يقول بلزوم اتباعه فيها ولكن من المستحسن الاقتداء به كما ان هناك اموراً اعتبرت من الآداب الاسلامية وبدلا من ان يقلد المسلم الآخرين فلماذا لا يقلد ويتبع اكمل الناس صفات واعظمهم اخلاقا . فالآداب الاسلامية لو حافظ عليها المسلمون لكانوا من ارقى الناس فى الذوق والخلق والنظافة . إنكم تطلبون منا ان نقلد المسيحيين الغربيين فى عاداتهم (الأتكيت والبرتكول) وتكبرون البريطانيين على محافظتهم على تقاليدهم ولا تريدوننا ان نقلد رسول الله وصحابته وتعتبرون ذلك من التخلف والتحجر فماذا يضر المسلم اذا هو أكل باليمين وشمت العاطس ووسع فى المجلس لاخيه « يا ايها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا » وليس كل

تلك فرضاً يعاقب على تركه المسلم ولكنها آداب فاضلة مستحبه سيجزى الله عليها من واسع رحمته .

مغالطة وتدليس

يقول الكاتب « قد دعانا من رأى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند آراء مجتهدين فى عصر معين وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ويراعون فى وضعهم الأحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم . غير أنهم سلكوا مسلكا خاطئاً إذ صاغوا آراءهم المبتدعة فى قالب أحاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد حتى تلقى آراؤهم قبولا من الأمة أو على حد تعبير بعضهم واعترافه كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً . الخ » .

الكاتب هنا يخلط بين الوضاعين الكذابين من الزنادقة وبين الأئمة المجتهدين ، وينسب أعمال الوضاعين الزنادقة المعروفين فى التاريخ الاسلامي الى الأئمة المجتهدين وهذه مغالطات لا تنم على أى قدر من التحقيق العلمى . وقد برهن الكاتب على منتهى المغالطة عندما أسند إلى أحدهم انه قال « كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً » فمن هو المجتهد الذى قال ذلك ممن يتبع المسلمون آراءهم ؟ هل هو أبو حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد ابن حنبل أو الثورى أو الأوزاعى ؟ الم يضع علماء الاسلام علم الجرح والتعديل من أجل تمييز الخبيث من الطيب ؟ الم يضعوا القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف وقواعد لمعرفة الموضوع ؟ فمن غير الأئمة المجتهدين تصدى للوضاعيين والكذابين ؟ أما نصبوا وسهروا وضربوا أكباد الابل من أجل تمييز الصحيح من السقيم والخبر الصادق من الخبر الكاذب ؟ ان الذى قال : كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً . هو واحد من أولئك الزنادقة من أرباب الأهواء والبدع ضعفاء النفوس وليس ذلك غريباً على طبائع البشر والأنفس المريضة فاننا نشاهد اليوم كثيراً من الصحفيين والاذاعيين والكتاب من يختلقون الأخبار ويروجونها فى المشرق والمغرب فيصدقها الناس .

أما علماء الاسلام فقد بذلوا جهداً منقطع النظير فى التصدى للكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرسوا حياة الرواة وتاريخهم وسيرتهم وفحصوا كل ما يروى ووضعوا قواعد فردوا أحاديث الفساق والكذابين وأهل الاهواء والمغفلين والمتعصبين ووضعوا علامة للحديث المطعون فيه من جهة ركاكة اللفظ وفساد المعنى ومخالفته لصريح القرآن أو السنة المتواترة ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة أو المتسم بالمبالغة فى الثواب والعقاب أو توفرت الدواعى لنقله ولم يشتهر . وغير ذلك من الاحتياطات اللازمة للتثبت من صحة الحديث ووضعوا علماً مستقلا بذاته سموه علم مصطلح الحديث .

تضليل استشراقي وعمالة فكرية

وقد سبق الكاتب الى مثل هذا التشكيك فى السنة والده أحمد أمين رحمه الله وعفا عنه فى كتابيه « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » . وقد كنا نريد أن نطبق على الكاتب المثل الذى يقول « ومن يشابه أبه فما ظلم » ولكن الابن لم يشابه الأب فى كل جوانب الفكر والمعرفة بل قلده وشابهه فى الخطأ فقط « بال فادر فبال جفره » مع أنه فى مقالاته كان ينعى على أولئك المقلدين تقليدهم آباءهم والأستاذ احمد امين على جلالة قدره وقع فى عدة أخطاء ونعتقد انه لو عاش الى الآن لرجع عن بعض آرائه على الأقل وسيكتشف أنه وقع ضحية لآراء بعض المستشرقين اذ لا يمكنه ان يصر مثلا على رأيه فى عبد الله ابن المبارك عندما اتهمه بالتغفيل وانه يأخذ الحديث عن كل من أقبل وأدبر مع أن عبد الله بن المبارك من الفحول المشهورين المعروفين باليقظة والفطنة والبراعة فى النقد فلم يكلف نفسه بالبحث عن حال عبد الله بن المبارك بل اعتمد فى حكمه على عبارة محرفة فى صحيح مسلم فقد حرفت كلمة بقية إلى ثقة والعبارة هى (حدثنى ابن قهزاد قال :سمعت وهبا يقول عن سفيان عن ابن المبارك قال بقية صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر) فابن المبارك هنا هو المتحدث عن بقية بن الوليد الحمصى يقول عنه انه صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر فحرفت كلمة بقية الى ثقة وقرئت العبارة خطأ عن سفيان عن ابن المبارك ثقة صدوق اللسان يأخذ عمن أقبل وأدبر فأصبح ابن المبارك هو المتحدث عنه وانه ثقة صدوق اللسان . ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر وأحمد أمين فيما نعتقد لم يتعمد التحريف وانما يحتمل انه اعتمد على كتب بعض المستشرقين الذين حرفوها عمداً بينما هى فى صحيح مسلم غير محرفة فى جميع النسخ المطبوعة وقد نقل الذهبى عن ابن المبارك نفسه انه كان يقول فى بقية انه يدلس عن قوم ضعفاء ويروى عمن دب ودرج وهذا فى معنى قوله الذى رواه مسلم « عمن أقبل وأدبر » .

واذا كان أحمد أمين رحمه الله وغفر له قد شكك فى بعض أحاديث السنة الصحيحة وتجنى على بعض الصحابة والتابعين كأبى هريرة وابن المبارك وقد أفضى إلى ما قدم .. فان ابنه الكاتب حسين أحمد أمين قد جاوز الحد وأبعد النجعة بالتشكيك فى القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وقال الله فيه « إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وانا لَهُ لحافظُون » . وقال « لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ علَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَه » فالله قد تكفل بحفظه منذ نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الأمين ومصداقاً لذلك حفظه المسلمون جيلا بعد جيل وقرناً بعد قرن يحملونه فى صدورهم ويكتبونه فى مصاحفهم ويتلونه بالسنتهم صباحاً ومساء فلم تذهب عنهم منه كلمة ولا حرف فليس هو كبقية كتب الأديان الأخرى التى كتبت بعد قرون من نزولها فكان فيها التحريف والتبديل والاختلاف والتعدد كما لا يخفى ذلك على الخاص والعام . وأخيراً نقول إن من قواعد التحقيق فى القضايا إذا ارتكبت جريمة وجهلت دوافعها وأراد المحققون أن يصلوا الى معرفة الحقيقة بحثوا عن المستفيد وصاحب المصلحة فى ارتكاب الجريمة فمن هو يا ترى المستفيد وصاحب المصلحة فى التشكيك فى القرآن والسنة ؟! « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب » .

عبد القادر بن محمد العمارى
القاضى بالمحكمة الشرعية الأولى

انتظروا هذا الاجتماع التاريخي

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

في شهر حزيران / يونيو ، سيعقد اجتماع يحضره شاعر وقصاص وكاتب مسرحي وناقد أدبي ، بوصفهم ممثلي الأدباء الذين يعشقون المناسبات الوطنية لكونها تساعد على اخفاء العقم والضحالة والركاكة وتجعل من القزم عملاقا ، وبوصفهم من الأدباء الذين حولوا ما جرى في حرب حزيران إلى وليمة وسوق ومزاد ومسرح لدمى محشوة بالقش .

وسيكون هدف الاجتماع هو إيجاد وسائل تعيد إلى هؤلاء الأدباء أياما كانت تتيح لهم أن يصولوا ويجولوا في الميادين الأدبية والاجتماعية كان الواحد منهم مزيج فريد من رامبو وديستويفسكي وشكسبير . ولكن أيام العز هذه لم تستمر وولت تاركة مستغلي الوطن الجريح أمواتا وما هم بأموات ، ولذا فهم سيسارعون الى حضور الاجتماع طامحين الى احياء العظام وهي رميم .

سيفتتح الناقد الاجتماع قائلا بوقار : « اجتماعنا اليوم بالغ الخطورة ، ويجب أن يسفر عن نتائج إيجابية ترجع الينا ما فقدناه » .

فيطلق الشاعر أنة ألم كأنه يعاني التهاب الزائدة الدودية ، ثم يقول : « انا يائس للغاية ، وبت مؤمنا أن الحضارة الصناعية الحديثة تهزم الشعر رويدا ، وقد حكمت عليه بموت لا مهرب منه . والدليل القاطع هو اني انظم حاليا أروع القصائد فلايمسها أحد حتى ولو وعد يعطى إمارة موناكو ، مع اني كنت فيما مضى حين اكتب كلمتين عن حرب حزيران أرتجف خوفا من أن يثقب اذني تصفيق الاعجاب » .

فيقول القصاص : « والقصة المسكينة أيضا فقدت الاحترام . وكنت من قبل اكتب قصة عن شاب له علاقة مشبوهة بجارته وأضع لها عنوان « آلام حزيرانية » فتنشر في الصفحات الأولى من المجلات ، ويقرظها النقاد مقترحين تدريسها في الجامعات ، اما الآن فانا اكتب واكتب ولا اظفر الا بشتم غير مؤدب توجهه الى سلات المهملات » .

وسيقول الكاتب المسرحي : « اخ اخ .. ماذا احكي انا ؟ ! كنت اذا كتبت مسرحية اقول فيها إن نكسة حزيران يعود سببها الى ان البنات في المسابح يرتدين سترة من قطعتين ، فان الصحف تقوم وتقعد تقديرا وتنشر صوري ، والاذاعات تجري المقابلا المطولة التي اقول فيها ان بريشت مسرحي واعد ، واني اعتزم تصحيح مسرحيات شكسبير وخاصة مسرحية « هاملت » المملوءة باخطاء نحوية وفكرية وفنية لا يرتكبها تلميذ في مدرسة إبتدائية » .

ويقول الناقد : « انا وحدي الضحية الحقيقية ، فعملي من قبل كان سهلا مستساغا لذيذا ، فالأديب الذي ليس بصديقي لو كتب أروع أثر أدبي ، فاني ندد به شر تنديد بحجة ان ما كتبه لم يشتمل على تنويه بما حدث في حزيران ، واتهمه بانه منفصل عن واقعه ، خائن لبيئته ، متنكر لطبقته ، غير وفي لأرضه الطيبة » .

وسيسود الصمت الحزين حينا ثم يقول الكاتب المسرحي : « أيها الزملاء .. لسنا الآن بحاجة إلى الذكريات الاليمة ، إلن ينفعنا التحسر والبكاء والشكوى ، ولي انه من الأفضل أن نبحث عن مناسبات جديدة نكتب عنها فتعيدنا الى الحياة نجوما تزاحم سعاد حسني ، ونجوى فؤاد ، واحمد عدوية » .

سيقول الشاعر : « بلادنا ملأى بالسياح فلماذا لا نقدم أدبا سياحيا ؟ من المؤكد ان عملنا سيكون ابتكارا لا مثيل له في مجال الأدب » .

وسيقول القصاص : « أنا اقترح أن نسير معا في الشوارع ونخالف شارات المرور فنصبح حديث الجماهير بوصفنا الأدباء المتمردين » .

سيقول الكاتب المسرحي : « اما انا فاقترح ان نكتب عن لبنان » .

فيصيح الشاعر والقصاص والناقد : « وهل توجد بلبنان مناسبة تستحق ان نكتب عنها ؟! » .

فيقول الكاتب المسرحي متسائلا بدهشة « ماذا ؟ ألم يبلغكم ان رئيس الجمهورية اللبنانية بشارة الخوري قد توفي ؟ »

فيتصايحون متعجبين غير مصدقين ، ولكن الكاتب المسرحي سيؤكد لهم ان ما قاله خبر نمي إليه من مصادر موثوق بها ، وعندئذ سيتفقون على ان ينظم الشاعر قصيدة رثاء ، وان يكتب القصاص قصة عنوانها « مات بشارة الخوري ولكنه لم يمت » ، وان يكتب الكاتب المسرحي مسرحية تجري أحداثها في العالم الآخر وتصف لقاء الفقيد بكيندي وتشرشل وما تبادلوا من حوار عقائدي مثير .

اما الناقد فسيظل ساكتا ، فهو يكره القصاص والشاعر والكاتب المسرحي ، ويتوق الى الاساءة اليهم . ولما كان يعلم انه كناقد محتقر من قبل القراء فهو سيقر ان يمتدح ما سيكتبه زملاؤه .

يوم للأصيل وسنة للأدعياء

كان الجاهل في غابر الأزمنة يعلم انه جاهل ويخجل من جهله غير ان الجهلة اليوم امسوا يتباهون بجهلهم ، ويعتزون به أعظم اعتزاز ، وينظرون اليه على انه الثقافة الملتحمة بآلام الشعب المضطهد .

اذا بلغت مسامعهم مصادفة السيمفونية التاسعة لبيتهوفن ، ولم تحظ باعجابهم ، سارعوا دونما تردد الى القول بثقة : « بيتهوفن طفيلي تسلل الى عالم الموسيقى ويجب الكفاح لطرده منه بغير رأفة » .

اما اذا استمعوا الى اوبرا لفاجنر ، ولم يتجاوبوا مع ذلك البحر السحري من الالحان والأصوات ، قالوا باستنكار: « اف ! ما هذا ؟ العزف على الربابة يطرب اكثر » .

واذا شاهدوا فيلما سينمائيا حصد جوائز المهرجانات الدولية للسينما ، ولم يتمتعوا به ، قالوا بحنق ونزق : « افلام حسن الامام أفضل » .

واذا لمحوا صورة فوتوغرافية للوحة لبيكاسو ، قالوا توا وبازدراء : « هذه خربشة ، ورقصة لنجوى فؤاد اجمل منها » .

فاذا تجرأ شخص ما على الاعتراض قائلا لهم : « ولكن بيكاسو أعظم رسامي القرن العشرين » ، ضحكوا ساخرين منه ، وقالوا له : « هذه دعاية اجنبية فلا تصدقها » .

ويحلو لواحد من هؤلاء الجهلة أن يصير ناقداً سينمائيا بحجة ان الناس ولدتهم أمهاتهم احراراً ، فيستعير قلما ، ويشرع بالخبط واللبط ، فالمخرج الوجودى يصبح تقدمياً تتجسد في افلامه المادية التاريخية ، اما المخرج التقدمي المتعصب لمعتقداته فيصبح أجيراً للبورجوازية الصغيرة ، يخدم تطلعاتها ويعبر عن ضياعها التاريخي .

ويحلو لجاهل اخر ان يمسي شاعراً ، فينظم قصيدة يقول فيها ان الماء اذا دلق من أعلى نزل الى أسفل ، ثم يقعد في المقاهي ، ويشتم بصوت عال المؤامرات الامبريالية التي حالت دون فوزه بجائزة نوبل للشعر الخيالي .

ويحلو لجاهل ثالث ان يكتب قصة عن أثر هطول المطر في ازدياد خوار الابقار . وحين ينتهي من كتابتها يبادر الى قراءتها ، فيعجب بها ويقرر أن كاتبها يستحق المكافأة والتقدير ، فيمنحه لقب القاص الأول في الوطن العربي .

ويحلو لجاهل رابع الاعجاب بالتكنولوجيا ، فاذا قرأ مقالا ينتقد تفشي الركاكة والاخطاء اللغوية ، اتهم كاتبه بمعاداة الحضارة الحديثة والتكنولوجيا ، كان التكنولوجيا هي اغتيال لسيبويه والفراهيدي .

ويحلو لجاهل خامس الذهاب الى حمام السوق كل أسبوع تعبيراً عن التزامه الايديولوجي بقضايا الفقراء من امته .

اما المدعو زكريا تامر الحائر البائر ، فيسند خده الى قبضة يده مقلداً أحمد شوقي ، متأملا في أحوال هؤلاء الجهلة ثم يفكر في تأليف كتاب يبرهن فيه على ان المثقف العربي السعيد هو الميت الراقد في قبر عميق .

اغتيال محمود درويش في بلاد الإنجليز

المطلع على مختارات من أشعار محمود درويش مترجمة الى اللغة الانكليزية ومطبوعة في كتاب ، اذا استخدم عينيه وما تبقى له من عقل ، لابد له من أن يتوكل على رب العباد ويبدي الملاحظات التالية :

١ ـ عدد صفحات الكتاب قليلة كأن الكتاب دليل سياحي فاشل لمدينة صغيرة يعوزها خبراء الدعاية .

٢ ـ اخراج الكتاب سيىء فنياً ، ولا يقارن باخراج أي كتاب عربي عادي تولى عمال المطبعة الاشراف على اخراجه ، فلماذا اضمحلت فجأة الخبرة الانكليزية العريقة في فن طبع الكتب إزاء كتاب ادبي فلسطيني ؟

٣ ـ غلاف الكتاب كارثة حتى أن عنوان الكتاب واسم الشاعر لا يستطيع القارىء قراءتهما إلا بوساطة مجهر ، مع أن دار النشر نفسها تحرص في كتبها الأخرى على ان تكون الأغلفة جذابة مغرية .

٤ ـ سعر الكتاب بالنسبة إلى حجمه وعدد صفحاته هو سعر مرتفع جداً خاصة اذا ما قورن باسعار كتب انكليزية مماثلة ، ولا يمكن أن يقدم القارىء الانكليزي على شرائه ، فهل الأمر مجرد سوء تصرف من محاسب أم أنه تنفيذ ناجح لخطة ما ماكرة

٥ ـ طبعت دار النشر الانكليزية من الكتاب كمية جد محدودة ، وثمة شكوى مفادها ان الجهات الرسمية العربية لم تشتر أي نسخة تشجيعاً ، ولكن الكمية المطبوعة من الكتاب ما دامت ضئيلة فهل غاية دار النشر أن تبيع اشعار محمود درويش الى قراء عرب فقط ، وترويجاً للغة استخدمت في كتابة وعد بلفور ؟

مسرحية طويلة محلة اسمها الحياة الأدبية

القفز الى الماء

يعقد الأدباء العرب المؤتمر تلو المؤتمر ، وكل مؤتمر يقال فيه الكثير من الكلمات الجميلة الحماسية المنمقة ، ويختتم بتوصيات حسنة الشكل والمحتوى ، متناسياً ان الكلمات وحدها لا تستطيع أن تتحول الى ابداع وحرية وخبز ودواء وبيت وان تحويل الأقوال الى أفعال يتطلب خوض معارك صارمة ضد واقع معتد بغباوته وجهله ، ولن يخوض تلك المعارك الا الأدباء الذين ينظرون الى الكتابة على انها مبرر وجودهم ، وهم وحدهم قادرون على المساهمة في انقاذ تلك المؤتمرات من أن تصبح مناسبات سياحية ومباريات لفتح الأفواه ، فلواقع الثقافي العربي الراهن لا يحتاج الى قصائد رائعة ترثي غريقا ،

إنما يحتاج إلى من يقفز إلى الماء وينقذ الغريق فهل سياتي يوم يثبت فيه الادباء الحقيقيون انهم لا يخشون البلل ؟

ثقافة للأجيال الصاعدة

عرف الانسان فى القرن العشرين القنابل النووية والغواصات النووية والمفاعلات النووية ، وعرف ايضا اللغة النووية .

واللغة النووية تختلف عن القنبلة النووية اختلافا يسيرا ، فالقنبلة النووية تبيد وتحرق وتدمر وتفني ، اما اللغة النووية فهى تحرض القراء على مشاهدة الحرائق تلتهم كل شيء حي .

ومبتكر اللغة النووية ليس اجنبيا بل هو اديب عربي تعنى الجرائد والمجلات بابراز صوره وتصريحاته وآرائه فى الانسان والحياة والكون والثورات ، وقد نشر كلاما ما فى إحدى المجلات الموجهة إلى الشباب ، فما الذى قاله للاجيال الصاعدة مستخدما اللغة النووية ؟

هذا بعض ما قاله :

« لانكم رضعتم من ثدي الخجل ، لم تتقيا افواهكم لبن الفشل ، لانكم حملتم بالغضب يوما بعد يوم ... » .

ومن المؤكد ان المرحوم هولاكو لو كان حيا وأراد ان يصبح كاتبا فهل سيحلم ان يكتب اجمل من هذا الكلام ؟!

فرسان النوادي الرياضية

تستقبل الحياة الادبية العربية بين الحين والحين انماطا من المتادبين ، يقتحمون سهولها وجبالها واوديتها ، تتقدمهم افواههم الجائعة ووجوههم المعادية للخجل ، مطلقين الصيحات الغاضبة كانهم أحفاد عنترة العبسي ، مطالبين ليل نهار بنصيبهم من الغنائم والسبايا ، ثم ياتي يومهم الأصفر ، فتتعب أيديهم واقدامهم وحناجرهم ، فينسحبون من الميادين الأدبية وقد هزمتهم قناعتهم ان الأدب أمر يختلف عن الأعراس والموالد والمشاجرات .

ويتصف هؤلاء بانهم شبان صغار ، يكنون لصغر سنهم اعجابا مشبوها اذ يتوهمون ان صغر سنهم يؤهلهم لانتاج أدب طليعي متطور معبر عن روح العصر ، ويحاولون ان يستمدوا من صغر سنهم قيمة فنية وهمية ، وينظرون فى الوقت نفسه الى كل أديب تجاوز عمره الأربعين على انه جثة محنطة يجب أن تعرض فى متحف او تدفن فى مقبرة ، متجاهلين ان الكاتب المبدع قد يكتب وهو فى السبعين من عمره ما يمكن اعتباره نتاجا شابا بينما يكتب شاب فى العشرين من عمره ما هو جدير أن ينظر اليه على انه نتاج مرسل من القبر بسبب ما يشتمل عليه من خنوع لتوابيت فنية وعناكب فكرية ، فالشباب فى الأدب والفن يتجلى فى قيم واشكال فنية جديدة ، ولا يتجلى فى قوام ممشوق فتي قد ينتزع من صدور البنات شهقات الاعجاب ، فصغر السن لا يخلو من نفع فى الساحات الغرامية ، فى الركض ، فى صعود السلالم فى المشاجرات على أبواب دور السينما ، اما صغر السن فى مجال التعبير الأدبي فهو فى معظم الاحيان نتاج ركيك هزيل وثقافة ضحلة ورؤية ساذجة سطحية للانسان والحياة ، ومراهقة نفسية وفكرية .

فاذا كان هؤلاء الشبان الصغار السن يرغبون حقا فى خدمة الأدب وتطويره ، فينبغى لهم نبذ الأوراق والاقلام نبذا نهائيا والانتساب الى نواد رياضية قد تمنحهم بعض ما يعوزهم خاصة وان العقل السليم فى الجسم السليم .

الأمية أنواع

من يتهم الوطن العربى بالتخلف والجهل ، لابد من أن اتهامه معزز بقائمة تتضمن أسماء عدد من الذين يمارسون النقد الأدبى ، ويمتدحون فقط كل ما هو يفتقر إلى الموهبة ، ولـــذا فمن واجب المهتمين بمكافحة الأمية ان يعنوا ايضا بمكافحة النقد الأمي .

الأصفار تظل أصفاراً

ما الذى يجرى حين يتسلم أديب فاشل الاشراف على صفحة ثقافية فى جريدة يومية بحكم عمله الوظيفي او بسبب صلات عائلية أو غير عائلية .

ها هو ذا الأديب يتنهد بفرح وارتياح ، فها هى ذى صفحة عريضة طويلة خاضعة لمشيئته التى تسيطر عليها الرغبة فى الثار من عالم لم يعترف به .

وها هو ذا ينتفخ ويتضخم ، وينتفخ ويستطيل ، وينتفخ ويتمدد ، ثم ينظر الى المراة ، فيشهق إعجاباً ، ويصدر حكماً بانه الأديب الأوحد ، ويقتحم الوسط الأدبي مزمجراً مهدداً باكل لحوم الأحياء والأموات مطالباً بالاعتراف به سيداً لمختلف الاجناس الأدبية فى شتى الأزمنة ، فيصفق له بعض مالكى الاقلام ، فتزداد زمجرته ، ويزداد التصفيق ، ويجد الأديب الفاشل انه مضطر الى تلبية رغبات جمهوره القطيع ، فيكرس صفحته الثقافية للتحدث عن مآثره ، فاذا عطس فمن واجب مجلس الأمن الدولى عقد جلسة طارئة ، وإذا تثاءب فتثؤبه تسيس مبدع للأدب والفكر ، واذا اشترى قلم حبر ناشف فعلى شكسبير حرق هاملته حيا .

ثم تاتي الليلة الظلماء التى يفتقد فيها البدر ، والتى يفقد فيها الأديب الفاشل الاشراف على صفحته الثقافية ، فتختفي تواً الزمجرة والانياب والمخالب ، ويختفى المعجبون من مالكي الأقلام ، ويعود الأديب الفاشل وديعاً عذباً متواضعاً ، يسير فى الشوارع محني الراس ، ويقعد فى المقهى كأرنب مذعور ، وينشر فيما حوله النظرات المتوسلة التى تعلن عن استعداد صاحبها لتقبيل يد من يرد على تحيته ، ولكن الأيدى لا توافق على تحقيق ما يتوق اليه بحجة أن الأدب تأديب وتهذيب .

زكريا تامر

خواطر تسرّ الخاطر

حفني ناصف

القاضي العادل الذي لم ينصفه الناس والأديب الساخر الذي أتعبته الحياة



حفنى ناصف

بقلم: نعمان عاشور

يزخر سجل تاريخنا الثقافى الممتد منذ بداية القرن التاسع عشر حتى اليوم بعديد من العباقرة الذين أسهموا فى بناء حياتنا المعاصرة . واذا كانت الأضواء تتلاحق لتلقى بأشعتها المبهرة على بعض الوجوه الساطعة .. فهناك على تتابع الأجيال وجوه متراصة من الأفذاذ نادراً ما توقف عندها الضوء والقيت على اصحابها أشعة النور .. وهؤلاء من نسميهم برجال الصف الثانى . ومن هؤلاء حفنى ناصف .. رجل رمت به الاقدار فى منتصف المسافة بين خطوات المسيرة الأولى وخطوات أو بالأحرى قفزات التطور التى تابعتها .. ولد فى منتصف القرن التاسع عشر ليكون سليلا للأجيال الباكرة النضرة التى أنبتت المشايخ العظام .. الجبرتى والعطار ورفاعة الطهطاوى .. ونضج على مدارج العمر ليكون تلميذاً للافغانى وتالياً للبارودى وزميلا لمحمد عبده وصنواً لسعد زغلول و أستاذ المصطفى كامل وطه حسين .. نشأ مثلهم وتعلم مثلهم فى رحاب الأزهر الشريف وكان مثلهم وعاش مثلهم موسوعى النظرة جاداً مجداً متعدد المواهب والملكات وكان طبيعياً أن يكون مثلهم من الباحثين المنقبين عن معارف الحضارة الحديثة ومدركاتها العقلية ومنجزاتها العلمية .

لكن الشيء المميز فى هذا الرجل .. انه كان جماعاً لعدد من الطاقات والمواهب المتضادة .. فهو شاعر وأديب ناثر وعالم لغوى وباحث علمى وقاض من أبرز القضاة

ودارس للموسيقى وفقيه دينى ولاعب رياضى وصاحب موهبة فى الغناء بصوت رخيم .. وكل هذه الملكات تتوجها شخصية من المع الشخصيات الاجتماعية الساخرة الضحاكة التى أهلته لأن يكون من أبرز الظرفاء فى زمانه .. ولعل الميزه الأخرى التى يمكننا ان نلحقها بهذا الرجل انه نشأ فقيراً وعاش فقيراً ومات فقيراً رغم نشاطه الجم ومواهبه المتعددة الوافرة .. ذلك انه عاش أسيراً للوظيفة الحكومية ولرتابة الحياة العائلية ولكثرة الأبناء .. فله من الأبناء سبعة أكبرهم باحثة البادية : « ملك حفنى ناصف » الأديبة الذائعة الصيت وإحدى رواد الحركة النسائية فى عصرها .. وقد الزمه هذا الوضع قصوراً شديداً فى مواجهة سلطة الاحتلال والتمرد عليها مع انه كان بطبعه وطبيعة مواهبه من أكثر أبناء جيله معاداة للظلم وتعشقاً للحرية .. يقول منددا بحاله وحال أبنائه اذا ما انتهى العمر ..

وابذل عمرى فى اكتساب معارفى
ويغنى الذى حصلته بفنائى
اذا ورث المثرون ابناءهم غنى
وجاها .. فما اشقى بنى الحكماء

بعض سيرته

وناخذكم إلى بعض سيرته .. ولد حفنى ناصف فى قرية بضاحية المرج المجاورة للقاهرة . فكانه نشأ قاهرياً .. ومات والده وهو فى بطن أمه .. ويظهر أن عائلته كانت من العائلات الثرية التى جار عليها الزمن .. وكما فعل الشيخ محمد عبده ومثلما حدث لطه حسين . تمرد من طفولته على كتاب القرية وسعى إلى العاصمة ليلتحق بالأزهر

.. وبعد أن قضى فيه عشر سنوات اتجه الى قرض الشعر حتى سمى بشاعر الأزهرين . فلما أعلن عن انشار دار العلوم بفضل مجهود علي باشا مبارك اسرع إلى الالتحاق بها بعد ان نجح فى امتحان القبول ، وهناك تفتحت ملكاته على دراسة العلوم الحديثة كالجغرافيا والتاريخ والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء واللغة الفرنسية وكانت دراستها اختيارية .. وايامها كان الشيخ محمد عبده قد تولى تحرير الوقائع المصرية فاستعان به ليشاركه

حفني ناصف

في تحريرها وهو لا يزال طالباً في دار العلوم حتى اذا ما قامت حملة في ذلك الوقت لاغلاق دار العلوم بسبب ما يدرس فيها من معارف عصرية .. ازداد حفني ناصف التصاقاً بها ليكون على رأس الدفعة الأولى من الخريجين فيها .. وكانت تلك هي أولى خطاه في الارتباط بمستجدات العصر خاصة وأنه تخرج من دار العلوم وهو يجيد اللغة الفرنسية .

المناخ الساخن

في تلك الحقبة من حياة حفني ناصف كان التاريخ ينعطف بمصر الى مسلك جديد فلقد جاءها عباس الأول ثم من بعده سعيد ليطبقوا على انفاس دفعة النهوض التي دفعها إليها محمد علي . وتلاهم اسماعيل بمحاولة مظهرية إلى نقلة جديدة مصطنعه تجعل مصر قريبة من أوروبا أو كما كان اسماعيل نفسه يقول : « مصر قطعة من أوربا » .

وخلت الساحة الوطنية تماماً واقفرت الحياة العامة لولا مجيء الأفغاني مع امتدادات تعاليم رفاعه الطهطاوي وتلاميذه .. وبدأت الحركة الوطنية تنتعش بين جموع المثقفين حتى توجت بوجود الحزب الوطني في جلوان .. ثم داخل صفوف الجيش بين العرابيين . وفي هذا المناخ الساخن نضجت شخصية حفني ناصف . فأخذ عن الأفغاني الكثير من طموحه وثوريته وعن رفاعه الكثير من تطلعاته الحضارية العصرية بينما كانت تغلي في داخله الروح الوطنية الحبيسة التي توشك أن تتفجر وتنطلق .. وهكذا تلازم تخرجه من دار العلوم عام ١٨٨٢ مع وقوع الثورة العرابية ..

معلم الخرس والعميان

وكانت أول صدمة في حياته الوظيفية أن عينوه في مدرسة ذوي العاهات من الخرس والعميان فتلقاها بسخرية مريرة كان يطلقها في أشعاره ويتهكم بها على نفسه في كل مجالسه .. وجنح الرجل أيامها إلى الشعر متابعاً البارودي ثم انطوى تحت لواء العرابيين مع رجالات الحزب الوطني من المدنيين وشارك في الكثير من الأحداث خاصة في رفقة الشيخ العدوي صاحب الوقفة المشهورة والذي جاهر بالوقوف ضد الخديوي توفيق لخروجه على اجماع الأمة وارتمائه في احضان الانجليز وكسب حفني ناصف شخصية مرموقة ومكانة متفوقة بارزة بين الأدباء والمفكرين وأهل الرأي .. أهلته لها معرفته باللغة الفرنسية التي درسها اختيارياً في مدرسة دار العلوم .. هذا الى جانب تمكنه الكامل من اللغة العربية . ومن أجل ذلك وقع عليه الاختيار ليعمل سكرتيراً في دار القضاء مع « شفيق منصور » وكان واحداً من أبرز رجال العدل وهو صاحب القصرين الشهيرين حيث تقع اليوم (دار القضاء العالي ومحكمة الاستئناف الحالية في باب الخلق) وكان شفيق منصور يقوم بترجمة القوانين الفرنسية بينما يشرف حفني ناصف على صياغتها العربية وكان لذلك أبعد الأثر على مستقبله وتغيير مسار حياته كلية ..

بعدها بعامين .. وبسبب ما اشتهر به من تمكن في اللغة العربية اختير للسفر إلى فيينا عضواً في مؤتمر للمستشرقين . وهكذا بدأ احتكاكه بالعالم الأوروبي وانبهاره بالحضارة القائمة هناك .. وظل هذا الاعجاب يلازمه ، فعاش يرتحل الى أوروبا على الدوام وكلما سنحت له الفرصة كعادة معاصرية من المثقفين .. وكان طبيعياً بعد ذلك يوم انشئت مدرسة الحقوق ان يعين حفني ناصف أستاذاً بها . ولمادة فريدة فهو لم يدرس القانون في صلبه لأن القانون لم يكن قد وضع بعد .. ولكنه عين لتدريس كيفية صياغة مواده وهو ما اهلته له تجربته السابقة في سكرتارية دار القضاء .. وعلى يديه تخرج أعلام كثيرون من الشعراء والأدباء والسياسيين منهم أحمد زكي شيخ العروبة ، وشوقي أمير الشعراء ، ومصطفى كامل الزعيم الوطني

في محيط الأسرة

والى هنا ولنا وقفة نحاول أن نتبين فيها بعض الجوانب من حياته . فالرجل كما قلنا كان يجمع في شخصه الكثير من المواهب والملكات . ورغم عنايته بالوظيفة وانغماره في سلكها لكثرة أعبائه العائلية ثم تنقله من عمل الى عمل .. الا انه كان يعيش حياته العامة بكل ابعادها .. كان حاضر الوجود بين الشعراء دائم الجلوس مع الظرفاء كثير العناية برياضة بدنه . لا يفرغ من قصيدة شعر الا ويتلوها بدراسة لغوية يتمها لينكب على بحث قانوني حتى بلغت مؤلفاته غير دواوين شعره خمسة وعشرين كتاباً ..

ويعود من رحلاته لأوروبا يحاول تنشيط البيئة لتعيش حضارة العصر كما عرفها هناك . وقد انصب بكليته على مدار عمره لتنشئه ابنائه . وكان يعاملهم بحرية وطلاقة كصديق شاب مثلهم رغم شدته وصرامته . يسخر منهم ويبيح لهم السخرية منه .. ويدفعهم بكل قواه إلى الاهتمامات التي حرمته منها قيود حياته ومسئولياته ..

فكان وراء ابنته ملك باحثة البادية في كل نشاطها الأدبي والاجتماعي . ولكم كان يحاول ما وسعه الرزق ان يبعث باولاده للتعليم في الخارج ويشجعهم على كل نشاط مهما كانت المخاطر ، حتى لقد تعرض ابنه مجد الدين للاعدام في احدى القضايا السياسية الكبرى فلم تهتز له شعرة وظل يسانده حتى أفرج عنه رغم مخالفته في الرأي .. ذلك انه كان لا يقبل من احدهم ان يجاريه في رأي لا يكون مقتنعاً به .. كان يحب كل من يخالفه من ابنائه وكل من يغالبه فيغلبه برأيه مرتكناً في هذا كله على ان مهمته هي أن يدفعهم دفعاً الى تحقيق ما اعجزته عنه طبيعة حياته وهو الاستقلال في الرأي وحرية التصرف . روى لي اصغر ابنائه المرحوم عصام حفني ناصف وكان أستاذي وصديقي ان والده كان يدفعه دفعاً إلى دراسة الأفكار العصرية .. وكان يشترى له الكتب بنفسه ويحضرها معه من رحلاته الأوروبية كهدايا تغنيه عن أفخم الهدايا .. ذلك ان الوالد كما كان عصام يقول .. كان يؤمن ايماناً راسخاً بأن العبرة في حياة الانسان تقوم أساساً على حرية اختياره لموقفه ونظرته وتحديده المستقل لمصيره ومسلكه بدون فرض أو إملاء من أحد .. لأنه كان ينظر دائماً إلى أولاده في حياتهم المستقبلية ويتمنى ان يحققوا لانفسهم بانفسهم ما عجز هو عن

تحقيقه لنفسه .. وكل ذلك فى حرص ابوى وتجرد ذاتى وبروح وطنية قومية خالصة ..

نزاهة الشجعان

وربما كان هذا الايمان هو الدافع الرئيسى الذى جعل حفنى ناصف يتنقل من عمل الى عمل فى محاولة مستمره لكى يلحق بالمستقبل ، اذ سرعان ما نراه يترك التدريس فى الحقوق ليدخل امتحان القضاء ويعين قاضيا فى نهاية الأمر .. وصفحة حياته القضائية من الصفحات المشرفه التى يشهد له به كل من عاصروه وعلى رأسهم سعد زغلول .. ولقد تميز بين القضاة ايامها « بطلاقة الاحكام وعمق البصيرة وعدالة الضمير » ولم يمنعه وجوده على كرسى القضاء من الوقوف فى وجه أعداء البلاد حيث يقول :

ثم مصيبة وتجيء اخرى
وترحل غمه وتحل غمه
كان الحزن مكتوب علينا
فلا نرتاح يوماً من ملمه

فلما اشتد صلف الانجليز وتعجرفوا بالاحتلالهم وازداد عنفهم وعتوهم فى مقاومة الحركة الوطنية البازغة التى قادها تلميذه مصطفى كامل .. عاد يهتف فى قصائده ..

فشر مقبل يتلوه شر
يفوت العمر فيه ولا يفوت
عجبت لمن له بصر وسمع
يرى هذا البلاء ولا يموت

وعلى قدر ما انطوى وجدانه على روح وطنية خالصة .. على قدر ما انطوى قلبه عللى حب جارف لجماهير الشعب . وحين قامت دعوة محمد فريد للأخذ بناصر العمال والفلاحين .. هتف حفنى ناصف ..

الله فيهم فحرث الارض فى يدهم
يبدون من سرها ما كان مدفونا
وهم قيام على الانعام سائمة
وهم طهاة ونساج وبانونا
لهم يد كل يوم فى مرافقنا
فلتجر من فوق ايديهم ايادينا

وكان طبيعياً بعد ذلك وهو قاض فى محكمة طنطا ان يصدر حكمه ببراءة طلبة المعاهد والمدارس من التهم السياسية وهو الأمر الذى عرضه للكثير من الوان التشريد والاضطهاد .

رئاسة الجامعة

كان من اهم المنجزات التى حققتها ثورة المثقفين بقيادة الحزب الوطنى ..التفكير فى إنشاء جامعة مصرية .. وجاءت الدعوة عام ١٩٠٦ كرد فعل مباشر على سياسة الانجليز التعليمية فى استغلال معاهد العلم لاخراج موظفين يديرون لهم الدواوين الحكومية .. وظلت الدعوة فى تزايد يحمل لواءها سعد زغلول وقاسم امين ولطفى السيد وحفنى ناصف .. فانبعثت من نادى المدارس العليا عام ١٩٠٨ . ولم يكن غريباً ان يقع اختيار المؤسسين على حفنى ناصف ليكون اول رئيس لمجلس ادارة الجامعة الاهلية المصرية الجديدة . لكن حفنى ناصف لم يقنع بالرئاسة بقدر ما قنع بالتدريس فى كلية الاداب الوليدة .. فكان يحاضر فى مادة اداب اللغة العربية .. وكان من ابرز تلاميذه فيها طه حسين .

لكن إدارته للجامعة الاهلية والتدريس فيها لم تكن من الامور التى يرضى عنها الاحتلال ولذلك اوعز الانجليز بنقله إلى قنا لتتفتح شاعريته عن اشهر قصائده وامتعها .. وهى القصيدة التى تكشف عن جانب هام من شخصيته وهو جانب السخرية اللاذعة .. وهذه القصيدة كانت وربما لا تزال من المقررات الثابتة فى محفوظات المدارس على الدوام ..

قالوا شخصت إلى قنا
يا مرحبا بقنا واسنا
قالوا سكنت السفح قلت
وحبذا بالسفح سكنا
قالوا قنا حر فقلت
وهل يرد الحر قنا

والسخرية فى القصيدة واضحة من براعة التركيب وسلاسة الفكرة وهى تكشف عن اصالة وبراعة وجذالة شعره .
ومما يقوله فيها ..

عش فى القرى راسا ولا
تسكن مع الاذناب مدنا
واربا بنفسك ان ترى
مستمرئا فى العيش جبنا

وواضح من البيتين مدى كراهيته للظلم واحتفائه بالحرية . والواقع ان الشعر على قدر ما كان صنعته كان أيضاً هوايته ومتنفسه ومنطلق روحه فى مجابهة الخطوب ومقارعة الهوان ..

على المعاش

تنقل حفنى ناصف على مدار حياته فى عدة وظائف .. وكانت تتجلى فى كل منها ملكاته المتعددة ولا أقلها ملكة الغناء .. فقد كان صاحب صوت رخيم ومن ادرى أهل زمانه بالحان الموسيقى الشرقية ومقاماتها .. ولذلك لم يكن غريباً ان يسارع الى الانتقال من القضاء إلى تفتيش اللغة العربية ليعين مفتشاً اول لها .. وهذا المنصب ظل يشغله حتى احيل إلى المعاش وهو فى تمام صحته وعافيته الأمر الذى احزنه ورده إلى شكاواه فقد عاش طوال عمره معتداً بنفسه فخوراً بمعارفه ومواهبه مطمئناً لمكانته وشخصيته فى المجالات الأدبية العامة كشاعر ومعلم وصديق لأكبر الكبار وتلميذ لأعظم الأعلام واستاذ لأبرز المبرزين .. ومع ذلك يرى نفسه تسير الوظيفة والسن المحدد من العمر لمعاشها .. ثم لا يجد بعد كل هذا الا المعاش والتقاعد وسوء الحال رغم سبقه فى العلم والادب والشعر واللغة والقانون والموسيقى بل والرياضة .. ويرثى لحظه العاثر ..

أمضى حفنى ناصف السنوات الباقية من عمره على مدار الحرب العالمية الأولى وهو الحكم الفيصل فى التنافس المحتدم بين حافظ وشوقى وكان يميل لحافظ ابراهيم لانه فقير ومضطهد وعاثر الحظ مثله . وكان ايامها بحق يعتبر فارس المجالس واظرف الظرفاء يسخر بالحياة بقدر ما سخرت منه وسط مجموعة لا تتكرر من ندماء الأدب .. عبد العزيز البشرى وإمام العبد واترابهما . ثم يموت منسياً فى ٢٥ فبراير قبل وقوع ثورة ١٩١٩ بايام معدودة فلا يكاد أحد يحفل بتابينه . وبذلك يكون حفنى ناصف قد طوى بحياته اسطع الصفحات فى حياة الجيل الذى عاش فى منعرج اضخم تطور عرفته مصر وهى تخرج من اسر الركود والجمود الى منطلق المعاصرة والحداثة فى لحاقها الدائب بحضارة القرن العشرين ـ اسرع الحضارات وقعاً فى خطاها نحو المستقبل .

نعمان عاشور



موشى أرينس : وزير الحرب الإسرائيلي الجديد

صقر.. أم حمامة؟

بقلم : عصام شريح

أثار استبدال أريئيل شارون بـ موشى أرينس على رأس وزارة الحرب الاسرائيلية مؤخراً ، بعض «الأفكار والآمال المتفائلة» بامكانية حدوث تحول فى السياسة الاسرائيلية المتطرفة تجاه لبنان والضفة الغربية المحتلة بصورة خاصة ، إضافة الى مجريات الصراع العربى ـ الاسرائيلي بشكل عام ، خاصة وأن وزير الحرب الجديد بدأ يشيع فى تصريحاته ، انه رجل مؤمن بالواقعية السياسية ، ولا يذهب وراء الخيال بعيداً ، وانه يبنى آراءه ومواقفه وقراراته فى النهاية على أساس من الدراسة المتعمقة وحسابات الأرقام والخسائر والأرباح ..

لكن هذا الكلام الذى يتسم ظاهرياً بالصفة العلمية والروح الموضوعية ، هو أبعد ما يكون عن عقلية موشى أرينس ومعتقداته الصهيونية الثابتة والراسخة .. كيف ؟؟ هذا ما نحاول أن نجيب عليه .

من هـــو ؟

ولد موشى أرينس فى ٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٢٥ بمدينة « كوفنو » فى ليتوانيا لأسرة يهودية وحين كان عمره ١٤ عاماً ، هاجر مع عائلته إلى الولايات المتحدة ، أى فى عام ١٩٣٩ ، وهناك درس هندسة الطيران فى مؤسسة ماساشوستس للتكنولوجيا ، وفى عام ١٩٤٤ ، انضم أرينس إلى الجيش الامريكى ، حيث عمل فى إحـــدى فرقه الهندسية ، واشترك فى القتال خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد انتهاء الحرب ، عمل ممثلا لحركة « بيتار » الصهيونية فى الولايات المتحدة ، وكان هدف هذه الحركة التى نشأت أولا فى بولندا فى عام ١٩٢٣ ، هو إعداد الشباب اليهودى للهجرة الى فلسطين ، عن طريق تدريبهم على الحياة الزراعية والحياة العسكرية معاً ، إضافة إلى تلقينهم الأيديولوجية الصهيونية التى كان أحد شعاراتها فى تلك المرحلة هو : « الغزو ، أو الموت .. !! » ، وفى عام ١٩٤٨ ، هاجر أرينس إلى فلسطين ، حيث عمل بنشاط فى صفوف حركة « بيتار » التى كانت قد أفرزت عصابة الارغون (١٩٣١) ، والتى آلت قيادتها بعد موت جابوتنسكى إلى مناحم بيجن ، الذى غدا مثلا أعلى لموشى أرينس ، لكنه لم يلبث أن عاد ثانية الى الولايات المتحدة لمتابعة دراسته ، وبعد ثماني سنوات رجع الى فلسطين المحتلة ، حيث عمل أولا مدرساً فى معهد « التخنيون ـ معهد الهندسة التطبيقية » بمدينة حيفا ، وفى مطلع عام ١٩٦١ انتقل للعمل فى حقل الصـــــناعة الجـــوية الاسرائيلية ، حيث أصبح من كبار مهندسى هذه الصناعة ، وفى العام التالى أسندت إليه رئاسة هيئة الصناعة الجوية ، وكان خلال هذه الفترة المسؤول عن انتاج وتطوير طائرة « كفير » الاسرائيلية .

لكن نقطة الانعطاف فى حياة موشى أرينس ، جاءت مع انضمامه رسمياً لحزب حيروت الذى يتزعمه مناحم بيجن ، وبعد أشهر معدودة فقط من عملية الانضمام هذه أى فى كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٧٣ ، انتخب عضوا فى الكنيست عن حزب الليكود (التكتل) ، حيث كان رقمه فى القائمة الانتخابية عن هذا الحزب آل ٣٢ ، أما فى الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة (١٩٨١ ـ الكنيســـت العاشر) . فقد احتل اسمه الرقم ١٤ فى قائمة الليكود الانتخابية ، وفى عام ١٩٧٧ ، شغل أرينس منصب رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست ، وبقي فى هذا المنصب حتى عام ١٩٨١ ، حيث اختاره مناحم بيجن ليكون سفيرا لاسرائيل فى واشنطن ، وقد استمر فى المنصب الجديد لمدة عام تقريباً ، أى حتى استدعى فى شباط (فبراير) الماضى ، لكي يخلف أريئيل شارون على رأس وزارة الحرب .

في المعترك السياسي

عندما خاض أرينس معترك الحيـــاة السياسية منذ انتخابه للمرة الأولى نائبا فى الكنيست فى عام ١٩٧٣ ، لفت الأنظار اليه ـ وخاصة أنظار « الصقور » وعلى رأسهم مناحم بيجن ـ فى مناسبتين.الأولى عندما « صوت فى الكنيست إلى جانب النائبة جيئولا كوهين وبضعة نواب يعدون على الأصابع ، ضد اتفاقية كامب ديفيد ، لانها نصت على اخلاء سيناء وإعادتهـا الى مصر ، وهو الأمر الذى رأى فيه أرينس « تنازلا » كبيراً من اسرائيل على حد ادعائه لكنه بعد توقيع الاتفاقية قال إنه لن يعترض عليها فيما بعد . والثانية ، عندما رفض منصب وزير الحرب فى عام ١٩٨٠ ، الذى عرضه عليه مناحم بيجن ، فى أعقاب استقالة عيزر وايزمن من هذا المنصب آنذاك ، وكانت حجته فى رفض هذا المنصب هى معارضته لاعادة سيناء إلى مصر ، وتطبيق « مشروع الادارة الذاتية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين !! » .

وقد علل أرينس رفضه منصب وزير الحرب فى عام ١٩٨٠ بالعبارات التالية : « كنت على ثقة كاملة من أنني اذا دخلت الحكومة للعمل كوزير للدفاع ، فساضطر عندها إلى اتباع سياسة مناقضة لمواقفى وآرائي ، أو العمل خلافاً لسياسة الحكومة وفى هاتين الحالتين كانت خطواتي ستبدو مرفوضة ، ومن شأنها ان تزيد من حدة الخلافات والتوتر بيني وبين الحكومة وزملائي فيها .. وفيما يتعلق « بالمناطق المحتلة » فانا من أشد الداعين لضم الضفة الغربية إلى اسرائيل وفرض القانون الاسرائيلي عليها .. فهل كنت ساقف مكتوف اليدين حتى اليوم ، دون أن تكون الضفة قد ضمت إلى اسرائيل فعلا .. لكنني على أية حال لست بنادم لأنني رفضت منصب وزير الدفاع ، ذلك لأنني لم أكن أريد التورط فى إخلاء المستوطنين من سيناء ، علماً بأنني أصلا ضد عملية الاخلاء ، وضد الانسحاب » .

إن آراء أرينس المتطرفة هذه ، كانت وراء اهتمام مناحم بيجن به ، وتعيينـه « سفيراً لاسرائيل فى واشنطن » ، ثم وراء عودة بيجن لاسناد منصب وزير الحرب ، بعد إبعاد أريئيل شارون عن هذا المنصب ، فى عملية مسرحية ، كان غطاؤهـــا « الديمقراطي » تقرير لجنـــة التحقيق الاسرائيلية (لجنة كاهان) فى مذابح الفلسطينيين فى مخيمي صبرا وشاتيلا فى بيروت .

فى أقصى اليمين

قد لا يحتاج الباحث أو المحلل قدراً كبيراً من الجهد ، لكى يحدد موقف موشى أرينس فمجرد قراءة عادية لأفكاره المتناثرة هنا وهناك فى الصحف الاسرائيلية أو الأمريكية ، كافية ، بحد ذاتها ، لتعيين موقف هذا الصهيونى العريق ، وتحديد مكانه فى صفوف « الصقور » الذين يقودون الكيان الصهيونى حالياً . وأول ما يطالعنا به أرينس فى هذا النطاق ، هو تصنيف نفسه بنفسه فى أقصى اليمين ، حيث نراه فى صحيفة « هارتس » فى شباط (فبراير) ١٩٨٢ ، يبدى إعجابه بكل من مناحم بيجن واسحق شامير والبروفسور يوفال نعمان وأريئيل شارون ويقول : « على الرغم من أننى كنت فى عام ١٩٧٨ من أشد المؤيدين لمواقف مناحم بيجن السياسية ، فاننى لا أرى اليوم أيضاً اختلافاً كبيراً بين مواقفي ومواقف كل من بيجن وشامير وشارون أيضاً ، ذلك لاننا جميعاً متفقون على مبدأ اللاتنازل عن المناطق المحتلة . وعدم الانسحاب منها وهذان المطلبان هما بالضبط ما يصر عليهما يوفال نعمان كذلك »

وفي الـــواقع ، فان موشى أرينس ، لا يختلف عن أستاذه بيجن فى شيء ، بل إن صحيفة « النيويورك تايمس » قالت فى شباط (فبراير) الماضى « إن بيجن يبدو أحياناً معتدلا اذا ما قورن مع أرينس وشارون ، فهذان الرجلان يمثلان ذروة العنصرية والتطرف فى إسرائيل » . أما الفارق بين بيجن وأرينس فى تقدير صحيفة « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية فيكمن فى كون أرينس صقراً ذكياً ، يدرك واقع القوى الفاعلة فى عالم اليوم ، وهو يأخذ ـ على عكس بيجن ـ هذه القوى فى حسابه بصورة مرحلية على الأقل ، مع انه فى النهاية يقف نفس موقف بيجن من ضم الأراضى المحتلة » . ومن هنا يمكن فهم تصريحه غداة تعيينه وزيراً للحرب إذ قال « انني رجل واقعي ولكنني لست على استعداد أبداً للتفريط بأمور تتعلق بأمن اسرائيل » ! ومن تصريحاته الشهيرة التى تعبر عن نفس هذا الموقف أنه قال فى أعقاب معارضته لاتفاقية كامب ديفيد فى الكنيست فى عام ١٩٧٨ ، « لقد عارضت كامب ديفيد ، لأن ثمن بطاقة السفر كان مرتفعاً ، أما الآن وقد دفعنا ثمن البطاقة ، فان علينا ان نفعل كل شيء كى نضمن الوصول الى الهدف الذى نريده » .

أرينس وأمريكا

لا يخفى موشى أرينس مراهنتـــه على الولايات المتحدة كسبيل « أوحد » لبقاء

موشي أرينس : وزير الحرب الإسرائيلي الجديد

صقر.. أم حمامة؟

اسرائيل واستمرار وجودها فى منطقة الشرق الأوسط . ويحاول أرينس أن يسبغ على العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، صفة التحالف الاستراتيجى ، لكنه يعترف ان هذا التحالف اهتز أكثر من مرة ، بسبب اختلاف الرؤية حول المصالح « المشتركة » . فتراه يقول فى « هارتس ـ ٢٢ ـ ١٢ ـ ١٩٨١ » إن الاعتقاد السائد هو أن الولايات المتحدة أكثر أصدقاء اسرائيل اخلاصاً ، حيث هبت أمريكا أكثر من مرة لمساعدة اسرائيل فى أوقات الطوارىء ، « وحتى وان كان الحديث عن علاقات بين دولة عظمى ، وبين إحدى الدول الصغيرة فى العالم ، فانه يجوز القول ان اسرائيل صديقة مخلصة للولايات المتحدة ، بل وربما تكون بين أفضل أصدقائها » .

وفى هذا المجال من « الصداقة » أو التحالف ، يذهب أرينس بعيداً جداً ، فيتساءل بصيغة العجب : « على من تستطيع الولايات المتحدة أن تعتمد فى حالات الطوارىء » .. ويجيب بغطرسة زائدة : « ان دول أوروبا الغربية المرتبطة مع الولايات المتحدة بحلف عسكرى ، لا تقف الى جانبها دائما ، وليس واضحاً تماماً ، من منها ستهب لمساعدة واشنطن فى حال حصول أزمة أمنية .. إنما هناك مجال للاعتقاد بأن اسرائيل ستقف الى جانب الامريكيين فى حالة كهذه » .

وأكثر من ذلك ، فان موشى أرينس ، يحاول أن يضفي على العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، نوعاً من « الفلسفة السياسية » أو « المنهجية » الأيديولوجية » ، وهو يرمي من وراء ذلك بالطبع إلى تطويق أى « انحراف » فى السياسة الامريكية عن سياسة اسرائيل ، وتحديد سياسة جديدة ترتكز إلى قاعدة المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، بصرف النظر عن الاستراتيجية الاسرائيلية نحو دول المنطقة .

يقول أرينس : « ان الصداقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، انما ترتكز على قيم واحدة ، ومصالح مشتركة ، وليس صدفة أن هذين العاملين معاً يشكلان قاعدة العلاقات بين الدولتين » .

إلا أن أرينس يحاول هنا ان يجد مخرجاً نظرياً لاحتمال اختلاف المصالح وعدم تماثلها دائما ، وان كان لا سبيل لقيام مصالح متناقضة لكل من اسرائيل والولايات المتحدة فى نهاية المطاف ، اى أن أرينس يضع فى حساباته هامشاً لابد منه لاختلاف وجهات النظر أحياناً حول تماثل المصالح « المشتركة » ، ولكن « التقارب الأيديولوجى » على حد تعبيره ، كفيل فى النهاية بخلق بنية مشتركة من المصالح بين الدولتين « الديمقراطيتين » .

وهنا يبدو أرينس من ذلك النوع من السياسيين الذين يؤمنون بسياسة النفس الطويل وبضرورة احتواء أى خلاف فى الرأى عن طريق الحوار والاقناع والاحتكام إلى الرأى العام ، وهو هنا ضد الانفعالات والحماس فى العمل السياسى كما هو ضد استبعاد المرونة كوسيلة لابد منها للاقناع فى الحوار مع الامريكيين ، فالجلبة والضوضاء التى خلقها وزير الحرب السابق أرييل شارون فى حواره مع واشنطن كانت مضرة باسرائيل حسب رأى أرينس ، كما أن دخول شارون فى حملة من المهاترات الكلامية والخلافات العلنية ، قد أساء الى صورة اسرائيل فى الولايات المتحدة .

أما مفهوم أرينس للحوار والاقناع مع الامريكيين ، فهو « أمر سهل نسبياً وشبه عادي ، فما لا يتم الاتفاق حوله من خلال المباحثات بين الممثلين الرسميين للدولتين تجرى مناقشته فى وسائل الاعلام المختلفة الداخلية والدولية ، فى اسرائيل ، والولايات المتحدة ، حيث يحاول ممثلو الولايات المتحدة إقناع ممثلي اسرائيل ، وفى الوقت نفسه الرأي العام الاسرائيلى أيضاً ، وهكذا يفعل أيضاً ممثلو اسرائيل مع ممثلى الولايات المتحدة وأمام الرأى العام الأمريكى » .

ومع تركيزه على هذه الصيغة من الحوار المتبادل ، للتغلب على الخلافات فى رؤية المصالح بين الولايات المتحدة واسرائيل فى حال نشوب مثل هذه الخلافات على ندرتها وعدم ديمومتها ، فان ارينس يعترف أيضاً بأن خلافاً ما في الرأى بين الجانبين يمكن أن يبقى قائماً إذا فشل الحوار المشترك فى إيجاد قاعدة للاقتناع .. إلا أن أرينس مع ذلك لا يرى سبيلا اخر غير الحوار ومحاولة الاقناع لارساء العلاقات بين واشنطن وتل أبيب ، ويستبعد فى مجال هذا المسار أى فرصة « للضغوط ولوي الأذرع » لأن مثل هذه الوسائل « تتناقض مع العلاقات بين دولتين صديقتين » ، وهو يحاول هنا أن يغمز من قناة الامريكيين لتلويحهم احياناً باتباع « سياسة لوي الذراع » عن طريق فرض حظر على الأسلحة الامريكية لاسرائيل ، أو التلويح بتجميد المساعدات المالية اليها ، كما حدث خلال مناقشة صفقة طائرات الأواكس الرادارية للمملكة العربية السعودية ، أو فى أعقاب ضم هضبة الجولان السورية .. وغيرها من المناسبات والأحداث . وبالطبع فان أرينس يستخدم أسلوب التهويل والتضخيم فى مجال فرض عقوبات امريكية على اسرائيل فى أى ظرف أو مناسبة ، بالرغم من تباين الرؤية « للمصالح المشتركة » ، إذ أن أى حظر للأسلحة أو تجميد للمساعدات الامريكية لاسرائيل ، لم يتعد كونه عملية مسرحية لامتصاص النقمة العربية ، ولا نعرف أن حظراً أمريكياً من هذا النوع استمر لأكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر على أبعد تقدير . لكن علينا هنا أن نلاحظ أن أسلوب التهويل والتضخيم هو جزء من السياسة الاسرائيلية ليس تجاه الولايات المتحدة فحسب ، وإنما تجاه دول الغرب بشكل عام وهذا الأسلوب فى السياسة الاسرائيلية ، كان معمولا به باستمرار منذ إنشاء اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وموشى أرينس لا يأتي بجديد فى هذا المجال ، وإن كان يحاول تقديمه فى صياغة « عصرية » . وأرينس

مقتنع تماما فى النهاية أن الولايات المتحدة ستعود إلى صوابها إذا مـــا حـــاولت « الاختلاف » عن الرؤية الاسرائيليـــــة للمصالح المشتركة فى منطقة الشرق الأوسط ، ويقدم مثلا على ذلك « حلف بغداد » فى الخمسينات ، حيث حاولت الولايات المتحدة فى أوج الحرب الباردة آنذاك بناء جبهة استراتيجية لكبح تغلغل النفوذ السوفيتي فى المنطقة تكون أضلاعها دولا عربية واسلامية ، ويشير الى ان الجهود الأمريكية المبذولة آنذاك قد ذهبت أدراج الرياح ، لأن الامريكيين « اختاروا الارتكاز على قصبة مكسورة » ، حيث اتجهت مصر إلى السوفييت ، وأطيح بنظام نوري السعيد فى العراق ، « وانهار قصر الورق قبل اكتمال تشييده » على حد تعبير أرينس .

سياسة التحريض

إن الميزة التى يمكن ملاحظتها فى تفكير موشى أرينس ، هى اعتماده بشكل أساسى على أسلوب التحريض تجاه الولايات المتحدة ، بهدف إقناعها بأن اسرائيل هى « الدولة » الوحيدة المخلصة لها ، والتى ستهب فوراً للدفاع عن مصالحها فى الشرق الأوسط ، عندما تطلب منها ذلك . وكان أرينس واضحاً تماماً فى هذا المجال ، فى مقال كتبه فى صحيفة « هارتس » بتاريخ ١٤ ـ ١ ـ ١٩٨٠ تحت عنوان « فى عصر حروب النفط » . ففى ذلك المقال وضع وزير الحرب الاسرائيلى الجديد التدخل السوفييتي فى أفغانستان فى سياق الصراع على النفط بين الـــــدولتين ، وقال إن المجازفة التى أخذها زعمـــــاء الكرملين على عاتقهم عندما قرروا القيام بغزو عسكرى لأفغانستان ، تجد تفسيراً وحيداً لها هو النفط ، ويحاول أرينس أن يدعم مقولته هذه بالقول ان الإتحـــاد السوفييتي لن يتمكن من تلبية احتياجات حلفائه والدول الدائرة فى فلكه من النفط ، مما يستنتج معه أرينس ان حرب النفط قد بدأت فعلا .

ومن الواضح هنا ، أن أرينس يستخدم سياسة التحريض تجاه الولايات المتحدة ، بهدف اشغال تفكيرها ب « صراع النفط » ، وصولا الى اقناعها بأن لا حليف حقيقي لها فى هذا الصراع سوى اسرائيل ، وأن تجربة « حلف بغداد » درس يجب استيعابه فى هذا النطاق . ف « المدماك الأساسي » للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط هو كما يقول أرينس « الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى لها التزام عقائدى نحو أسرة الدول الديمقراطية وزعامة الولايات المتحدة لهذه الأسرة ـ اسرائيل » .. اذن ففى رأى أرينس لا بديل للتحالف الامريكى ـ الاسرائيلى ، من أجل حماية مصالح الغرب فى منطقة الشرق الأوسط ، وأية محاولات لاقامة احلاف من دول عربية أو اسلامية هى محاولات بائسة مقضى عليها بالفشل ، ولن تكون أوفر حظاً من محاولة « حلف بغداد » فى الخمسينات . ويكرر أرينس هنا تضخيم حجم قوة اسرائيل العسكرية ، بهدف تثبيت قناعة لدى الامريكيين بأن اسرائيل هى الذراع الضاربةللولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، فيقول : « ان المساهمة المحتملةلدولة اسرائيل ، لا تنحصر فى استقرار نظام الحكم فيها ، وفى تقاليدها الديمقراطية فحسب ، بل إن اسرائيل هى أيضاً محور القوة العسكرية الوحيدة فى العالمالغربي ، ماخلا حلف شمال الأطلسي والجيش الأمريكي » ، ولا يكتفي أرينس بهذا القدر من التضخيم فى أهمية اسرائيل العسكرية بالنسبة للولايات المتحدة ، بل هو يضيف الى ذلك أن اسرائيل تمتلك ميزتين أساسيتين من أصل ثلاث يجب أن تتمتع بها الدول بمفردها لبناء عناصر القوة المطلوبة لضمان وجودها فى مرحلة مليئة بالمخاطر ، وهما كما يقول « المســـــتوى التكنولوجى المتوفر لديها ، وهو من أفضل المستويات فى العالم .. » ثم الجيش القوى حيث الجيش الاسرائيلى « هو من أفضل الجيوش فى العالم » ، أما العنصر أو الميزة الثالثة التى تنقص اسرائيل ، فهى ميزة الطاقة ، التى فقدتها بعد إعادة آبار النفط فى سيناء الى مصر ، لكن أرينس يرى مع ذلك أن اسرائيل تستطيع التغلب على جانب كبير من هذه المشكلة بالشروع فى بناء مفاعلات نووية لانتاج الطاقة ، ولتحرير شبكة الكهرباء ، على الأقل ، من التبعية لاستيراد النفط » .

لا جديد تحت الشمس

ومن كل هذه الطروحات المغرقة فى العنصرية والنزعة العدوانية ، يخلص أرينس الى نتيجة يحاول أن يضغط بها على أعصاب الامريكيين وأيضاً على أعصاب الاسرائيليين ، وصولا الى تحقيق هدفه الاسلمي وهو أنه لا بديل عن التحالف الامريكى ـ الاسرائيلى ، لكلا الفريقين ، وهذه النتجية كما يصورهـــا أرينس هى « أن العالم ، كما يظهر ، يرمي وراء ظهره ، ولفترة ما على الأقل ، آمالا قديمة العهد بسلام يعم البسيطة ، وبصداقة بين كل الشعوب .. فلقد تزايد عدد سكان العالم بنسبة كبيرة جداً ، والمصادر تحت سطح الأرض تنضب شيئاً فشيئاً ، وحتى الآن لم تتوصل دول العالم الى اتفاق حول تقسيم عادل لكنوز الأرض وان نظرة واعية الى هذا الواقع الحزين ، هى بمثابة شرط أساسى لاستمرار الوجود فى عالمنا » .

ومن ضمن هذه النظرة « المالثوسية » المتشائمة ، يحاول أرينس وضع الولايات المتحدة امام خيار وحيد لحل المشكلات والأزمات الدولية ، وهذا الخيار هو خيار الحرب وإبادة الشعوب ، أو هو بمعنى آخر الخيار الذى تحدث عنه« دارون » حـــول « بقاء الأصلح » .

واذا كان أرينس يتحدث الى الامريكيين والغرب عامة ، وحتى الى الاسرائيليين بهذا الأسلوب المغرق فى التشاؤم ، والمفعم بروح العدوان والحرب ، فلأنه يؤمن تماماً أن اسرائيل لا تستطيع قبول السلام ، أو العيش فى ظروف الهدوء الطويلة « فالقوة هى الضمان الوحيد لأمن اسرائيل » ، وفى رأيه ان اسرائيل مهددة بخطر الحياة أو الموت باستمرار ، وقال فى حديث نشر مؤخراً فى الولايات المتحدة : « إن مجال الخطأ أمام اسرائيل ضيق جداً ، لأن وجودها مهدد » !! وقد سئل أرينس مرة عن مفهومه للعمل الدبلوماسى فقـــال : « الدبلوماسية الاسرائيليـــــة شيء ، ودبلوماسية الآخرين شيء مختلف .. اننا ضد دبلوماسية الضعف ، وضد المناورات وممارسة الضغوط علينا .. واذا كانت الدبلوماسية تعني ذلك ، فاننا نفضل ألا نعتمد على الدبلوماسية فى بنـــــاء دولتنا » !!

وفي الواقع فان أرينس لم يأت هنا أيضاً بجديد ، باستثناء إثباته انه صقر فى أقصى اليمين الصهيوني ، وانه تلميذ وفي ومخلص لأرباب الارهاب الصهيونى والعدوانية الصهيونية ، فقد قال بريجنسكي مرة فى مجال تعريفه للسياسة: « إن السياسة هى القوة » . حقاً .. ليس هناك جديد تحت الشمس فى الكيـــان الصهيوني .

عصـــام شريح

بطل
من المغرب

محمد علال الفاسي

المفكر الذى نادى بإطلاق حرّية التفكير

بقلم : صديق عكاشة

اجتمعت فيه صفات قل أن تجدها فى غيره ! فهو العالم الفقيه ، والكاتب القدير ، والشاعر المتمكن ، والخطيب المقتدر ، والباحث المدقق .

هذا هو العالم المجاهد المغربى محمد علال الفاسى ، الذى وافته المنية فى الثالث عشر من مايو ١٩٧٣ وهو فى مدينة بوخارست عاصمة رومانيا ، بينما كان يؤدى مهامه هناك كمفاوض للمملكة المغربية .

ولد محمد علال بن عبد الواحد الفاسى فى يناير ١٩١٠ فى مدينة فاس بالمملكة المغربية ، وكان أبوه من أكبر علماء القرويين ، وبيته كان منتدى للمفكرين والعلماء من مختلف مدن المغرب ، لذا التحق محمد علال بجامعة القرويين بعد أن تلقى علومه الأولى كما كان يتلقاها قرناؤه فى « كتاب القرية » ، وتخرج فى الجامعة علم ١٩٣٠ أى فى العشرين من عمره ، وشرع يلقى دروساً فى الجامعة التى تخرج فيها متناولا التاريخ بوجه عام والتاريخ الاسلامي والمغربى بوجه خاص ، فالتف حوله طلاب العلم ومحبو المعرفة وفى نفس العام اعتقل ، ثم أفرج عنه ومنع من مزاولة نشاطه العلمي .

وقرر أن يسافر الى الشمال ، فانتقل الى أسبانيا ثم فرنسا ، حيث علم بمكيدة تدبر لاعتقاله هناك ، فسافر الى سويسرا .

عاد الى وطنه عام ١٩٣٤ ونظم النقابات واشترك فى تنظيم حركة سياسية سرية تناهض الاحتلال ، ثم أعلن عام ١٩٣٦ عن تشكيل حزب « كتلة العمل الوطنى » بزعامته ، وبعد عام أخر أسس « الحزب الوطنى » .

فى عام ١٩٣٦ وقعت حوادث دامية فى مكناس والخميسات بتدبير من الغزاة المستعمرين ، ولكنهم حمّلوه وزرها ، فاعتقلوه ونفوه الى « الجابون » عام ١٩٣٧ وظل منفياً حتى عام ١٩٤٦ حيث أفرج عنه فسافر الى باريس ، وهناك اتصل برجال الجامعة العربية والسياسيين العرب . وفى عام ١٩٤٧ سافر الى القاهرة حيث اتصل فيها بسياسيين من تونس والجزائر وكونوا « لجنة تحرير المغرب » فى ديسمبر من نفس العام .

وقد كانت فترة اقامته بمصر وعضويته للجنة تحرير المغرب من أخصب فترات حياته عطاء ، فقد القى كثيراً من المحاضرات وألف عديداً من الكتب منها : « حركة الاستقلال فى المغرب » ، و « النقد الذاتى » ، و « أحاديث المغرب فى الشرق » .

وقام محمد علاّل الفاسى بزيارة بلدان فى آسيا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا ، ولم يعد إلى وطنه إلا سنة ١٩٥٦ عقب إعلان استقلال المغرب ، بعد نشوب ثورة عارمة فى الريف وجبال الأطلس متوازنة مع ثورة الجزائر التى انطلقت عام ١٩٥٤ .

وفى سنة ١٩٦١ عين وزيراً للشئون الاسلامية وبقي فى هذا المنصب حتى عام ١٩٦٢ ، وانتخب عضواً فى البرلمان المغرّبى سنة ١٩٦٣ وتحالف حزبه مع « الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية عام ١٩٧٠ مكونين جبهة الكتلة الوطنية ، ولكنها انحلت عام ١٩٧٢ .

علاّل .. العالم

كان محمد علاّل الفاسى أستاذاً بجامعة القرويين ، وبكليتى الحقوق بجامعة محمد

الخامس بالرباط ، وجامعة فاس ، بالاضافة الى أعماله السياسية والثقافية .

طبعت له كتب عديدة منها « مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » ، و « دفاع عن الشريعة » ، و « الحماية فى مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية » ، و « حماية اسبانيا فى مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية » ، و « كراس فى السياسة البربرية ، و « نداء من القاهر » ، و « الجواب الصحيح » ، وذلك بالاضافة الى ما ذكرنا سابقاً .

وتقديراً لعلمه وفقهه ونشاطه ، فقد انتخب عضواً برابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وكان يعتبر من أبرز وانشط رجال الرابطة .

حرية التفكير

أولى محمد علال الفاسى اهتمامه البالغ بالتفكير ، وأوجب تعليمه وتعميمه بين الأوساط الشعبية ، وقد خصص كتاباً باكمله لذلك وهو كتاب « النقد الذاتى » .

لقد اقتنع تمام الاقتناع بان التفكير هو مبدأ ارتقاء الشعوب ، ولذا فهو يرى وجوب تعميمه واطلاق الحرية للمفكر ، كما قال فولتير « إذا أردت إنهاض شعب ، فعلمه كيف يفكر » . ويبرهن على ذلك بالنهوض السريع الذى آلت إليه أمم أوروبا وأمريكا ،

ويقول فى ص ٣٧ من نفس الكتاب « من الحق أن نعترف بأن للحركة السلفية التى عمت فجر نهضتها ، فضلا عظيماً فى ازاحة كثير من هذه الحجب ، وفى توجيه العقول إلى النظر والبحث ، وفى الثورة على العديد من الخرافات ورجالها ، ولكن ما وصلنا إليه من حب النظر ليس الا جزءاً مما يتطلبه الفكر الحر منا » .

وعلال ، منذ وسم بلقب « المفكر » لم يفكر فى مشاكل الفرد أو العائلة أو المسائل الخاصة ، وإنما جند فكره لمعالجة مشاكل أمته التى نشأ فيها وأخلص لها .



محمد علال الفاسى
واحد من المجاهدين الذين دعوا إلى النهضة والتحرر والاستقلال

القضية والصورة

يرى علال الفاسى أن القضايا التى يتناولها المفكر بالحديث ، والتى استوحاها من بين صفوف أمته ليعيدها مرة ثانية لأمته ، يجب أن يكون على دراية ومعرفة جيدة بجميع جوانبها وملابساتها حتى يحسن تصويرها وتاديتها على أحسن وجه .

يقول فى كتابه : النقد الذاتى (ص ٣٠) : « إن لكل قضية صورة كاملة ، وإن المفكر بمثابة الرسام الذى يجليها أمام نفسه أولا ، ثم أمام الجمهور ثانياً ، وإذا لم ينجح الرسام فى تمثل الصورة التى يريد تسجيلها تمثلا كاملا ، بما فيها من نور وما يكتنفها من ظلال ، فانه لن يستطيع أن يبرز للناس إلا رسماً ناقصاً أو أسطوريا لا يمت للذات التى يريد ابرازها بصلة » .

علال .. الفقيه

الفقه اصطلاحاً هو « العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين ، خاصة حتى لا يطلق بحكم العادة اسم الفقيه على متكلم وفلسفى ونحوى ومحدث ، بل يختص بالعلماء بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الانسانية ، كالوجوب والحظر والاباحة والكراهة » .. الخ . يقول ابن خلدون : « الفقه معرفة أحكام الله تعالى ، فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فاذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه » (مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٥) .

فالفقيه هو العالم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين .. المستخرج لها من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع من الأدلة ، فهو المفكر الدينى والمستنبط والمفتى ، وذلك يرادف المجتهد فى عرف الأصوليين .

وليست بالمهمة السهلة تلك التى يقوم بها ويقدر لها كل واحد ، بل لابد من توفر عدة خصال ، منها الذكاء وصحة الفهم ، وكمال الخلق ، والدين والعلم

كل هذه الصفات وأكثر منها كانت متوفرة فى محمد علال الفاسى ، فهو ضمن قلة من علماء عصره فى المغرب العربى الكبير ، الذين برزوا الى الوجود على مسرح الأحداث ، كمصلحين وموجهين ، لمسار الدين والدنيا معاً ، فكانوا هالة يستضيء بها الحيران ، ويستهدى بها المتخبط .

ولقد ظل الفقيد الكبير منافحاً ومكافحاً فى سبيل دينه وعقيدته وحرية الرأى ، حتى وافته المنية يوم الأثنين ١٣/٥/ ١٩٧٤ بمدينة بوخارست عاصمة رومانيا بينما كان يؤدى مهامه هناك كمفاوض للمملكة المغربية .

وبوفاته فقد العالم العربى والاسلامى علماً من أعلامه ، الذين قادوا ـ الشعوب العربية الى النهضة والتحرر والاستقلال .

صديق عكاشه
تلمسان ـ الجزائر

مسافر على الرصيف



عبادة بن الناطق

بقلم: محمود السعدني

كان عبادة فى نظر البعض متسولا ، وفى نظر البعض الآخر معتوها !

فهو متسول لا يسال الناس ولكنه لا يرفض ما يقدم اليه . وكان مجنونا ولكن جنونه كان من هذا النوع الهادىء الذى يلمع ويتوهج لحظات قليلة ، ثم لا يلبث ان يعود عبادة الى وعيه وكانه لم يكن منذ لحظات يجدف او يخطرف او يهذى بكلمات لا يفهمها الا قلة قليلة من الذين كانوا يعرفون عبادة عن قرب !

أما أصل عبادة وفصله فلا أحد يعرف عنهما شيئا كثيراً ، لا أحد يعرف ، لانه لا أحد اهتم ، فهو فى تلك الأيام المبكرة من حقبة الاربعينات لم يكن فى مصر من يشغل باله بأمر العقلاء فما بالك بامر المجانين ! كما ان عبادة كان له شبيه فى كل قرية مصرية تقريباً ، واكثر من شبيه فى كل حي من أحياء القاهرة ، والذين اعتادوا الجلوس على مقهى محمد عبد الله فى الجيزة فى تلك السنوات التى سبقت الحرب العالمية الاخيرة وصاحبتها فوجئوا بوجود عبادة فى المقهى ثم اعتادوا على رؤيته فيها حتى صار جزءاً لا يتجزأ منها شانه شان المقاعد والمناضد والجدران . ولم يكن عبادة عاملا فى المقهى بمعنى كلمة العامل كما نفهمها هذه الأيام ، ولكنه مجرد صعلوك ينام فى المقهى فقط يحتمى بها . ولم يكن يرتدى ملابس ولكن هرابيد تكشف عن جسده أكثر مما تخفى ، وكانت رائحته كريهة ونفاذه وتفوح من بعيد ، والاكيد ان الماء لم يلمس جسمه منذ ان غادر قريته فى اقاصى الصعيد . ولم يكن ياكل كما ياكل البنى آدمين فلم أره فى حياتى جالساً ياكل ولكنه كان يتناول وجبته وهو يذرع الرصيف أمام المقهى جيئة وذهابا فى خطوات عسكرية أشبه بمشية الاوزة الالمانية الشهيرة . وكان يتوقف احيانا ليلقي وفمه محشو بالطعام كلمات صارخة وغاضبة وغالبا بلا معنى ، ثم يستانف خطوة الاوزه والاكل من جديد . وكان يدخن بلذة ولكنه لم يدخن اكثر من خمس سجائر فى اليوم ربما لضيق ذات اليد وربما لحكمة نجهلها نحن العقلاء ويدركها ذلك المعتوه .

كان أنور المعداوى أكثر زبائن قهوة محمد عبد الله اهتماما واحتفالا بعبادة ، وكان يعتقد اعتقاداً لاشك فيه ان وراء عبادة سراً . وكان يستدعيه احيانا خصوصا ساعة العصارى ويساله أنور المعداوى عدة اسئلة عن الأحوال الخاصة والعامة على حد سواء ، وكان عبادة يستمع ويضحك ثم يفر هارباً ويختفى لحظات ، ثم يعود ليظهر فى مشيته العسكرية المعهودة ووجهه نحو السماء ويصرخ بكلام ، وكان أنور المعداوى ينصت اليه باهتمام مؤمنا بان ما نطق به عبادة له علاقة بالاسئلة التى طرحها عليه وعندما ما اشتدت الحرب العالمية ارتدى عبادة غطاء رأس لمارشال انجليزى . وكان كلما رأى وهو على رصيف المقهى جنديا من جنود الحلفاء تحرش به ، وكلما مضت سيارة عسكرية من الميدان بصق عليها عبادة فى زهو واستعلاء . ولم يشعر عبادة بأزمات الحرب العالمية ، لم يشعر بازمة التموين ، ولم يشعر بازمة السجاير ، ولم يشعر بازمة الدقيق ، فقد كان بحالة من انعدام الوزن والرغبة والحاجة .

ولكن عندما انتصر الانجليز على الالمان فى معركة العلمين نزع عبادة غطاء راسه المارشالى وراح يردد شعاراً واحداً لا غير (سعد باشا قال مفيش فايدة) وظل يردد هذا الشعار سنوات طويلة ولم يتخل عنه إلا عندما قامت حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ . فجأة انتاب عبادة نشاط لم نعهده فيه من قبل واشترى نموذج بندقية خشبية راح يحملها على كتفه وهو يخطو خطوة الاوزة على رصيف المقهى وكانت معسكرات التطوع أمام الشباب الراغبين فى الاشتراك فى حرب فلسطين قد بدأت العمل على قدم وساق ! وبدأت تظهر طوابير المتطوعين عقب صلاة الفجر تجتاز شوارع الجيزة مرددين شعارات الله اكبر ولله الحمد ، الذى اصبح شعار عبادة هو الآخر . وعندما انتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية القى عبادة سلاحه هو الآخر وعاد الى شعاره القديم « سعد باشا قال مفيش فايدة » . ولكن بمرور الوقت تطور جنون عبادة فاصبح من النوع الخطير . فقد كان يصرخ بشدة وينتابه هياج أشد . ولم يحفل احد بافعال عبادة باعتباره مجنونا وفاقد الاهلية وعديم التربية والأصل ؟

المهم أن عبادة كان اول من أيد ثورة ٢٣ يوليو بحماس وارتكب من أجل ذلك عملا كلفه عدة كفوف هوت على صدغيه من يد المعلم عبد الله الذى كان أقرب الى الوحش منه الى البنى آدمين ، ولكن هذه الكفوف الساخنة لم تمنع عبادة من القيام بعمل آخر لتاييد ثورة ٢٣ يوليو ولكنه تكلف فى المرة الثانية عدة أسنان سقطت من فمه . وأصل الحكاية أن عبادة كان يقوم بتنظيف المقهى وترتيب المقاعد والطاولات فى الصباح الباكر وكان يفتح الراديو ليستمع الى القرآن الكريم وهو يؤدى عمله المرهق ، هكذا تعود منذ ان وجد بالمقهى والى آخر يوم فى حياته . ولكن فى ذلك الصباح من يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ استمع عبادة بعد القرآن مباشرة الى بيان يذيع أخبار حركة قام بها عدد من ضباط الجيش وهو البيان الأول الذى اذاعته ثورة يوليو وهو غير البيان الذى أذاعه أنور السادات فى الساعة التاسعة صباحا . استمع عبادة إلى البيان الأول الذى لم يكن مفهوما



انور المعداوى



زكريا الحجاوي



د . عبدالقادر القط

بدرجة كافية ، ولم يكن صريحاً إلى الدرجة التى تكشف عن وجود ثورة فى البلاد ، ثم انقطع الارسال فجأة . ولكن يبدو أن عبادة وحده هو الذى فهم الرسالة فقد ترك عمله على الفور واختطف صورة « فاروق » المعلقة على الجدار وحطمها

وراح فى مشيته العسكرية المعهودة على الرصيف يسب ويلعن بصوت صارخ فى هذا الوقت المبكر من الصباح فاجتمع حوله بعض المارة ، وجذبت الضجة بعض عساكر الشرطة واكتشف احدهم ان صورة « فاروق » ممزقة وإطارها محطم فنظر اليها والى عبادة فى بلاهة ظنا منه انها نوبة من نوبات جنونه . ولكن الضجة ايقظت المعلم عبد الله صاحب المقهى من نومه ، وعندما اكتشف ما جرى انتابه غضب شديد وهوى بعنف وبضراوة على وجه عبادة حتى أسال الدم من انفه ، والغريب أن عسكرى الشرطة تدخل لحماية عبادة من غضب المعلم عبد الله ، لم يكن المعلم عبد الله يعلم شيئاً مما حدث ولا عسكرى الشرطة ايضاً ! وربما لم يكن أحد آخر من الذين توافدوا على الضجة يعلم شيئاً . المهم ان الضجة انتهت والناس تفرقت وجلس عبادة على الأرض يمسح دمه ويشرب كوباً من الشاى وينظر الى الميدان فى بلاهة وفى هدوء . ولم يستمع إلى نداءات المعلم عبد الله ولم يهتم بها ، فقد أعلن الاضراب عن العمل ! وعندما أذيع بيان الثورة الثانى الذى اذاعه أنور السادات هاج الناس فى الشوارع فرحاً فترة قصيرة ثم لزموا الصمت لأن البيان حذر من القيام بأى أعمال شغب وهدد المتظاهرين بانهم سيلقون مصير الخائن . ولذلك خيم الصمت على الشوارع والتزم الناس الهدوء واكتفوا بأختلاس النظرات الى سيارات الجيش وهى تجوب الشوارع وقد صوب الجنود بنادقهم إلى صدور المارة .

الوحيد الذى لم يلتزم ببيان الثورة هو عبادة ، ما ان شاهد سيارة جيش تعبر الميدان حتى هجم عليها كالوحش وفى نيته ان يحتضن كل أفراد القوة فرداً فرداً وأن يطبع القبلات على وجناتهم وعلى ايديهم ايضاً ! ولكن عساكر الجيش لم يدركوا القصد من هجوم عبادة على السيارة . اعتقدوا انه ربما كان عدواً من اعداء الثورة وربما عميلا من العملاء . وربما جاسوساً لجهة أجنبية فانهالوا عليه ضرباً بكعوب البنادق حتى سقطت عدة اسنان من فمه وسقط عبادة مغمى عليه ، وعندما علم قائد السيارة أن الرجل معتوه استقل السيارة مع جنوده ومضى .

وهكذا دخل عبادة التاريخ كأول مؤيد لثورة ٢٣ يوليو وأول ضحاياها وتالق عبادة فى بداية الثورة ، وعندما انعقدت محكمة الثورة التى حاكمت زعماء الاحزاب كان يهتف بميدان الجيزة بكلمة واحدة هى (إعدام) ولكن يبدو ان ثورة يوليو لم تستمع الى صرخات عبادة ولذلك فتر حماسه بها وراح يهاجمها بين الحين والآخر بالصرخات كل مساء وهو يذرع رصيف ميدان الجيزة فى مشيته العسكرية الخطيرة ! وكان صوته مزعجاً الى الحد الذى يجذب انتباه الناس ، وعندما صار أكثر ازعاجاً جذب انتباه المباحث فضربوه علقة فى قسم الجيزة ليكف عن ترديد الشعار .. ولكن عبادة لم يكف ولم يتوقف وظل يردد الشعار حتى حدث العدوان الثلاثى على مصر ، وانتابت عبادة حالة من الجنون استغرقت وقته كله واهمل عمله بالمقهى . ارتدى عبادة صحناً على رأسه كأنه خوذة من التى يستعملها الجنود فى الحرب ، وحصل على نموذج خشبى لبندقية وراح يتدرب نهاره كله على إطلاق النار . وكان كلما نهاه أحد عن الصراخ ازداد صراخاً ، وكان يبكي احياناً عقب نوبة الصراخ . واحياناً أخرى كان يضحك ضحكاً هستيرياً ! وفى المساء عندما يخلو الميدان من الحركة وتتوقف مركبات الترام ويهدأ كل شىء وينام كان عبادة يتوسط الميدان ملقياً بأوامره إلى الفيالق الوهمية التى يقودها للتحرك فى المعركة حسب الخطة المرسومة . وعندما انتصرت مصر والعرب فى معركة بورسعيد خلع عبادة ملابسه ووقف يصرخ فى الميدان شديد الابتهاج حتى اغمى عليه .

وغاد عبادة أيام الوحدة ليغنى مع الوحدة أحياناً ويغنى ضدها أحياناً ! واختل عقله أكثر فأصبح يضحك ويبكي فى وقت واحد . وساءت أحواله أكثر فاتسخت ملابسه أكثر وطالت لحيته وشعر رأسه ، وصار منظره أشبه بمنظر قيس الذى كان يجوب البراري . وكان زكريا الحجاوى يداعبه أحياناً فيساله أسئلة فى السياسة والغريب انه كان يجيب على زكريا إجابات يقصر عنها بعض ادعياء الادب والثقافة . وشاخ عبادة وطعن فى السن ، ولكن عيناه ظلتا تحملان نفس البريق الوهاج النفاذ القلق المشع الذى هو مزيج من الجنون والذكاء . وكانت لديه حاسة شديدة يتشمم بها رائحة المواهب الحقيقية ، ويحتقر المنافقين والادعياء . كان ينفر بشدة من مخرج إذاعى ، فاذا جاء إلى ركن أنور المعداوى انصرف عبادة بعيداً عن هذا الركن الى ركن آخر ! ويظل بعيداً لا يقترب من ركن أنور المعداوى الا اذا انصرف المخرج الاذاعى إياه . وكان يبدى رأيه فى أحد المدعين الذى كان يعتنق الفرعونية مذهباً . وكان الاخ المدعى إياه عالى

عبادة بن الناطق

الصوت دائماً ، غريب المصطلحات والالفاظ ايضاً ، غريب النظريات كذلك ، وكان يزعم بأن الهرم الاكبر مقام فى نقطة فى منتصف الأرض تماماً . وكان يزعم أيضاً انه إذا دمر الهرم الاكبر ، فان الكرة الارضية ستدمر عن اخرها لا محاله !

وكان عبادة يحضر إلى ركن أنور المعداوى كلما جاء الاخ إياه ، ويظل عبادة يضحك بينما الاخ إياه يتحدث ، وربما لم يكن أحد من الجالسين يلحظ العلاقة بين ضحك عبادة وحديث الأستاذ إياه الا أنور المعداوى وزكريا الحجاوى . وكان عبادة يأنس الى نعمان عاشور ويحب مجلسه ، وكان نعمان يتحدث اليه أحياناً وكانه (أى عبادة) هو رائد المسرح المصرى الحديث والقديم أيضاً . وكان يعشق زكريا الحجاوى وعبد القادر القط ومحمود شعبان وكان ينفر من الشيخ عبد الحميد قطامش والسبب انه رفع الكلفة بينه وبين قطامش ذات يوم فزجره قطامش زجراً عنيفاً ، وعبثاً حاول قطامش أن يتودد اليه بعد ذلك دون جدوى ، اتسعت الفجوة بينهما وظلت العلاقة متوترة بين الاثنين حتى آخر يوم فى عمر قهوة عبد الله .

ولقد وقع بصرى عليه آخر مرة وهو فى حالته المعهودة ذات يوم من مارس ١٩٥٩ . كان يقف على مقربة من ركن أنور المعداوى وهو يصرخ فى جنون (قرب) بفتح القاف وتشديد الراء ، وكأنه يدعو شيئاً من الاقتراب منه ، شيئاً مجهولا يحن اليه وينتظره . وظل يردد هذا الشعار طول الليل . وقبيل الفجر انصرفنا إلى منازلنا ومددت يدى الى مصافحة عبادة ، ولكنه لم يصافحنى ، وقف متخشباً كأنه تمثال حجرى ليس فيه من آثار الحياة إلا صراخه والعجيب أنه كان يصرخ دون ان تختلج عضلة واحدة من وجهه – وفى تلك الليلة شاءت الاقدار ألاّ أبيت ليلتى فى منزلى ، وجدت رجال الأمن فى انتظارى عند باب البيت ، واخذونى من يدى إلى الواحات الخارجة لأغيب هناك فى بطن الصحراء الحارقة والمجهولة نحو عامين . وعندما أفرج عنى اكتشفت ان قهوة عبد الله قد انهدمت . لم يعد منها شىء . وبحثت عن عبادة فى كل مكان ، وعندما اهتديت اليه هالنى منظرة . فلم يكن هذا عبادة الذى أعرفه . انطفأ البريق الذى كان فى عينيه ، وضاع الذكاء وبقيت مسحة الجنون فقط ! ولم يعد يصرخ ولكنه كان يعوى أحياناً مثل كلب دهسته سيارة ضخمة على الطريق . كان ينام فى قهوة المعلم مرجان وكان روادها من الباعة والحرفيين ، ولم يكن هناك صلة بينها وبين مقهى محمد عبد الله ، كان انور المعداوى وعبد القادر وزكريا الحجاوى والشيخ قطامش وعبد الرحمن الخميسى ومحمد علي ماهر ونعمان عاشور وعشرات من شبان مصر النوابغ يتناقشون فى المقهى ليلا ، وكان ركن أنور المعداوى كأنه مصر كلها مصغره ومطهره ، وكان عبادة جزءاً من هذا الركن .

والآن تغير كل شىء.تغير الزمان والمكان ايضاً . حلت محل قهوة عبد الله عمارة ضخمة ، واحتل مكان القهوة فرع لبنك مصر ، توارى الفن قليلا ليتصدر الاقتصاد ، وراحت أيام المناقشة ، وحلت أيام الحساب. المجد الآن للمهندس وللمحاسب ، وعلى الناقد والأديب والشاعر والصعلوك أن يتنحوا جانباً فمصر تدخل مرحلة جديدة وهذه أول خطوة لها على الطريق :

لقد نشأ عبادة وقهوة عبد الله معاً ، وذاقا الشهرة والمجد معاً ، ثم تنكرت الأيام ودارت على القهوة وعلى عبادة معاً ، وعندما تحولت قهوة عبد الله إلى انقاض سقطت الأنقاض كلها على رأس عبادة ، وعندما وقع بصرى عليه لحظة عثرت عليه فى قهوة مرجان خيل إلي انه خارج لتوه من تحت الأنقاض . ولقد أنكرنى وأنكرته ، انتابنى الأسف الى الحال الذى وصل اليه ، وانتابه الشك لأنه لم يعرفنى ، وكان عبادة على حق فلقد أصابنى أنا الآخر ما أصاب قهوة عبد الله وعبادة معاً ، انهدم شىء ما فينا جميعاً ، انهدمت الأحجار فى قهوة عبد الله ، وانهدم الذكاء والجنون الذى يقترب من الالهام فى عبادة ، وانهدم الاحساس بالأمن فى داخل العبد لله ، نظراتى أصبحت زائغة ، وشعرى حلقوه فى الواحات . ولم يتعرف عبادة على شخصى وفر مذعوراً من أمامى ، فقد ظن أننى أسخر منه أو أرجو إيذاءه . وتدحرج عبادة بعد ذلك وهجر القهوة وبات على الأرصفة وتشرد فى الشوارع يلتقط غذاءه من صناديق الزبالة .

وتفرقت شلة قهوة عبد الله ، انشغل بعضهم بالحياة ، وانشغلت الحياة ببعضهم ، بعضهم غرق فى النور وبعضهم انسحب الى الظل . وبموت أنور المعداوى لم يعد يسأل عن مصير عبادة الا نعمان عاشور أحياناً وزكريا الحجاوى بين الحين والحين ، وذات صباح من يوم شديد القيظ فى صيف ١٩٦٣ كنت فى طريقى الى المطار لألحق بالطائرة المتجهة الى لندن إذ بعسكرى شرطة يتمطى كسلاناً على الرصيف المواجه لقهوة مرجان وثلاثة من المارة وجثة ممددة على الرصيف وقد غطوها بأوراق صحف . وسألت عن الخبر وأجابنى الشاويش فى بلاهه (ده واد صايع قتلته عربية ليلة امبارح) .

ولم اعرف ان القتيل الذى كان ممدداً على الرصيف تخفيه أوراق الصحف هو عبادة إلا بعد ذلك بثلاثة أعوام .

وداعاً عمنا المجنون عبادة ، كنت الوحيد الذى نطق بكل ما فى صدره فى عصرنا ، كان له من جنونه حماية ، ولكنه مات فى صمت ، ولم يشيعه أحد ، وكما جاء وحيداً .. مضى وحيداً ، وان كانت ذكراه بقيت حية فى صدور الذين عرفوه واحبوه ، وتمنى أن يصل الى ما وصل اليه عبادة من انعدام الوزن والرغبة والحاجة الى أى أحد أو أى شىء ، طبقة من السمو لم يصل اليها الا قلة نادرة من الرجال فى التاريخ وقبل التاريخ ، ومنهم بالقطع هذا المعتوه عبادة ! !

محمود السعدني



بقلم : الدكتور محمد البهي

البعث يوم القيامة

يذكر الله تعالى فى كتابه الكريم : ما كان يواجه به أى رسول أرسل الى قومه : من خاصة هذا القوم ، وزعمائه ، وأصحاب النعمة والترف فيه : فى شأن البعث ، فى قول الله جل جلاله فى سورة المؤمنين :

وقال الملأ من قومه (أى النخبة المختارة من قوم الرسول) الذين كفروا (أى الذين لم يؤمنوا برسالته) وكذبوا بلقاء الآخرة (وانكروا مع ذلك : اللقاء مع الله فى الآخرة .. أى انكروا أن تكون هناك مرحلة ثانية لوجود الانسان غير مرحلة الدنيا التى يحيا ويموت فيها الانسان) واترفناهم فى الحياة الدنيا (أى جعلناهم من المترفين : أصحاب الرزق الوفير والنعمة الواسعة . قالوا :) ما هذا (يعنون الرسول المرسل ، أى رسول) الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون (أى ليس واحدا من الملائكة) .

ولئن اطعتم بشرا مثلكم ، انكم اذا لخاسرون (لأنه لا يتميز عليكم . ويريد بدعوته ان يصير ذا زعامة فيكم ، دون أن يكون له فضل الزعماء من الغنى .. والشرف .. والجاه) .

أيعدكم : انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما : انكم مخرجون ؟ . هيهات هيهات لما توعدون (وبالاضافة الى أنه بشر فهو يعدكم بوقوع ما هو مستحيل . وهو أن تعودوا احياء الى ما كنتم عليه ثانية ، بعد ان تكونوا قد تحللتم فى قبوركم بعد موتكم وصرتم ترابا .. وعظاما . وهذا الوعد منه : كاف فى رفضكم لرسالته لأنه قلما يتحقق . بل هو مستحيل الوقوع) .

ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين (وليست هناك حياة للانسان الا حياة واحدة . وهى حياة الحياة الدنيا . فالانسان بعد هذه الحياة الشخصية له : يموت . ثم بعد موته لا يعود ثانية من جديد . ولكنه يحيا فى اجياله المتعاقبة . فالموت للأشخاص .. والحياة للأجيال . وليس هناك : بعث لموتى باشخاصهم ، بعد ان يدفنوا فى قبورهم) ..

فالبعث الذى ينكره هؤلاء الوجهاء فى مجتمع كل رسول ـ حسبما يعبر القرآن عن تصورهم له ـ وعن حقيقته كذلك ـ هو اخراج الموتى باشخاصهم من قبورهم أحياء ليشهدوا جزاء الله على ما عمله كل واحد فى مرحلة حياته الأولى ، وهى مرحلة الدنيا .

والبعث يقوم اذن على أمرين :

الأمر الأول : ان الانسان يعيش حياة ذا مرحلتين . يعيش المرحلة الأولى من حياته فيما يسمى بالدنيا . وهو فيها : موضع اختبار فى نعم الله التى تحيط به ، من : مال .. واولاد .. وجاه .. وقوة وسلطة .. وصحة وعلم .. الخ . ليعرف : هل هو انسان فى تصرفه فيها : يستمتع بها .. كما يترك لغيره : ان يشاركه بالاستمتاع بقسط منها ؟ ام هو انانى شحيح ؟ .. هل يعرف لنفسه حدا فى الاستمتاع بها واستخدامها أم ينطلق فيها فيسيء الى نفسه ، والى غيره ويطغى بها ؟ وتقطع هذه المرحلة الدنيوية بالموت .. ثم تستأنف الحياة بعده على وضع آخر .

الأمر الثانى : أن المرحلة الثانية التى يعيشها الانسان هى : مرحلة ما بعد الموت وهى مرحلة الخروج من القبر : ما بعد الجزاء من الله على نوع الموقف الذى اتخذه الانسان وهو فى دنياه من : نعم الله حوله . وتسمى بمرحلة الآخرة . ووضع الحياة فيها : اما وضع نعيم مادى لا قيود على الاستمتاع به .. أو وضع شقاء وعذاب مادى لا حدود لآلامه . وهذه المرحلة الثانوية من حياة الانسان مرحلة ابدية ، لا نهاية لها ، فى النعيم ، أو العذاب .

فأمر البعث هذا : ينكره الماديون . وقد رد القرآن فى غير موضع : انكار هؤلاء الماديين للبعث . فيقول فى سورة يس :

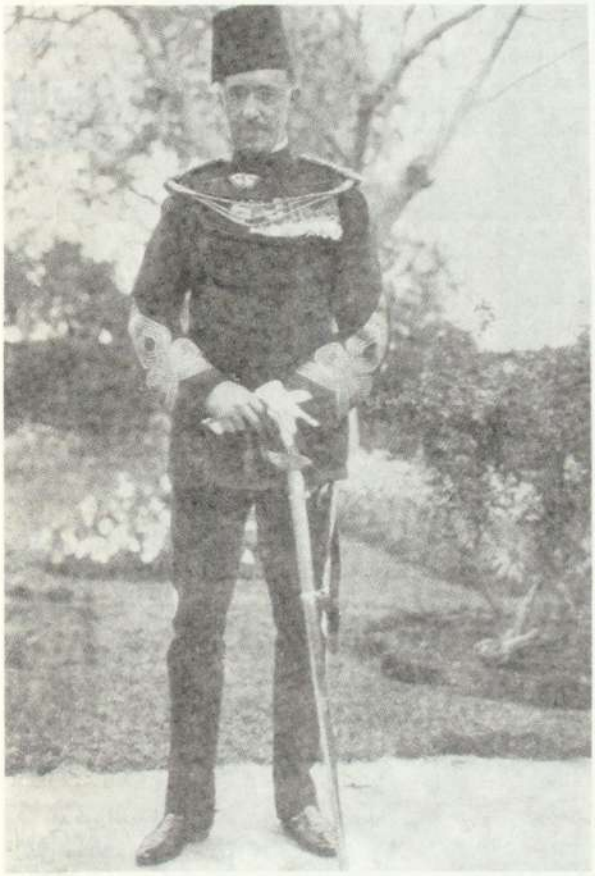
أو لم ير الانسان: انا خلقناه من نطفة (من ماء مهين) فاذا هو خصيم ، مبين (أى فاذا به انسان قد اشتد ساعده .. وأصبح قادرا على الخصام .. والبيان والتعبير . وهذا مثل لقدرة الله جل شأنه) .

وضرب لنا مثلا ، ونسي خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ (أى وهذا المخلوق الذى تطور من نطفة مهينة .. الى صاحب شأن فى المنطق والبيان : أصبح يقيس الله على الانسان ، ويربط شبها بينهما فى محدودية القدرة . ومن أجل ذلك يستبعد على قدرة الله : أن تعيد الحياة الى بدن الميت ، بعدما تحول الى عظام بالية . وهو فى هذا القياس والمثل : قد نسي خلقه هو ونسي نشأته) قل : يحييها الذى انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون (أى الذى اخرج النقيض من نقيضه) . أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى (أى نعم هو قادر) وهو الخلاق العليم .. (فهو سبحانه قادر على اعادة الموتى باشخاصهم الى الحياة ثانية . وتلك الاعادة هى : ما تسمى بعثا . والايمان بالبعث ـ فى الدين ـ قرين الايمان بالايمان بالله : (ذلك بأن الله هو الحق ، وانه يحيى الموتى ، وانه على كل شيء قدير . وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور . ومن الناس من يجادل فى الله (فى شئون الله ومحيط قدرته) بغير علم ولا هدى ، ولا كتاب منير ..

من تاريخ سيناء :

ضابط المخابرات البريطاني لماذا أجاد لهجات القبائل البدوية؟

بقلم : درويش مصطفى الفار



الكولونيل «الفرد باركر»

فى محاذاة ساحل البحر المتوسط بشبه جزيرة سيناء ، بالشمال الشرقى لمصر يوجد مسطح من الماء الضحل ، تسميه الخرائط المعاصرة احيانا (بحيرة البردويل) واحيانا اخرى (سبخة البردويل) . وكان يسمى فى خرائط الاغريق والرومان والفراعنة باسم (بحيرة سر بونيس) . ويطلق الصيادون على القسم الشرقى منه اسم (بحيرة الزرانيق) ... وفيما بين البحر وتلك البحيرة ، بين العريش شرقا ، والفرما او (بلوزيوم) غربا شريط من الرمل ، يختلف اتساعا وارتفاعا . وفى هذا الشريط من الساحل الاف من اطنان الرمال السوداء نقلها النيل ، فيما قبل السد العالى ، إلى البحر عبر فروعه السبعة التى كان منها الفرع البلوظى الذى كان يحمل ماء النيل إلى شمال سيناء حتى الحروب الصليبية . وفى وسط ذلك الشريط الرملى الغنى بمعادن التيتانيوم والزرجون والثوريوم ، يرتفع كثيب (القلس) إلى حوالى ستين مترا فوق سطح البحر . ويقول بعض المؤرخين إن « الفرما » هى القرية المصرية التى نشات فيها جدتنا « هاجر » أم اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام

وأن كثيب القلس هو « مونت كاسيوس » الذى ترجح بعض الروايات أن الملكة الجميلة الشهيرة كليوباطرة قد انتحرت عنده . وانها قد تكون تلك المدينة المصرية التى اشتهرت بالثياب (القسية) التى ورد ذكرها فى السيرة النبوية المطهرة ، وفى بعض اشعار العرب .. وفى رواية ينقلها « جارفس » فى كتابه « سيناء بين الامس واليوم » أن اسم بحيرة « سربونيس » قد تحول إلى بحيرة البردويل ، لأن الملك الصليبى بولدوين قام من مملكته فى بيت المقدس بغارة على الفرما ، وتسمم هنالك من جراء اكلة « فسيخ » من سمك البورى الذى اشتهرت به البحيرة ، فمات ودفن فى العريش ، وتحور اسم بولدوين مع القرون حتى صار بردويل ، ودخلت عليه اداة التعريف فصار « البردويل » !!

وهنالك خلاف فى الرواية بين «جارفس» ودائرة المعارف البريطانية ... فالدائرة تقول إن « بولدوين » الذى مات فى العريش هو بولدوين الاول (١٠٥٨ ـ ٢ ابريل سنة ١١١٨) . ولكن « جارفس » يؤكد أن بولدوين الثانى هو المقصود وانه مات فى اغسطس سنة ١١٣١ م ، وانه ابن هيوج كونت (راثيل) ، التى تحورت الى (راشد) فاصبحت البحيرة عند اهل سيناء الشمالية منسوبة إلى (البردويل بن راشد) بدل بولدوين دى راثيل ..

وفى خضم تعدد الروايات والاجتهادات لدى شراح سفر الخروج التوراتى طلع بروجش (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) برأى يقول فيه إن مسيرة موسى عليه السلام بمن معه من الموحدين الهاربين من الوثنية (عبريين وعربا) كانت عبر ذلك الشريط الرملى الضيق بين بحيرة البردويل وشاطىء البحر .. ولقيت تلك الفكرة رواجا عند الكثيرين ، وكان منهم اللورد كتشنر ... إذ كان اللورد كتشنر احد المهتمين بجغرافية التوراة مذ كان يعمل وهو برتبة (صاغ) فى سلاح المهندسين بجيش احتلال مصر البريطانى ، سنة ١٨٨٣ مع السير ادوارد هل ، الذى كان احد رواد الحركة الصهيونية فيما كان يسمى منذ منتصف القرن التاسع عشر باسم (مشروع استكشاف فلسطين) .. وكان الصاغ (هوراثيو هربرت كتشنر ـ ١٨٥٠ ـ ١٩١٦) ضابطا نشيطا ذكيا ، فواكبته يد الرعاية الصهيونية الخفية ، حتى اصبح بعد أن

اثبت جدارته فى انحاء الامبراطورية بين الهند ومصر والسودان وفى حرب البوير ، رئيساً لهيئة أركان حرب الجيوش البريطانية ، ثم وزيراً للحربية إبان الحرب العالمية الأولى ، ولولا انه هلك غريقاً من جراء طوربيد المانى نسف بارجة كان يستقلها فى الخامس من يونيو حزيران سنة ١٩١٦ ، لكان الوعد الذى حمل إسم بلفور فى ١٩١٧/١١/٢ ، قد سمى وعد كتشنر ! ! !

دفع حب كتشنر لسيناء كمسرح لافكاره التوراتية وكنز سياسى للامبراطورية إلى ان يرشح ابن اخته الكولونيل (الفرد باركر) وكان من ألمع ضباط المخابرات فى جيش الاحتلال البريطانى بمصر ، ليكون محافظاً لسيناء وكانت إذ ذاك عاصمتها بلدة نخل ، اهم محطات درب الحاج المصرى .. وتقلد باركر منصبه سنة ١٩٠٦ ، وظل فيه إلى سنة ١٩٢٣ ، باستثناء سنوات قبيل واثناء الحرب العالمية الأولى ، عاد فيها للعمل بالمخابرات الحربية وناب عنه كل من بيمش بك وبراملى بك فى مدة غيابه ..

استطاع باركر ، ان يثبت فلسفة بريطانيا فى سيناء ، واكتسب خبرة تامة فى معرفة لهجات القبائل البدوية ، ووسوم الابل ، وتقاليد القضاء العرفى وعادات البدو والحضر فى سيناء كلها ، وبلغ به الذكاء ان شاع عنه اعتناق الاسلام ، فقد كان يحث رجاله ومعاونيه بالاكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يشعرون بالتعب !!! وافتتن الناس به فى البادية والحاضرة حتى حوروا اسمه ، كما تحور اسم بولدوين ، فصار يعرف بينهم باسم (بركل بيه) ..

وكان بركل بك ، لا يكل ولا يمل من التجوال فى ارجاء سيناء ، لتثبيت امن الامبراطورية ورسالتها فى الشرق الاوسط ، وللتحقق من صدق النظرية التى اعتنقها خاله « كتشنر » والقائلة بان مسيرة الخروج كانت بين سبخة البردويل وشاطىء البحر المتوسط . وكانت له فى جولاته قصص وروايات يمكن ان يستوعبها كتاب من القطع الكبير . ولا غرابة ، فقد كان باركر احد افراد الزمرة المختارة لمصاحبة « لورانس العرب » الذى استطاع ان يوهم العرب بان تحررهم واستقلالهم ووحدتهم رهن بمعاونتهم للامبراطورية فى الحرب العالمية الأولى ..

● كان حسين النخلاوى ، مقيماً على حصاد شعير له بمنطقة الخفجة الى الشمال من نخل ، فمر به رجلان راكبان من قبيلة العرادات ، فدعاهما للغداء ، فاعتذرا لضيق وقتهما ، وقلما يضيق الوقت فى البادية ، فاقسم ان يضربهما بالنار ان لم يستجيبا لدعوته !! فاصرا على الاعتذار فجرى نحو خباء له واحضر بندقيته وفى لحظات أردى احدهما قتيلا فما كان من الثانى الا ان تناول بندقيته من الخرج ، واطلق النار على حسين فقتله ثاراً لابن عمه !! وفى هدوء حمل جثتى القتيلين واتى بهما الى مركز الشرطة فى نخل .. وكان بركل بك آنذاك يقضى إجازة الصيف



الكولونيل «بيمش بك» محافظ سيناء بين ٣ ـ ٢ ـ ١٩١٢ حتى ١ ـ ٢ ـ ١٩١٣ .. وكان مساعداً لباركر فى فترة حكمه الأولى



الكولونيل «براملى بك» ساعد باركر فترة من الزمن ، ثم عمل محافظاً لسيناء بعد «بيمش

فى انجلترا .. دفنت الشرطة الموتى ، وأودع العرادى فى السجن بقلعة نخل ، وطال به المكث ، فايقن ان أحداً لم يبلغ بركل بك بامره ، فاهتبل فرصة خروج احد المسجونين وحمله بضعة ابيات من شعر بلهجة البادية ، وسمع بركل بك الشعر وفهمه فامر باحضار البدوى السجين ، وسمع منه القصة ـ شعراً ـ بتفاصيلها فاطلق سراحه ، معتبراً إياه غير مذنب إذ انه اخذ بثار ابن عم له ..

● استنفر بركل بك داورية من الهجانة لاستطلاع حادثة نهب وسلب قرب بيرطابا ، فاعترض الداورية بدوى كان يرعى إبله ، واستوقف احد الراكبين ، وساله بصوت مسموع : أين بركل بيه ؟ فرد باركر على الفور من بعيد ، انا بركل .. ماذا تريد ؟ فقال البدوى إننى اود التحدث إليك منفرداً .. ففقز باركر من فوق بعيره واتجه نحو البدوى ، فوضع البدوى يده على كتف باركر ومشى به بعيداً عن الركب ثم جلس واجلس باركر أمامه ، واضعاً يديه على كتفى « المحافظ » مبتسماً يقول :

يا بركل ، انا رجل اشرب التتن ، وقد نفد ما معى ، ووالله لقد بشرت نفسى بالفرج عندما لاحت لى داوريتك، فقد بصرت ببعيرك عن بعد .

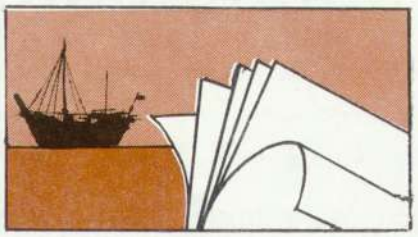
فضحك باركر مقهقها ، ونادى «المراسلة» الذى يحمل « تموين المحافظ » ليحضر علبة « توباكو » من نوع كافندش الممتاز ، واعطاها للبدوى ، وهو يعتذر لانه ليس معه غيرها ووعده بالمزيد فى فرصة اخرى ! ! !

ذلك غيض من فيض او نقطة من بحر ، يرينا كيف كانت نوعية الرجال الذين سيطرت بهم « الامبراطورية » على قلوب الناس فى البادية ، ونفذت ما تريد من سياسة ! !

ترى هل نستطيع اكتساب الخبرة والموعظة من التاريخ فنبلور قلوبنا ومشاعرنا حول انفسنا ، لعلنا ننجو مما نحن فيه من بلاء التمزق والتشرذم واللامبالاة بصناعة التاريخ وتحدى التحدى ؟ !

درويش مصطفى الفار

أوراق من البحر



قبل أن نزور متاحفنا
أغرابًا نبحث عن الجذور

بقلم : عبد الرحمن المناعي
بريشة : سلطان السليطي

باع السفينة حتى يشيع الدفء في القلوب

قبل الموسم

نظر الى سفنه السبع الراسية قريبا من شاطىء القرية . إنه يمتلك اسطولا ورث بعضه عن والده . والبعض صنع بيد أشهر (كلاف) بمنطقة الخليج . أراد أن يكون من أسياد البحر ، وها هوذا يحقق أمنيته . أربعة (ابوام) و (سنبوكين) و (جيلبوت) وأكثر من اربعمائة بحار ما بين (غيص) و (سيب) وعدد من النواخذة تحت إمرته . اصبحت كل قرى الشاطىء تدين له ولمواسمه بالولاء . اصبح دفتره الأصفر يضم اسماء كل فقراء ذلك الشاطىء اللاهث خلف لقمة العيش ، الباحث فى مياه الملح عن قوته . غدا سوف يحتشد رجل أقوياء واطفال دون العاشرة فى مجلسه العامر يلتمسون منه الرحيل الى قيعان الخوف والأخطار ، يقبضون (السلف) وينصرفون فرحين . ابتسم للشمس .. إنه يملك كل هذه القرى من خلال دفتره الأصفر !

قبل الموسم التالي

لم يستطع تحمل تلك الأعباء . سبع سفن تجوب البحر شهورا طويلة تحمل أكثر من اربعمائة بحار ، مائتان منهم يكتشفون الأعماق بمعدل اثنتى عشر ساعة يوميا لا تخرج اجسامهم من الماء الا مرة واحدة لصلاة الظهر وتناول قليل من التمر والقهوة وآخرون تقطع الحبال أيديهم طوال النهار وكل ذلك بدون طائل . وغدا سيأتون جميعا لقبض (السلف) وسيدفع .. ولا يدرى ماذا سيجنى من رحلته القادمة . لقد اضطر الى أن يبيع احد (ابوامه) لا بأس من التراجع قليلا ، كي ينمو بشكل قوى .

قبل الموسم التالي

لقد اقتنع بكلام مساعده المخلص (المجدمى) لابد من أن يزود تلك السفن بـ (نهام) لا شىء يستثير حماس البحارة مثل صوت النهام الشجي . فمن غير المعقول ان ينمو اسطوله بهذا الشكل بدون أن يضم نهاما يعبر عن احاسيسهم ويؤنس لياليهم الموحشة . ولقد أسر له المجدمى بان كل شىء يتجاوب وصوت النهام حتى قاع البحر بكل كائناته يدنو طربا الى مكان السفينة .

قبل الموسم التالي

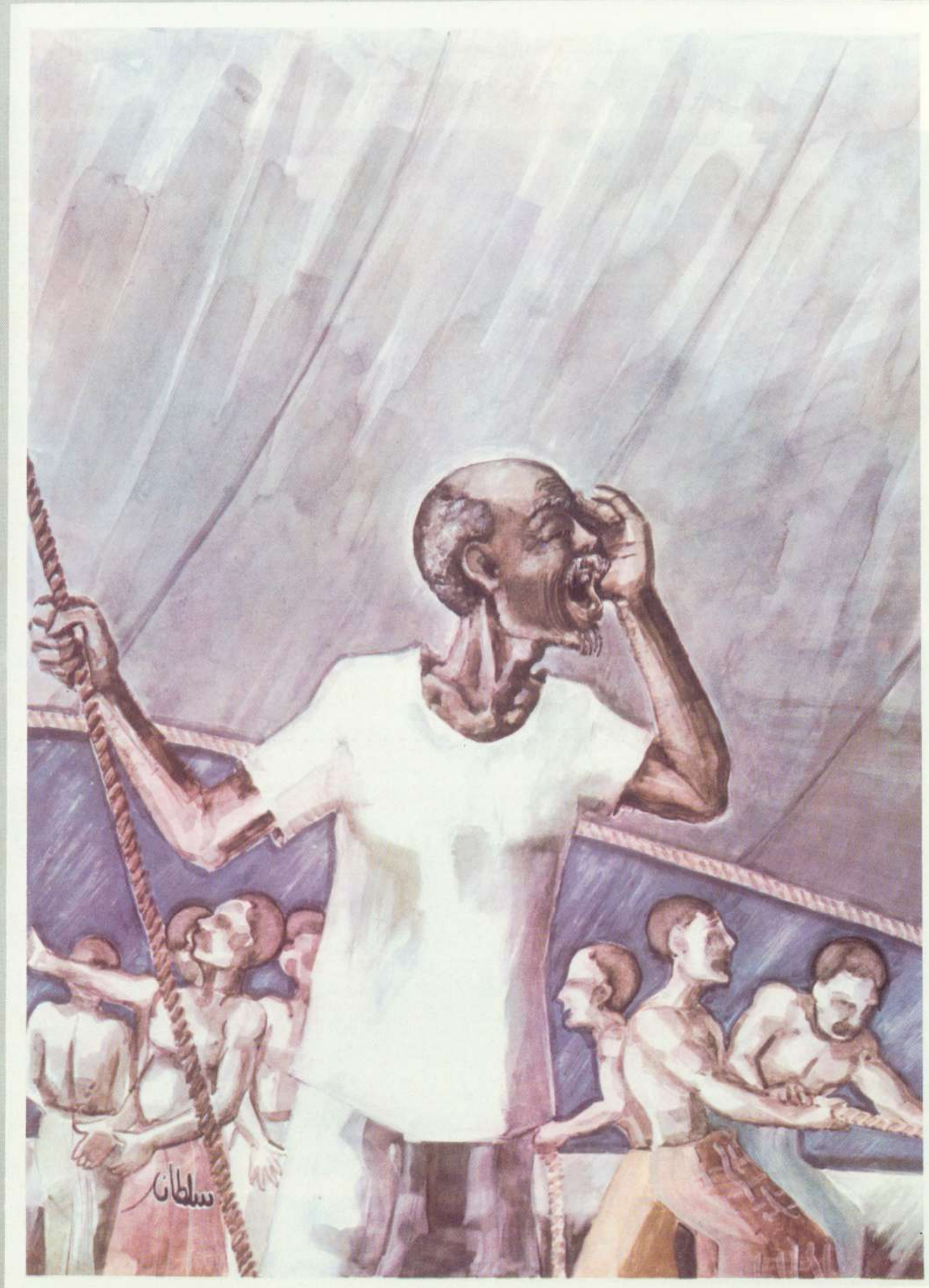
لقد باع (بوما) اخر . وأرهق نفسه بمفاوضات مطولة حول ذلك العجوز الاعمى (النهام) حتى استطاع أن يحصل عليه مقابل الفى روبية . إنه مبلغ كبير جدا والنهام يريد ايضا بيتا وخادما ومئونة تكفيه هو وحماره الذى لا يأكل الا التمر . وماذا سيعمل على ظهر السفينة غير الصراخ ؟

أبحر بخمس سفن . تقلص اسطوله بشكل مخيف . والمغنى الأعمى يكلفه الكثير لقد باع سفينة ، وهل صوته يساوى شراعا ؟ وبدأ الموسم ، وعمل الجميع ، وصوت ذلك النهام العجوز يشيع الدفء والنشاط فى أوصالهم . كان موسم خير عوض كل خسائره باع لأللئه واسترد ما باع ودفع لبحارته .. هل للنهام دور فى ذلك ؟

اسر له المجدمي (إن عشرة من امهر الغواصين بالمنطقة التحقوا بالعمل معه من أجل الاستمتاع بصوت المغني العجوز وهم لا يعملون الا حيث يكون) .

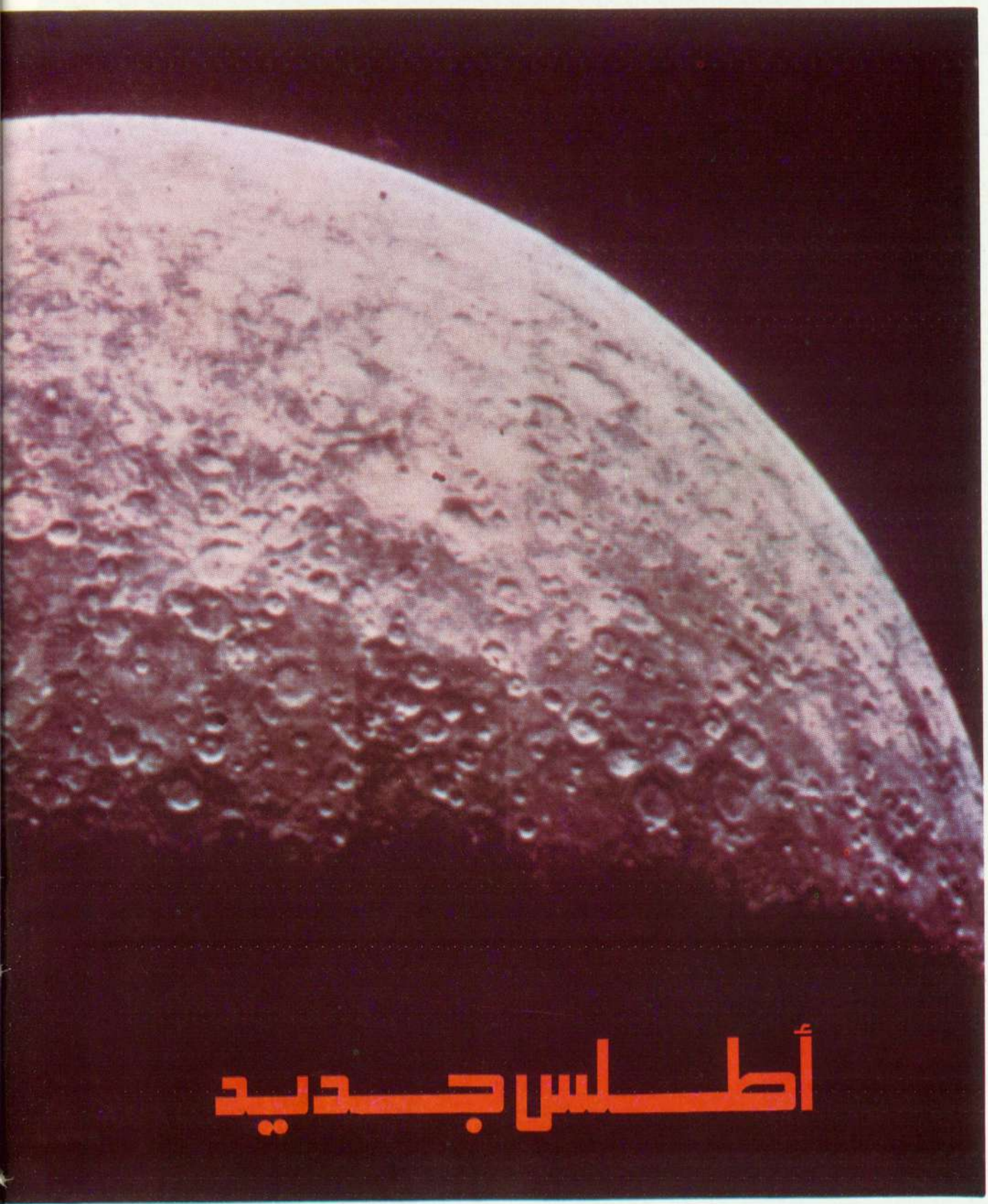
من قاموس البحر والغوص

بوم سنبوك جيلبوت .	بعض أنواع السفن المستخدمة فى الغوص .
الكلاف	صانع السفن .
الغيص	الغواص ومهمته البحث عن المحار فى قاع البحر ونصيبه فى المحصول أكثر من باقى المهام،يغوص بمعدل عشرين الى خمسين مرة حسب حالة البحر ويبقى تحت الماء فترة تتراوح بين الدقيقة الى ثلاث دقائق
السيب	هو الرجل المسئول عن الغيص يسحبه من البحر ويتناول المحار منه كذلك يقوم بالأعمال الاخرى كرفع الشراع وسحب المرساة وما اليه .
المجدمي	هو الرجل الادارى للسفينة مسؤول عن تموين السفينة،وفى الرحلة يكون مسؤولا عن مقدمة السفينه .
السلف	مبلغ يدفع للبحارة قبل الرحلة ليتمكنوا من شراء المواد اللازمة لمنازلهم على ان يخصم من حصتهم بعد الموسم .
النهام	مغنى السفينة .

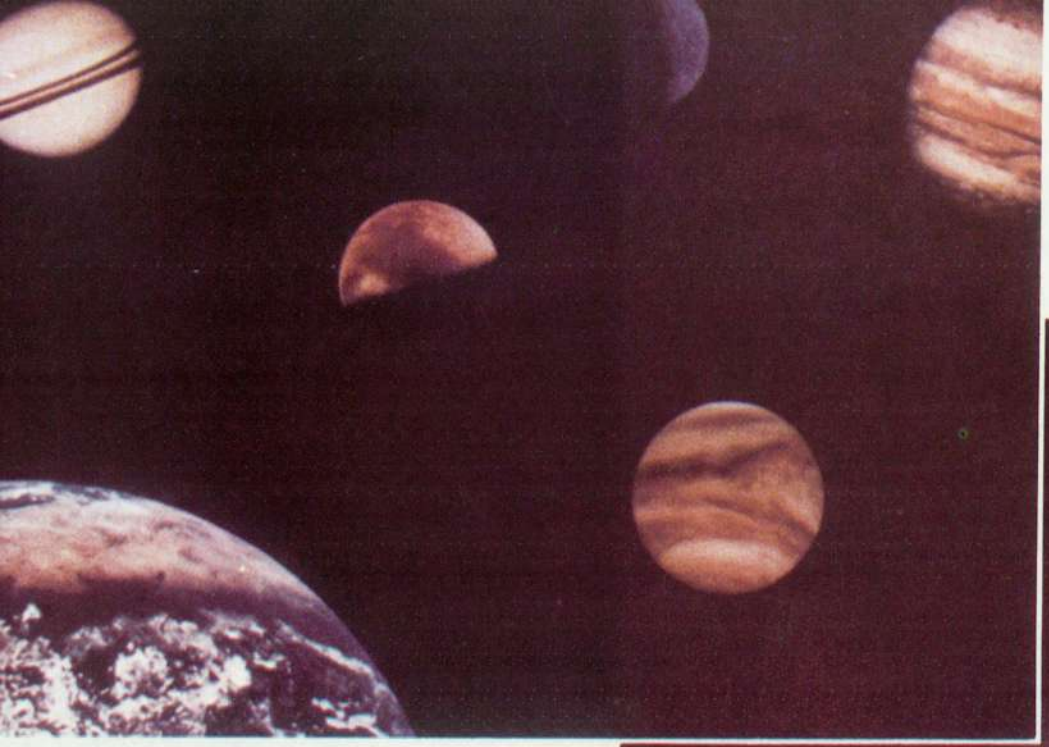

سلطان

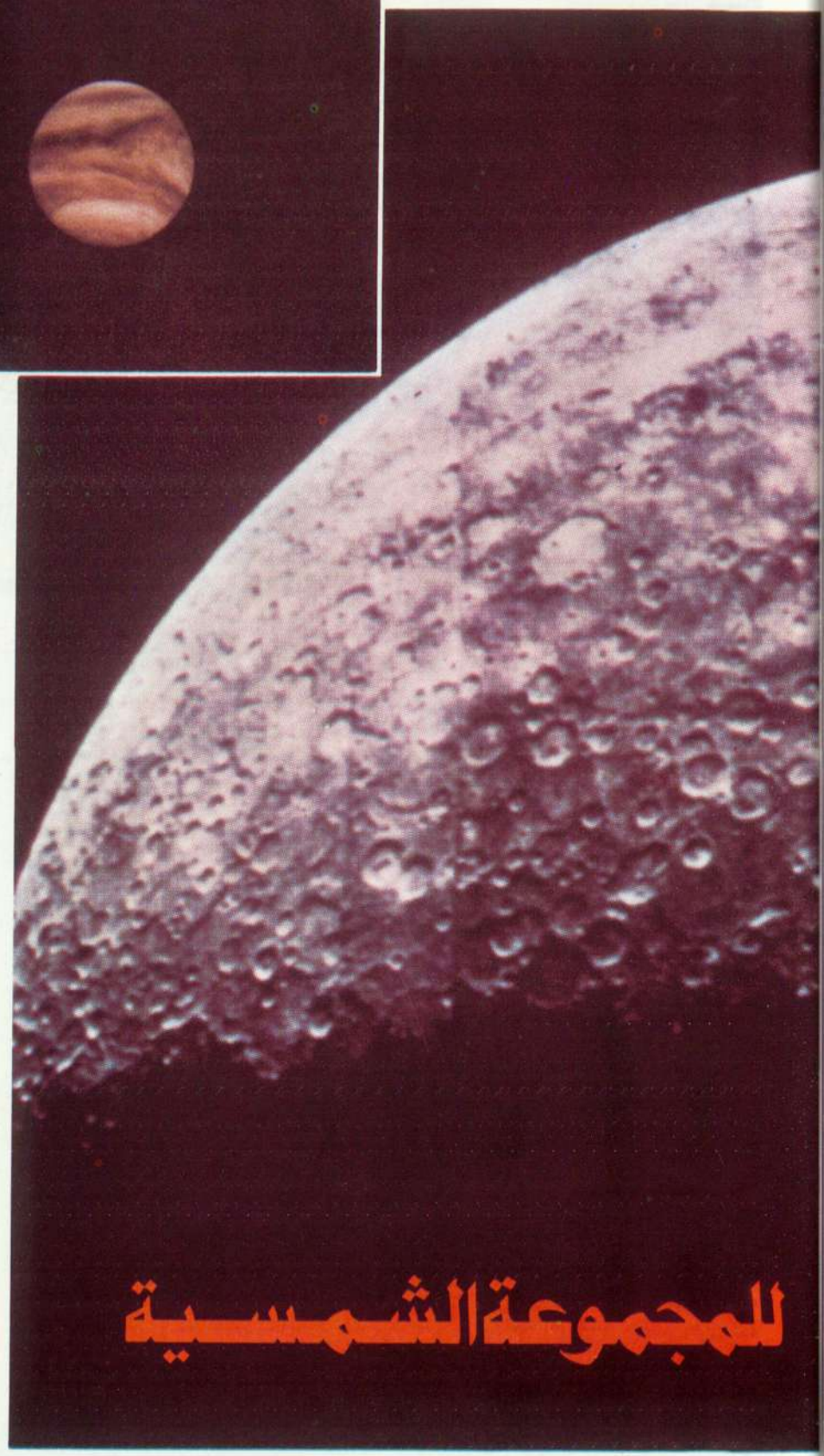
"الدوحة" تنشر ٦ صور نادرة للمجموعة الشمسية

رسالة لندن : مجدي نصيف



أطلس جديد





للمجموعة الشمسية

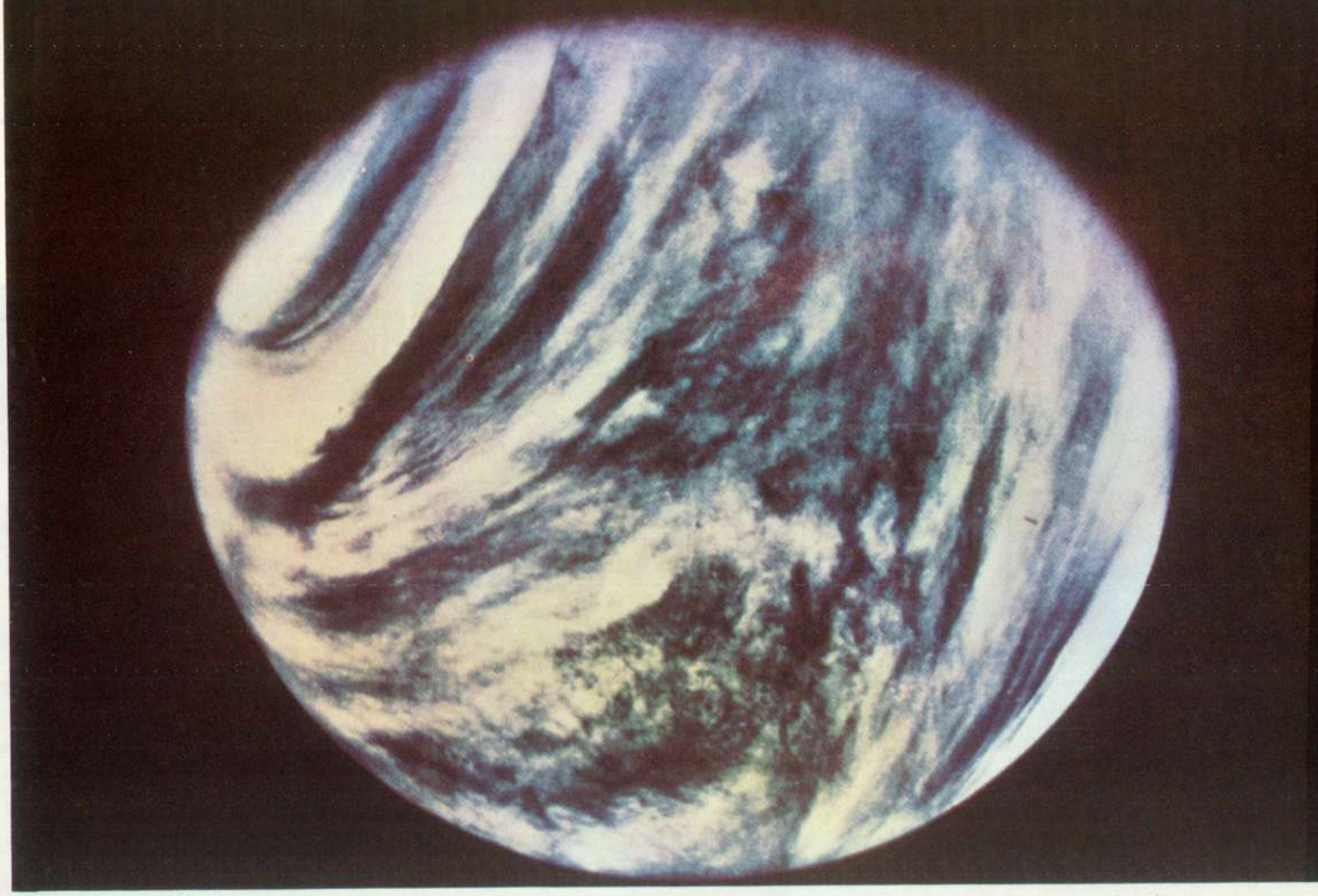
لقطتان : أعلى صور ستة من كواكب المجموعة الشمسية التسعة أخذت من سفن الفضاء ، يتكون هذا « الموزايك » الذى شكله العلماء من ست سفن فضاء وهى « تشرق » من فوق السطح القمرى ، والشمس تتوهج من حافة الأرض ، أما الكوكب الأول الذى يبدو فوق القمر فهو « الزهرة » وفى أعلى نفس الصورة الى اليمين يبدو على الترتيب :
المشترى ، وعطارد ، والمريخ ثم زحل فى النهاية .. أما اللقطة الثانية على اليمين فهى لكوكب عطارد على بعد مائتى الف كيلو متر واخذت من سفينة الفضاء الاتوماتيكية «مارينر ١٠» .

كتب سيدنى سميث ، عالم الفلك الانجليزى الذى عاش فى القرن التاسع عشر يقول عن الكواكب :

ـ «عجيب ذلك النظام الشمسى .. فعند الرصد بالمنظار ، هناك مشاكل عديدة : الضوء سيىء ، والكواكب بعيدة للغاية ، والمذنبات مزعجة ، وأجهزة الرصد الفلكية نفسها ضعيفة للغاية ، فلا تسعفنا » .

ولا نعرف ما الذى كان سيقوله سيدنى سميث ، لو كان حاضراً مع علماء وكالة « الناسا » الامريكية ، يوم الخامس من مارس عام ١٩٧٩ ، عندما أخذت سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فوايجر الأولى » ترسل صوراً مقربة لـ «ايو» أحد أقمار كوكب المشترى ، يملأها الضوء حتى ليخيل للمرء انه يمكن لمس القمر ذاته ، وهى تلمع على الشاشة . لقد فوجىء العلماء الامريكيون أنفسهم بهذه الصورة الملونة الرائعة لهذا القمر ، اذ كانوا يتوقعون قمراً ميتاً مثل قمر الأرض ، تملأه الفوهات . كان « ايو » كرة رائعة تميزه ثلاثة ألوان : البرتقالى ، والأبيض ، والأصفر ، حتى لم يتمالك أحد العلماء نفسه ، وصاح قائلا :

ـ يالله ، انه بألوان « البيتزا » الايطالية تماماً !



اشهر صورة لكوكب الزهرة ، اخذت من السفينة «مارينر ١٠» بالة تصوير ذات مرشح فوق بنفسجي . واللون الازرق ليس حقيقيا ، لكنه اضيف ليبين دورة السحب التى تدور بسرعة كبيرة ، ويعتقد العلماء انها تتكون من بلورات ثانى اكسيد الكربون وحامض الكبريتيك .

منذ ملايين السنين ، لم يكن كل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية القريبة من الأرض ، وهى : عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، اكثر من نقطة لامعة كرأس الدبوس فى سماء الليل . ومنذ ثلاثة قرون ونصف قرن ، بعد اختراع المنظار الذى سدده جاليليو لأول مرة يرصد به الأجرام السماوية ، لم تزد هذه الكواكب عن نقاط لامعة فى طرف عدسة المنظار .

لكن ... فى العشرين عاما الأخيرة ، ومن خلال الات التصوير التى وضعت فى سفن الفضاء الأوتوماتيكية : فينرا ومارينر وبيونير وفايكنج وفوايجر ، اصبحت صورها المقربة ، مالوفة حتى للانسان العادى وليس للعلماء فحسب . لقد شاهد الملايين على شاشة التليفزيون وفى المجلات والصحف ، صوراً لجبال وصحارى ووديان انهار قديمة ، وبركان فى مساحة فرنسا ، وواد ضيق بطول نهر الميسسيبي ، واعصار حجمه ضعف حجم كرتنا الارضية ، وشاهدنا قمراً مثل السيجار ، وآخر مثل « حبة » البطاطس ، وثالث تغطيه الثلوج المتكسرة .

ورغم كل ما عرفناه عن الكواكب واقمارها عن طريق تلك الصور التى التقطتها آلات تصوير دقيقة وحساسة مركبة فى سفن الفضاء الأوتوماتيكية ، يقول جون نوجيل رئيس فريق علماء وكالة « الناسا » :

ـ « عارض عديد من العلماء فى بداية الستينات ، وضع آلات تصوير فى سفن الفضاء الاوتوماتيكية . كانوا يريدون أن يضعوا بدلا منها أجهزة علمية أخرى لقياس المغنطيسية والطيف وعدادات لقياس درجات الحرارة والأشعة الكونية . كان من رأيهم أننا فى حاجة إلى قياسات للظروف الفيزيائية السائدة على هذه الكواكب . كانوا يرددون : ماذا سنفعل بهذه الصور ؟ وكيف يستفيد منها العلم ؟ » .

فماذا استفاد علم الفلك حقا ؟ .

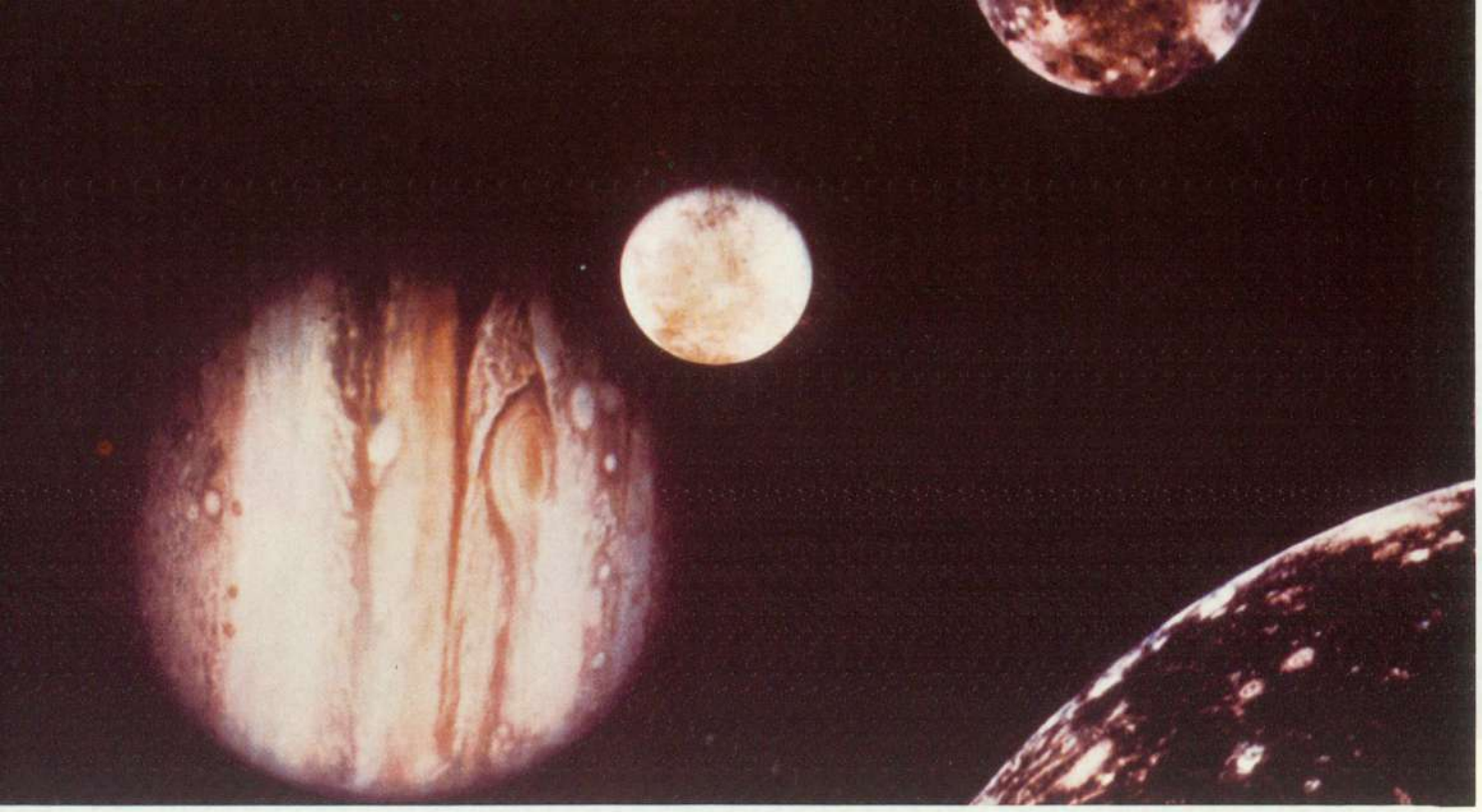
باتريك مور عالم فلك بريطانى ، يقدم برنامجاً ناجحاً فى التليفزيون البريطانى (الـ بى . بى . سى) اسمه « السماء ليلا » ، منذ ابريل عام ١٩٥٧ ، عندما انطلق أول قمر صناعى ليدور حول الأرض . يقول العالم البريطانى :

ـ « عندما بدأت فى تقديم البرنامج ، لم تكن لدى فكرة حقيقية عن التطورات المذهلة التى ستحدث حتى احتفالنا باليوبيل الفضى للبرنامج فى ابريل عام ١٩٨٢ » (١) . ثم يستطرد فيقول .

ـ « صحيح اننا نتوقع تقدماً لأي علم من العلوم ، وخاصة خلال حقبة الثورة العلمية والتكنولوجية ، لكن ما حدث لعلم الفلك لم يكن تقدماً تدريجياً ، بل كان انفجاراً فجائياً . ولدي نسختان من كتاب متداول من كتب الفلك كلاهما من تاليف السير روبرت بول ، الطبعة الأولى عام ١٨٩٥ ، والثانية عام ١٩١٢ . وعندما قارنت بين الطبعتين مؤخراً ، لم أجد فارقاً كبيراً ، فقد كان تقدم الفلك وئيداً للغاية ، بل ويكاد أن يكون ساكناً . لكن الأمر يختلف الآن ، فأى كتاب فلك صادر عام ١٩٧٠ على سبيل المثال ، لا نقلب صفحاته الا على سبيل الاهتمام « التاريخى » فحسب ! صحيح ان المبادىء الأساسية واحدة ، لكن التفصيلات تتغير من أسبوع لاسبوع » (٢) .

وحتى نعرف ما قصده باتريك مور ، علينا أن نلقى نظرة على احد كتب الفلك التى لا يزيد عمرها عن عشرين عاماً ، ثم نقارنها بأى كتاب فلك حديث ، وليكن كتاب باتريك مور الجديد نفسه .

كان هذا الكتاب « القديم » يقول ، على سبيل المثال وليس الحصر ، ان الكوكب زحل هو الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية الذى يمتلك نظام « الحلقات » .



كوكب المشترى وحوله كواكبه الأربعة المعروفة باسم «أقمار جاليليو» التى فى حجم الكوكب هى نفسها .. «إيو» يميل لونه الى الاحمرار أعلى الى اليسار ، وهو أقرب «للمشترى» .. و «يوربا» فى الوسط .. وجانيميد وكاليبسو أسفل الى اليمين .

لكننا نعرف الآن ، ومن الصور التى أرسلتها سفن الفضاء الأوتوماتيكية ، ان كوكب المشترى يمتلك نظاماً بدوره . بل وأكثر من ذلك كان كتاب الفلك القديم يقول ان زحل ليس له أكثر من ثلاث « حلقات » ، لكننا نعلم الآن ، أن عددها يزيد على الألف .

كان هذا الكتاب « القديم » يذكر أيضاً ان عدد أقمار كوكب زحل : عشرة . أما الآن فنحن نعلم أن له خمسة عشر قمراً . أما كوكب المشترى ، الذى كان الكتاب يقول إن له اثنى عشر قمراً ، فقد أوضحت لنا الصور المقربة ان عددها خمسة عشر قمراً وربما أكثر .

كان كتاب الفلك القديم يقول لنا إن سبب التغير الموسمى للون سطح كوكب المريخ ، هو : الخضرة ، أما الآن فنحن نعلم تماماً أن السبب هو العواصف الترابية .

وهكذا ... فى أقل من عقدين من الزمان ، غيرت هذه الصور كتب الفلك تماماً . وحقيقة الأمر أن الأصح أن نقول انهـــا أعادت كتابتها من جديد .

ليس هذا فحسب ، بل أصبحت صـور الكواكب البعيدة تستخدم كل يوم ، فنراها على شاشة التليفزيون ، حتى فى الاعلانات عن بعض السلع التجارية فى كبرى المجلات المصورة . لقد تطورت أســاليب تكنولوجية جديدة ومناهج نظرية حديثة ، واكتشفنا أجراماً لم تكن معروفة ، بل ولم نتوقع اكتشافها منذ عشرين عاماً فقط . وأرسلنا سفن فضاء بها روادفضاء ، وأخرى أوتوماتيكية إلى « النظام الشمسى » . لقد بدأ بالفعل عصر جديد .

هل قاربت على الانتهاء ؟

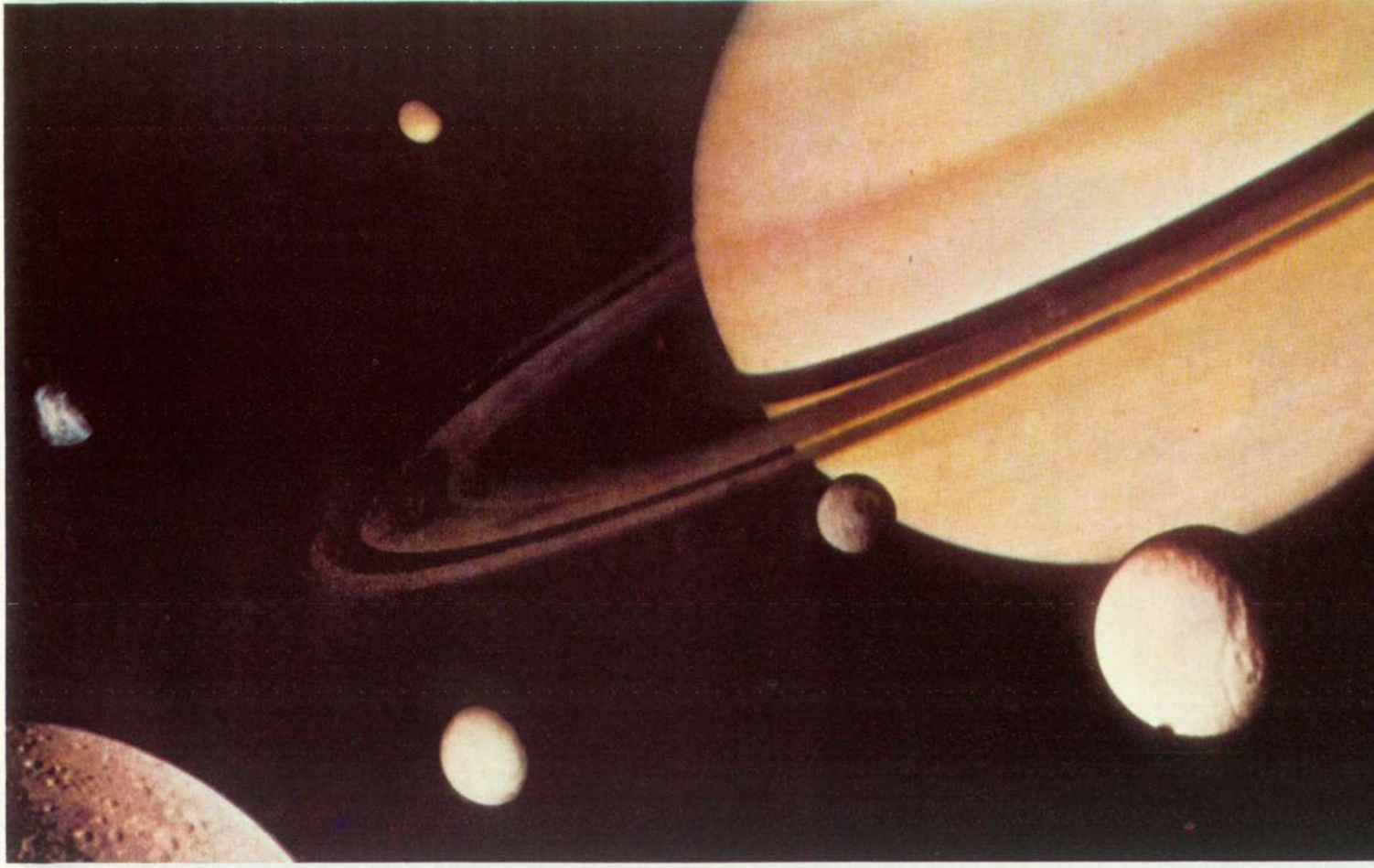
لكن هذه الحقبة العظيمة التى أطلقت فيها سفن الفضاء لاستكشاف الكواكب وتصويرها وجمع المعلومات عنها ، يبدو انها قد قاربت على الانتهاء . وربما من الأفضل أن نقول انها تأجلت ولم تتوقف . فالذى لاشك فيه اننا سنعود لاستكمالها فيما بعد ، بعد أن تزول الظروف التى أدت إلى توقفها ؛ فمنذ منتصف السبعينات امتص مشروع « مكوك الفضاء » معظم الميزانيات المرصودة لغزو الفضاء . كذلك ألغيت الخطط التى رسمت لمقابلة المذنب « هاللى » الذى يمر قريباً من الأرض مرة كل ٧٦ عاماً . وتأجل مشروع « بعثة جاليليو » الى كوكب المشترى ، وكذلك مشروع آخر لرسم خريطة لكل سطح كوكب الزهرة ، عن طريق قمر صناعى يدور حوله . فبعد رحلة سفينة الفضاء « فوايجر ـ الثانية » التى قامت فى شهر أغسطس عام ١٩٨١ بتصوير الكوكب زحل ، فربما لن نرى صوراً أخرى لكواكب المجموعة الشمسية ، سوى عام ١٩٨٦ . هذا إذا تحققت خطتهـــا المرسومة ، وسارت فى مسارها المفروض الذى وضعه لها العلماء .

لقد ولد بالفعل علم جديد هو « علم الكواكب » ، وعرفنا الكثير عن أسرار كواكب المجموعة الشمسية ، وعن كوكبنا بالتالى ، فاتسعت نظرتنا للكون ، وازدادت المعرفة البشرية خلال العقدين الأخيرين وحدهما ، أضعاف ما عرفته البشرية فى قرون .

لكن المعرفة ليس لها نهاية .

فبعد أن كان أجدادنا يعتقدون أن الأرض هى مركز الكون ، أدركوا انها جزء من المجموعة الشمسية ، وأن الشمس هى مركزها . ثم أن المجموعة الشمسية ، مع مجموعات أخرى مماثلة فى وسطها نجوم بعضها أكبر من شمسنا بكثير تشكل مجموعة كونية أكبر هى « المجرة » .

أما الأرض ، كوكبنا ، فهى كوكب ضمن تسعة ، تدور حول الشمس ، والمسافات بين الكواكب وبعضها ، وبينها وبين الشمس



«مونتاج» من صور التقطتها سفن الفضاء لـ «نظام زحل» . تبين الصورة «ديون» فى اسفل الصورة الى اليمين . الكوكب زحل نفسه اعلى الصورة الى اليسار ، اما «تيتان» ففى القمة و «انسيلادس» الى يمين الحلقات . و «ميماس» اقرب الاقمار الى الحلقات ، ثم « تيثيس » امام زحـــل . و «رى» الى يسار «ديون» .

فى الوسط تبدو لنا مذهلة ، حيث تصل إلى مئـــات الملايين من الكيلومتـــرات . انها فى حقيقة الامر مســـــافات مذهلة بمقاييسنا « الارضية » ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لعلماء الفلك الذين اعتادوا على الحسابات الفلكية فى المسافات والازمنة على السواء .

وعلى سبيل المثال ، يقول علماء الفلك إن عمر الأرض يزيد على ٤٥٠٠ مليون سنة ، اما الكون نفسه فهو اقدم من ذلك بكثير . ان علينا ان نقبل هذه الارقام كما هى ، وعلينا لن نضيف هنا ، ان الفلكيين لا يفهمون هذه المسافات الشاسعة والازمنة الموغلة فى القدم افضل من الناس العاديين ، لكن كل المسالة انهم ببساطة لا يرتكبون خطا محاولة فهمها .

الشمس وما حولها

اما مركز المجموعة الشمســـية فهى شمسنا بطبيعة الحال ، وهى نجم «عادى» عبارة عن كرة هائلة من غازات ملتهبة ، هائلة الحجم إلى درجة انها تبتلع مائة ارض فى حجم ارضنا . وهى كرة تشع بطاقتها الخاصة ، ليس لانها تحترق ، بل بسبب التفاعلات النووية التى تتم داخلها إنها فى حقيقة الامر « قنبلة نووية » هائلة الحجم ، وان كانت ليست كالقنابل النووية التى صنعها بنو البشر ، تدمر وتجتث الحياة كما حدث فى هيروشيما ونجازاكى . على العكس من ذلك تماما ، إنها قنبلة تمت « السيطرة » على تفاعلاتها النووية ، وهى تساعد بنى البشر على استمرار حياتهم .

حول هذه الشمس تدور الأرض وبقية كواكب المجموعة الشمسية . الكواكب الأربعة الداخلية صغيرة الحجم نسبيا ، صلبة ، شبيهة بالأرض . اما الاربع كواكب الاخرى ، فهى ضخمة ، غازية ، فى قلبها سوائل اساسا .

اما الكوكب بلونو ، وهو ابعد كواكب المجموعة ، فهو مازال لغزا ، رغم كل ما تم حتى الآن من تقدم فى دراسة الكواكب والكون .

وحتى نتصور شكل المجموعة الشمسية والمسافات بينها ، سنلجا إلى التصغير مليون مرة ، بحيث تكون النسبة هى واحد : المليون . ولنا بعد هذا ان نتصور شكل المجموعة .

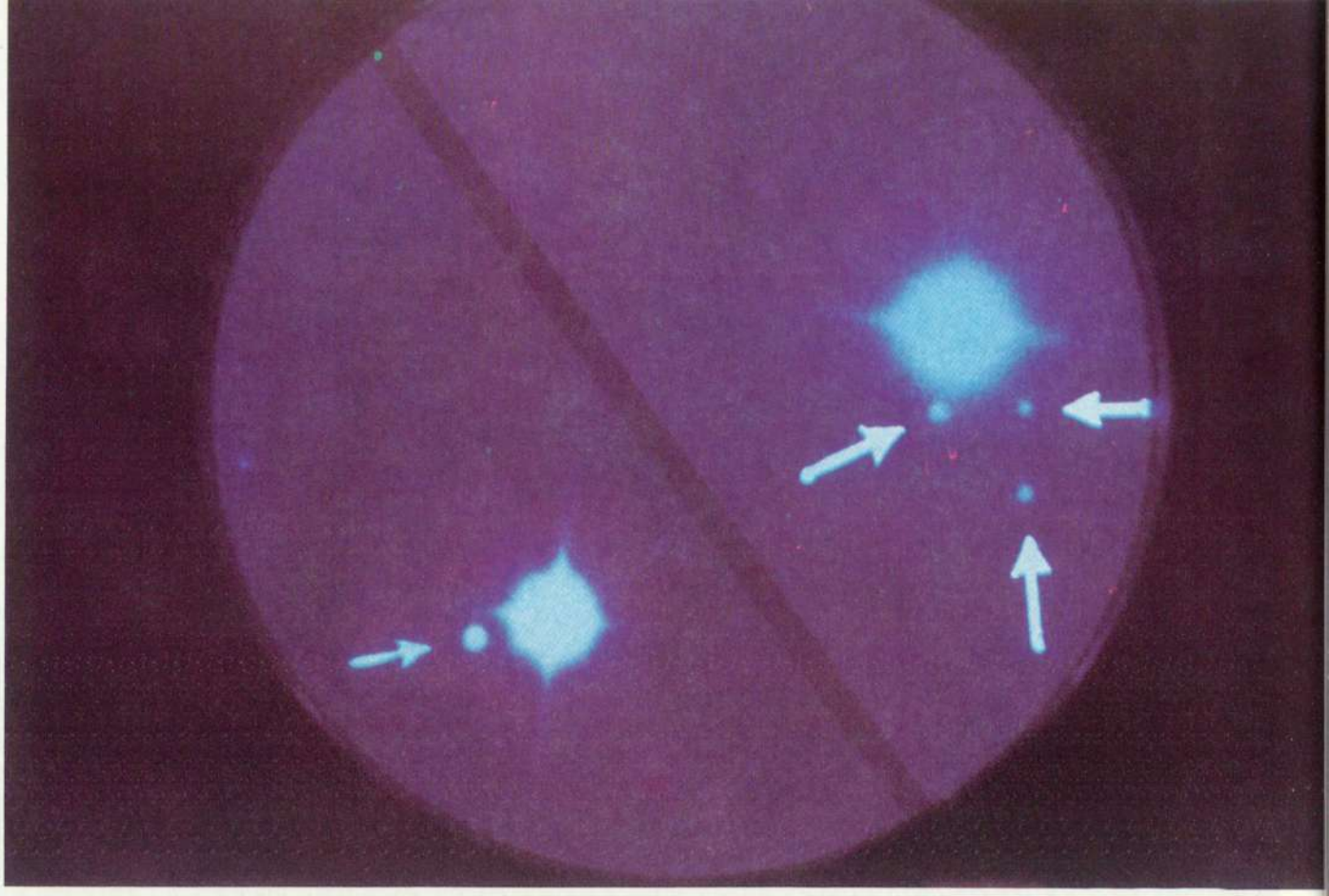
بهذه الطريقة هناك الأرض وقطرها ١٢ مترا ، وعلى بعد ٤٠٠ متر منها يقع قمرها ويكون قطره ثلاثة امتار . وعلى بعد ١٤٩ كيلومترا نجد الشمس فى المنتصف وقطرها ١٫٦ كيلومترا ! وعلى بعد ٥٧٫٦ كيلومترا من الشمس يدور عطارد وقطره اربعة امتار ونصف متر . وعلى بعد ١٠٧٫٢ كيلو مترا من الشمس يدور كوكب الزهرة وقطره ١١٫٤ مترا . ويبعد المريخ عن الشمس مسافة ٢٢٤ كيلومترا وقطره ستة امتار .

اما قمرا المريخ « ديموس » و « فوبوس » فقطر كل منهما ١٫٢ كيلومترا فقط . ثم بعد المريخ هناك « فجوة » هائلة ، ثم على بعد ٧٧٢٨ كيلومترا من الشمس نصل إلى المشترى ، اكبر كواكب المجموعة ويكون قطره ١٢٠ مترا ، اما توابعه او اقماره فتتراوح اقطارها بين اربعة امتار ونصف المتر إلى عدة سنتيمترات . ثم ياتى الكوكب زحل ويكون قطره ١١٠ مترا ، ثم بلوتو الذى يبعـــــد عن الشمس ٥٩٢٠ كيلومترا ويكون قطره ستة امتار .

هكذا رغم لجوئنا للتصغير لتبســـيط المسالة ، مازالت المسافات كبيرة . وتتميز حركة الكواكب حول الشمس بصفات معينة :

فاولا : تكون مدارات الكواكب دائرية ، وتقع كلها فى مستوى واحد ، وتدور فى اتجاه واحد ، مع اتجاه دوران الشمس .

وثانيا : تنقسم الكواكب التسعة إلى مجموعتين واضحتين . الكواكب الداخلية



الكوكب يورانوس مع كواكبه الستة . خمسة منها معروفة جيداً للعلماء ، واما السادس فقد اكتشف عام (١٩٨٢) ويصل قطره الى حوالى مائة كيلو متر .. اما نبتون فهو كوكب من العمالقة الغازية ، يشبه يورانوس كثيراً ، وله قمران معروفان حتى الآن . «ترايتون» الذى يبلغ قطره حوالى ٣٨٠٠ كيلو متراً ويعتبر من اكبر اقمار المجموعة الشمسية كلها ، ويبعد عن كوكبه نبتون ٣٥٥ الف كيلو متراً ، وفترته المدارية ٥,٨٧ يوما .

لو الأرضية ، وهى القريبة من الشمس (عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ) . هذه الكواكب الشبيهة بالأرض صغيرة نسبياً من ناحية الحجم ، وكثافتها اكبر ، وهى تدور ببطء حول محاورها ، وعدد توابعها محدود . أما المجموعة الأخرى من الكواكب فيطلق عليها اسم الكواكب الخارجية او العملاقة ، ويطلق عليها العلماء أحياناً اسم « العمالقة الغازية » (وهى المشترى وزحل ويورانوس وبنتون) وهى ضخمة غازية كثافتها اقل ، وتدور بسرعة حول محاورها ، وعدد توابعها كبير فكل كوكب يكاد يماثل فى حد ذاته المجموعة الشمسية .

وتضم المجموعة الشمسية اجراما سماوية اخرى غير الكواكب .

هناك الكواكب الصغرى او النجيمات ، وقدد قام العلماء بحساب مدارات اكثر من ١٦٠٠٠ منها منذ اكتشاف اول نجيمة عام ١٨٠٠١ . ويتراوح حجمها عموماً بين ٨٠٠ كيلومتر (قطرها) إلى اقل من كيلومتر . ولا تزيد كتلتها كلها معاً عن جزء من ثلاثة الاف جزء من حجم الأرض . وتدور كلها فى مدارات تقع بين المريخ والمشترى ، لكن بعضها له مدارات ممتدة من عطارد حتى المريخ ، مثلما هو الحال مع ايكاروس ، واحيانا من المريخ حتى زحل كما هو الحال مع هيدالجو ، وبعضها اقترب من الأرض حتى اصبح يبعد عنها بما لا يزيد عن عدة ملايين قليلة من الكيلومترات ، مثل هيدميس وايروس .

وهناك فى المجموعة الشمسية ايضا : المذنبات وهى اجسام كبيرة الحجم وإن كانت ذات كتلة صغيرة ، وهى معروفة للناس العاديين باسم النجوم الساقطة ، حيث تلمع كالنجوم اللامعة فى السماء ولها ذيل طويل . ومداراتها مستطيلة ممتدة .

وهناك الشهب ايضا ، وبعضها يخترق الغلاف الجوى للأرض ويصل إلى الأرض كذرات ترابية ، وإن كان بعضها اكبر . ويحتفظ منها بعدد فى بعض المتاحف .

وبالاضافة إلى هذه الأجسام المتواجدة في المجموعة الشمسية هناك اجسام وغازات وجسيمات وجزيئات ترابية ، تدور كلها حول الشمس تحت تاثير قوة جاذبيتها

أحلام المستقبل

ونحن مازلنا فى بداية عصر الفضاء ، فعمره لا يزيد عن خمسة وعشرين عاماً منذ انطلق اول قمر صناعي فى اكتوبر عام ١٩٥٧ . والعلماء مازالوا يحلمون بانجاز الكثير لاستكشاف « النظام الشمسي » انهم يودون معرفة المزيد عن كل كوكب ، ويودون معرفة حزام النجيمات الذي يبعد مائتي مليون ميل عن ارضنا ، حتى يمكن التوصل إلى تطور النظام الشمسي كما يقول الفلكي الامريكي ادوارد اندرز من جامعة شيكاغو ، انهم باختصار يودون اكتشاف ماهو معروف ، ثم جمع المعلومات .

ونحن مازلنا في بداية الطريق .

مجدي نصيف ـ لندن

المراجع

1. Patrick Moore: The Unfolded Universe. Michael Joseph/Rainbird – 1982 London.
2. P. H, A. Sneath: Planets and Life. Thomas Hudson-London
3. Encyclopedia Britanica & 1977 Yearbook of Science and The Future.



وجه المدينة كما صوره لنا الفنان السعودى محمد السليم

محمد موسى السليم

فنان سعودي لم تقتلعه فنون الغرب من جذوره

بقلم : يوسف أحمد

اغلب الذين توقفوا امام أعمال الفنان السعودى محمد موسى السليم أدركوا أنه رغم دراسته الفنية التى نهل فيها من فنون الغرب ، إلا انه حافظ على جذوره البيئية فى صحراء شبه الجزيرة العربية ، فقدم لنا لوحات زاخرة بالأصالة والتراث والمعاصرة ..

إن الفنان محمد موسى السليم يعد واحداً من الرعيل الأول للفنانين التشكيليين بالمملكة العربية السعودية الذين اثروا الحركة التشكيلية بكل أبعادها الفنية والموضوعية ..

وهو فنان مليء بالنشاط والحيوية ، لا يكف عن الحركة والعمل المتواصل ، فقد اقام اكثر من خمسة عشر معرضاً لاعماله بين الرياض والظهران وجدة والدمام .. واشترك باكثر من خمسين معرضاً مشتركاً فى معظم مدن الوطن العربى والبلاد الاوربية ، وكانت مدينته المفضلة فى كل رحلاته الفنية هى فلورنسا ، فقد كان يرى فيها مدينة توفر للفنان كل الظروف النفسية والفنية التى تشحذ طاقته وتجعله راغباً فى العطاء !

وخلال المشوار الفنى للفنان موسى السليم عمل فترة وجيزة بالتدريس ، وانتقل مهندساً للديكور بالتليفزيون السعودى ، ثم اصبح مديراً لدار الفنون السعودية التى اخذت على عاتقها توفير جميع مستلزمات الفنان التشكيلى ، والمربى الفنى فى المدارس ،

وعملت جاهدة على اقامة المعارض الفنية سواء للفنانين السعوديين او للفنانين المقيمين على ارض المملكة ، او لفنانى منطقة الخليج العربى ، وهذا بالاضافة إلى

جهوده المستمرة لاستمرار برنامج الصالة وفق خطة فنية مدروسة ، والعمل على



مجموعة من لوحات الفنان ، تميزت بابراز البيئة المتاصلة فى كيانه وتلاحم الالوان فى سيمفونية رائعة





انتاج وطباعة اعمال الفنانين السعوديين وتصميم النصب التذكارية التى نرى ماثرها فى جميع انحاء المملكة ..

وإذا ما عدنا إلى أعمال الفنان ، فاننا سنلاحظ ان لوحاته تطرق موضاعات البيئة المتاصلة فى كيانه وروحه ، وهى تمثل نهراً فياضاً من حيث المعالجة الفنية والعطاء الذى لا يتوقف ، فكل الذين عاصروه وهو طالب فى مدينة فلورنسا الايطالية قالوا : إن البيئة لم تغب عن ذهنه فى غربته ، وان تشبثه بجذوره فى قلب اوربا جعله طالباً متميزاً ، يذكرنا بالفنان المصرى محمود مختار عندما ذهب إلى فرنسا لدراسة الفنون فى باريس على نفقة الحكومة المصرية ، فلم تبهره حضارة الغرب ولم تقتلعه من جذوره ، بل فتح صدره وقلبه لكل التيارات ، واتجه إلى احساسه الداخلى مع وطنه وتراثه ، فكانت اعماله الخالدة التى رأينا فيها الروح الثائرة لمصر الحديثة !

إن مجرد نظرة على لوحات الفنان السعودى محمد موسى السليم ، تجعلنا نلاحظ سيطرة اللون الأصفر على لوحاته ، ولا غرابة فى ذلك ، إذا ما عرفنا انه من ابناء الصحراء الذين تشبعوا بالرمال والهضاب اللانهائية التى تتلاحم مع اللون الأزرق الصافى فى سيمفونية رائعة ..

وفى اعماله الاخيرة نجده يتجه إلى استخدام بعض الجمل والحروف العربية ، معطياً إياها الجو الصحراوى الذى يتمشى تشكيلياً وجمالياً مع حركة الهضاب والرمال وسنام الجمال .. وهو يفعل ذلك بلمسات فرشاته العريضة التى تعطيك الايحاء بعرض وسعة افق الصحراء !

إنه ـ باختصار ـ فنان اثرى الحركة التشكيلية فى المملكة العربية السعودية ، ومازال مستمراً فى رحلة العطاء والأصالة .

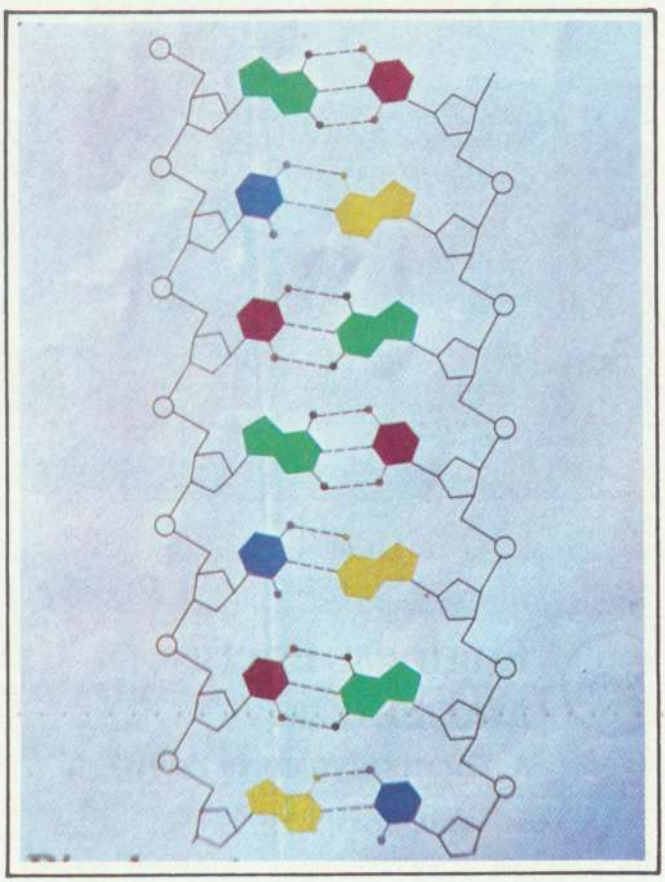
يوسف أحمد

من أسرار تنوع الكائنات

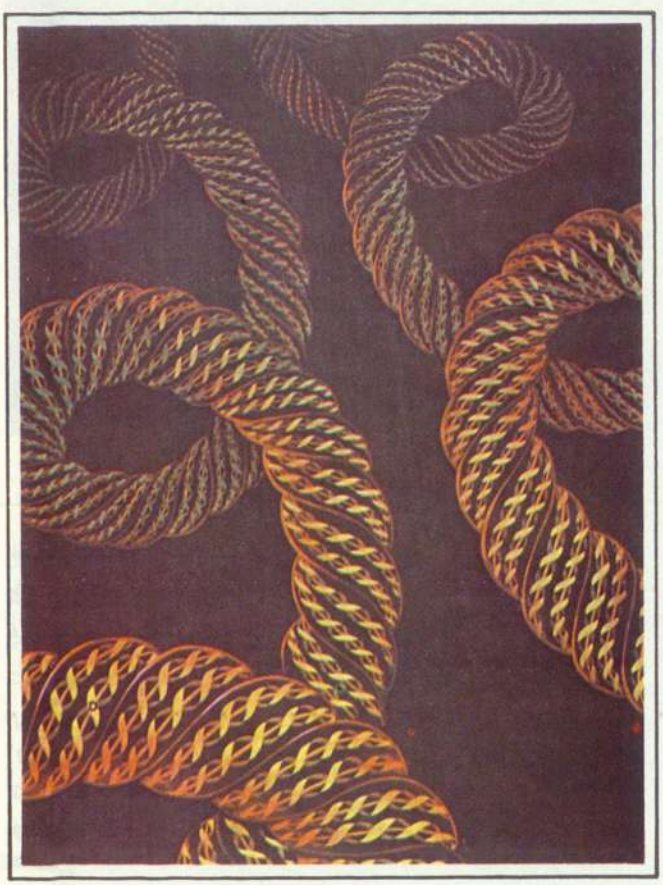
ظهور الطفرة.. دليل تغيّر الشفرة!

بقلم: د. عبد المحسن صالح

هب أن جاءتك فكرة تسجيل ذكريات حياتك منذ بدأت تنطق الكلمة ، وتكون الجملة ، وتنمق الفكرة ، ثم تصقلها بمرور الزمن ، وتطور المعرفة ، ولنفرض أن هذا التسجيل كان على شريط أو عدة أشرطة ، ثم سمعتها بعد عمر طويل ، عندئذ ستدرك كم كنت فى طفولتك وصباك ، ضعيف الفكر واللغة والادراك ، ثم حدث الصقل فى مشوار حياتك باكتساب التجارب ، وصقل المواهب ، ونضوج المدارك ، وهنا يظهر الفرق واضحاً بين كل مرحلة من المراحل التى يمر بها الانسان فى مشوار الحياة ، لأن كل مرحلة تضيف شيئا ، ومحصلة ذلك كله تتويج لرسالة العقل .. أسمى وأرقى وأبدع عطاءات قدرة الخالق فى هذا



شكل (١ ا) يوضح جزءاً جد ضئيلاً من نموذج لشريط وراثى تتراص فيه الشفرة المكونة من اربعة مركبات كيميائية ، ويمسكها « درابزين » كيميائي والتغيير فى تنظيم هذه الشفرة بسبب عوامل البيئة يؤدى لحدوث الطفرات .



شكل (١ ب) نموذج للاشرطة الوراثية المجدولة ، وعرضها بهذا النظام المبسط هنا ، كان نتيجة لبحوث عميقة سابقة بالميكروسكوبات الاليكترونية او التحليلات الكيميائية والفيزيائية .

الركن من الكون العظيم .

كذلك يرى علماء الحياة ، مراحل الحياة وهى تمر من بساطة الى تعقيد ، ومن بدائية الى ارتقاء ، ومن تفرق الى تجمع ، ومن خمول الى تنوع ، وكل هذا ايضا مسجل ومكتوب على شريط او اشرطة .. لكن الفرق الواضح بين الاشرطة التى نسجل عليها ذكرياتنا ، والاشرطة التى تسجل بها الحياة ذكرياتها من خـــلال مخلوقاتها - الفرق أن هذه اشرطة مغناطيسية ، وتلك اشرطة وراثية ، مسجلة بمركبات كيميائية ، وكما لا نرى مضمون شرائطنا الا اذا اشتغلت فى اجهزة التسجيل ، لنسمع ما خفي عن عيوننا ، كذلك لا نعرف مضمون اشرطة الحياة الا اذا اشتغلت فى خلاياها ، وعندئذ نراها وقد تمخضت عن مخلوقات شتى ، اذ ليست العبرة فى الشريط ، ولكن ما سجل على هذا الشريط او ذاك (شكل ١ أ ، ب) .

بحر من المعلومات

منذ حوالى ثلاثين عاما فقط ، ظلت اسرار هذه الاشرطة مجهولة ، ونقصد هنا اشرطة الحياة ، ودعنا من اشرطة الناس ، ففكرتها جد بدائية اذا ما قورنت بالاشرطة التى تاسست عليها صفات المخلوقات ، فرغم دقتها المتناهية ، الا انها تنطوى على بحر من المعلومات .

ووعندمـــا اكتشف العلماء فكرة هـــذه الاشرطة بالميكروسكوبات الاليكترونية تارة وبالتحليلات الكيميائية والفيزيائية تارة اخرى ، عرفوا السر فى تنوع الكائنات .. بداية من الميكروب الضئيل ، ونهاية بالانسان الحكيم ، لان كل المخلوقات تجمعها فكرة واحدة ، لكنها تتغير وتصقل وتتطور بمرور الزمن ، والقاسم المشترك الاعظم بينها شريط ، وفيه تكمن « ذاكرة » الحياة ، لكن هذه « الاشرطة الذاكرة » قد بدأت بداية بسيطة منذ حوالى ٣٫٥٠٠ مليون عام ، ثم استوعبت بعد ذلك محيطا واسعا من المعلومات ، لغتها الشفرات ، التى كتبت بها كل المخلوقات ، لتظهر فى سلالات وانواع واجناس وعائلات ورتب واقسام وقبائل .. الى آخر هذه التقسيمات ، التى اتخذها العلماء سبيلا لدراسة نظم الخلق .. ما ظهر منه وما بطن .

والناس ترى الخلق مبعثرا ، ويراه العلماء منظما ، ولهذا وضـــــعوه فى تقسيمات حسب ما يؤلف بينه من صفات ظاهرة وباطنة .. فالاسماك فى قسم ، والطيور فى قسم ، وكذلك الحشرات والبرمائيات والثدييات ، والنجيليات والبقوليات .. الى آخر هذه التنظيمات التى تزخر بها المجلدات ، وهذا وغيره لم ينشأ من فراغ ، بل له أصول ودراسات تقوم على البحوث والتأمل الأصيل فى هذا الطوفان الدافق من المخلوقات ، ولقد أحصى العلماء منه حتى الآن حوالى مليونين من الكائنات الحية ، غير الذى انقرض واندثر ، وكشف العلماء عنه الحجاب فى حفريات كثيرة جداً ، حتى لقد قيل أن ما نراه اليوم من كائنات حية لا يمثل الا ١٠٪ فقط من حصيلة الخلق ، ويعنى هذا أن الأنواع التى ظهرت على هذا الكوكب قد بلغت أكثر من ٢٠ مليوناً من الأنواع ، ولابد من تصنيفها ، حتى يسهل دراستها ، ومعرفة الجذور أو الأصول التى نشأت منها تلك المخلوقات .

وقد يبدو أنا خرجنا من موضوع الى موضوع ، وما ذلك بخروج ، لأن للخلق ظاهراً وباطناً ، والظاهر ما يراه النـــاس بعيونهم ، وقد يمطون له شفاههم ، ثم ينصرفون الى حال سبيلهم ، دون أن يكلفوا خاطرهم بالتأمل والنظر فى أصول الخلق أو بداياته ، ليعرفوا شيئاً عن حكمته ووجوده وسلوكه وتكوينه ظاهراً وباطناً ، ولقد فعل العلماء ذلك ، وقدموا لنا ثروة علمية هائلة .. فهم الذين يدرســـون ويتاملون

لكن الذين نظروا الى باطن الخلق ، عرفوا سر التنوع الهائل فى المخلوقات ، وعندما عرفوا ، استخدموا حصيلتهم العلمية فى استنباط سلالات جـــديدة من الكائنات ، سواء فى عالم الحيوان أو النبات .

ترى .. ما السر فى ذلك ؟

السر فى الطفرة

إن السر فى تقدم العلوم يرجع الى فضول الانسان للمعرفة ، وطرحه العديد من الأسئلة ، ثم محاولاته الجادة للاجابة على الأسرار التى تنطوى فيه وحوله بغير



شكل (٢) الفراشة والبيئة .. فى الصورة العليا فراشتان لنوع واحد ، وهما تمثلان طفرتين ، احداهما داكنة لا تكاد ترى ، والثانية واضحة وفى الصورة تظهر الفراشتان بوضوح ، لانهما جاءتا بلون غير لون قلف الشجرة المغطى بالاشن والطحالب ، والصورة السفلى جاء لون القلف مبرقشا ، فظهرت الفراشة الداكنة واضحة ، لكن المبرقشة يصعب اكتشافها ، فتنجو من الاعداء (وهى مختفية فى الركن الايمن الاسفل) .



شكل (٣) هذا التنوع فى الالوان دليل على حدوث طفرات فى حشرة « ابو العيد » .. والطفرة سر من اسرار التنوع ، لأنها تعنى تغيرا فى الشفرة الوراثية .

ظاهرة الطفرة.. ولماذا تتغير الشفرة!

حدود ، وهنا يحق القول الكريم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والذين تساءلوا وبحثوا فى ظاهر الخلق وباطنه ، عرفوا ان ظاهر الخلق ، مرتبط بباطنه ، وان التنوع له أصوله التى تكمن على الأشرطة ، لكن أهم ما يميز الأشرطة أنها دائما تمتلك صفات الطفرة ، والطفرة تعنى التغير ، والتغير صنو التنوع .

والواقع أن خلايا كل الكائنات تطفر ، والطفرة قد تكون بالنسبة للكائن الحى رحمة ، وقد تكون عليه نقمة ، ونحن نعرف ذلك فى ظواهر لا نكاد نحصيها عددا ، فالسرطان طفرة وراثية سيئة ، وكذلك كانت الأمراض الوراثية ، ولقد أحصى العلماء منها حتى الآن حوالى ثلاثة الاف نوع ، وكل مرض وراثى قد جاء نتيجة لخطأ طفيف أو كبير فى جزء من الشريط الوراثى لأن الشريط نفسه مقسم الى فقرات .. كل فقرة اسمها جينة أو مورثة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لهذه الطفرات السيئة هنا ، لأن ذلك قد يباعد بيننا وبين موضوعنا ، وقد نعود اليها فى دراسة قادمة .

وكما كانت هناك طفرات سيئة ، تظهر أيضا فى حياة النوع طفرات حسنة ، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، لكنها على أية حال فى صالح النوع ، ليتخطى بها أزمة ، فنحن نحارب الميكروبات الضارة بالمضادات الحيوية ، أو مركبات السلفا ، لكننا نكتشف بعد وقت يطول أو يقصر ، أن بعضها قد اكتسب مقاومة ضد هذا المركب أو ذاك ، والمقاومة سببها الطفرة ، فبين واحد فقط من الملايين والبلايين من الميكروبات تظهر فيه الطفرة ، وبحيث تؤدى هذه الطفرة الى ميكروب لا يتأثر بهذا المضاد الحيوى أو ذاك ، فتكون له ذرية تتكاثر بالملايين والبلايين فى وجود المضاد الذى قتل كل اترابه ، ولابد والحال كذلك من انتاج مضادات حيوية جديدة ، لكن الميكروبات لديها السلاح ، وسلاحها فى الطفرة التى تساعدها على تخطى كل مصيبة أو أزمة ، والنتيجة لهذا واضحة ، فنحن لم نستطع حتى الآن القضاء على كل الميكروبات الممرضة ، رغم الاف الأنواع من المضادات الحيوية المتباية ، فان الله قد يسر لهذه الكائنات حياتها ، ومنحها سلاح التغير فى أشرطتها ، لتقاوم به عوامل فنائها ، وليصبح الصراع بيننا وبينها أزليا ، ولحكمة كان هذا الصراع ، لأن هذه الميكروبات بمثابة مبارد الحياة التى تبرد فى غيرها ، حتى لا تزيد ذريات المخلوقات عن حدودها (ومنها الانسان بطبيعة الحال) ، فكل شىء يزيد عن حده ، ينقلب الى ضده ، « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .. لكن ذلك موضوع اخر نرانا فى حل من التعرض له هنا .

لعبة الاختفاء أو التمويه

والميكروبات التى تطفر يمكن التعرف عليها من اكتسابها أو فقدها لعملية كيميائية واحدة ، أو ربما أكثر ، ومن الممكن الكشف عن هذه العمليات بوسائل شتى ، ونعرف أن كان ما تغير قد جاء لصالحها ، أو فيه هلاكها (هذا ومما يذكر أن كاتب هذا المقال قد رأى الطفرة فى أحد أنواع الفطريات فى بداية حياته العملية ، ثم اكتشف طفرة جديدة فى أحد أنواع البكتريا ، وحدد سببها ، ونشرتها احدى المجلات العلمية البريطانية المتخصصة كبحث جديد) .

لكن الطفرات قد تبدو واضحة فى الكائنات الأرقى التى يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، ولنأخذ لذلك احدى الفراشات ، والفراشات تطفر ككل الكائنات ، وطفرتها تحدث أساسا من خلال خلاياها الجنسية ، فينعكس ذلك على أفراد من ذرياتها ، وهذا أمر محمود بالنسبة لحياة الفراشات ، كما كان كذلك فى حياة الميكروبات ، لأن هذه الطفرات قد تتكيف بالبيئة السائدة أو لا تتكيف ، فان تكيفت عاشت ، وان كان غير ذلك ، فمالها الموت والانقراض ..

وفراشتنا هذه كانت تحط على قلف أشجار البلوط لتختفى عن عيون الطيور التى تطمع فى لحمها ، ولقد جاءت بنمطين نتيجة لحدوث الطفرة (شكل ٢) .. احدهما أبيض منقط ، والآخر داكن ، ولقد درس العلماء هذه الظاهرة فى القرن الماضى والقرن الحالى ، ورأوا كيف يحدث التكيف بين الكائن والبيئة ، فعندما انطلق الدخان بكثرة من مصانع ليفربول بانجلترا فى القرن الماضى ، وأحدث تلوثا كبيرا فى

الأشجار المحيطة بالمدينة ، أكسبها لونا داكنا ، فاذا حصلت على قلفها الفراشات الداكنة والبيضاء المنقطة ، لم تستطع الطيور الاهتداء للداكنة ، لأنها تقف على أرضية داكنة كذلك ، وكأنما هى تلعب لعبة التخفى أو التمويه ، وهى لعبة طبيعية من العاب الموت والحياة ، ولهذا زادت أعدادها فى حين اضمحلت أعداد الفراشات البيضاء المنقطة ، وكادت أن تنقرض ، لأن الطيور تستطيع رصدها بسهولة تامة ، ثم تنقض عليها وتلتهمها كيف شـــاءت (الصورة العليا فى شكل ٢) .

لكن عكس ذلك تراه فى منطقة نائية عن التلوث الصناعى ، اذ أن الأشن هناك تغطى قلف الأشجار وللأشن لون مبرقش ومميز (الصورة السفلى من شكل ٢) ، فاذا وقفت عليه الفراشات المبرقشة ، أصبح من العسير اكتشافها ، وفى ذلك نجاتها ، فى حين أن الداكنة هى التى أصبحت صيداً سهلا للطيور تلك المرة ، فانقرضت أعدادها أكثر ، وأصبح من النادر على الباحثين أن يروها فى بيئتها .

ثم حدثت بعد ذلك ظاهرة مثيرة ، اذ عندما تنبه الدارسون الى أخطار التلوث على البيئة ، بدأوا فى سن التشريعات التى تحد من انطلاق الملوثات ، فأخذت تتناقص بعد سنوات ، وعندئذ تغطى قلف الأشجار بمزيج من الأشن والطحالب الخضراء ، فتساوت نسبة وجود الفراشات الداكنة والمبرقشة ، لأن فرصة التقاط الطيور لهذه أو تلك متساوية ، فمن السهل عليها رؤية الأثنتين بألوانها على أرضية مغـــايرة (الصورة الوسطى من شكل ٢) .

وأمثلة حدوث الطفرات وتكيفها أو تلاؤمها مع البيئة تعد بعشرات الآلاف ، ونعرف ذلك أيضاً فى السلالات البشرية ، فبيئة قبائل الاسكيمو ، غير بيئة الزنوج ، غير بيئة الأصفر والأشقر والأسمر ، ولهذا يمكن التعرف على انسان الشرق الأقصى من انسان الشرق الأوسط ، من انسان أوربـــا ، من انسان أواسط افريقيا .. الخ ، وحتى فى الحروب يستخدم الانسان تمويها زائفا ليتلاءم مع البيئة ، وعندئذ قد لا يكتشفه الأعداء ، فاذا حارب فى الصحراء ، ارتدى ملابس تلائم لون الصحراء ، واذا حارب فى الأدغال ، لبس لباساً يناسب بيئة الأدغال لكن ذلك لا يدخل بطبيعة الحال تحت بند الطفرة ، الا أنها على أية حال فكرة بدائية ليتخطى بها أزمة .



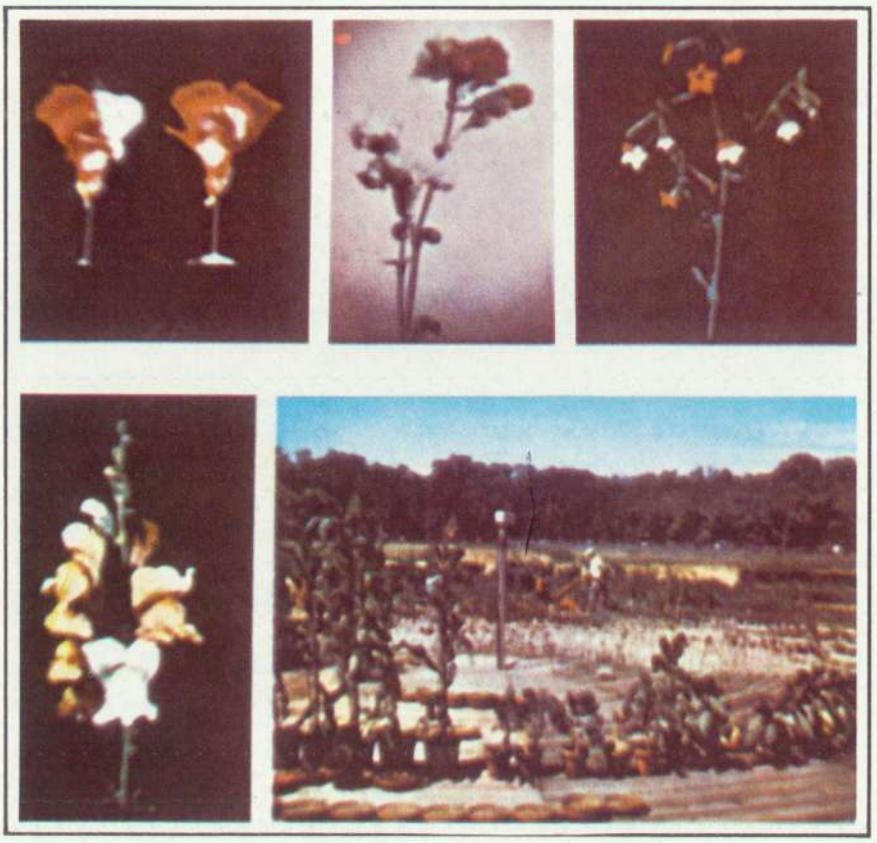
شكل (٤) تختلف ثمار الطماطم فى هذه الصورة اختلافا واضحا ، فرغم ان نوع النبات واحد ، الا انه يميل لانتاج السلالات ، لحدوث الطفرات ، التى تنعكس على اختلاف فى الثمرات .

الظاهر مسجل فى الباطن

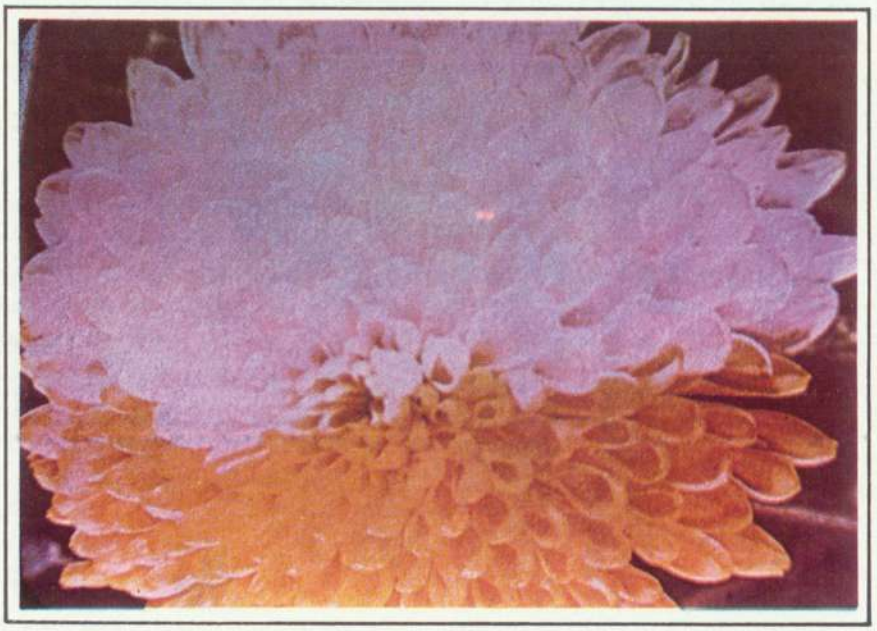
ولاشك أن التنوع فى الكائنات هـــو الأساس العظيم الذى يعطيها صفاتهـا ومميزاتها ، سواء على مستوى الطفرة أو السلالة أو النوع أو الجنس ، ولقد جذبت هذه الظاهرة الهامة أفكار العلماء ، وأثارت طموحهم للكشف عن السر فى ذلك ، ولقد ظلوا سنوات طويلة ، بداية من القرن الماضى وحتى الآن ، يغوصون فى باطن الخلق ، علهم يدركون مكونات الخلايا ، أو الوحدات الوراثية المسئولة عن ذلك ، لأن الاختلاف الظاهرى لا يمكن أن يحدث هكذا اعتباطا ، بل لابد من وراثه تنسيق مذهل ، وتنظيم مقدر ، وأصول لها وزنها ، وهذا ما يسعد العقول الباحثة فى ملكوت الله ، للكشف عن بديع أسرار الحياة .

ولقد توصل العلماء الى طوفان من المعلومات ، ومن أهمها معرفة انتاج الطفرات ، والحصول على السلالات .. صحيح أن العملية ذاتها موجودة قبل أن نظهر الانسان على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، لكن هدفه أن يسرع بهذه العمليات البطيئة ، ويوجهها الوجهة السليمة ، ويختار الصالح ، ويترك الطالح ، ولقد تعلم بعقله المتفتح درساً عظيماً من الحياة ذاتها ، لأنها ـ فى مشوارها الطويل ـ كانت تفعل الشىء ذاته ، فالأنواع الصامدة تبقى ، لأنها تتمشى مع البيئة المتغيرة من حولها ، والمخلوق ابن بيئته ، فان تاخى وتكيف وتاقلم بظروفها ، حافظت عليه ، وأن كان عكس ذلك ، فماله الانقراض لا محالة ..

ولكى نترجم هذا الكلام الى واقع ملموس ، وندرك كيف تلعب الطفرات لعبتها فى الباطن ، لينعكس ذلك على الظاهر ، فلا أقل من توضيح ذلك بحشرة معروفة لنا جميعاً ، وهى نوع من الخنافس الصغيرة ، واسمها الدعسوقة أو أبو العيد ، أو « أم سعيد » ، لكن لن تهمنا الاسماء بقدر ما يهمنا التنوع الذى جاء به هذا النوع ، ولا مناص من عرض صورة توضح ذلك (شكل ٣) ، فكل هذه الالوان



شكل (٥) فى حقل من حقول التجارب النباتية تنطلق الاشعاعات المحدثة للطفرات على ما حولها من نباتات فتتغير الشفرات باطنا ، وتعبر عن نفسها ظاهرا ، حيث تتغير اجزاء محددة من بتلات الزهور ، او قد تاتى زهرة بلون مختلف عن زهرة اخرى على نفس الفرع .



شكل (٦) زهرة بلونين مختلفين ، والاصفر هو الاساس ، والاخر نتيجة لطفرة حدثت اثناء بداية تكوين الزهرة ، فعبرت عن ذلك بلون لم يكن واردا فى الاسلاف .

المختلفة ، والنقط والزخرفة المتباينة ، ترجع الى جينة او مورثة واحدة من الاف الجينات التى يحتويها هذا النوع ، وعلى هذه الجينة (هى فى الواقع جزء محدد من شريط وراثى) تكمن خطة التوزيع ، والخطة قابلة للتغيير والتبديل ، ومن اجل هذا ينشا التنويع ، وهو ما نراه هنا فى توزيع الالوان ظاهرا ، وهو لا ياتي هكذا اعتباطا ، بل له فى الباطن سجلات وراثية .. بقي ان نذكر ان هذه الطفرات تتوزع بتوزع الحشرة الجغرافى والبيئى ، لكن شرح هذا قد يباعد بيننا وبين موضوعنا ، وعلينا ان نقفل الباب هنا ، لنفتح بابا اخر ننظر منه الى سر جديد من اسرار الخلق العظيم .

هدف العلماء واضح

وقد يبدو من المثال الذى قدمناه عن حشرة « أبى العيد » ان مثل هذه البحوث التى يجريها العلماء على شتى الانواع ، بحوث نظرية لا تقدم ولا تؤخر ، او انها من قبيل العلم بالشيء ، لكن ذلك ظن خاطىء ، لان معرفة الاصول فى ميكروب او دودة او حشرة او فار او قرع او باذنجان .. الخ .. الخ ، ليست بمعزولة عما يجرى فى الانسان ، لان كل المخلوقات من خلايا ، والذى يسيطر على حياة الخلية اشرطة ، والاشرطة تشتغل بالشفرة ، والشفرة قابلة للطفرة ، والطفرة هى المسئولة عن التغير الظاهرى فى شكل المخلوقات ، ولكى تحدث الطفرة ، فلابد من عوامل عدة ، اما بعامل اشعاعى او كيميائى او حيوى او طبيعى ، ولاشك ان جميع الكائنات تتعرض لهذه العوامل من قديم الزمن ، ولقد عرف العلماء هذه الاسرار ، فقاموا بتجارب رائدة فى هذا الميدان ، ليحولوا دفة الحياة لصالح الجنس البشرى .. كيف ؟

ان مثالا بسيطا قد يوضح لنا ذلك ، ولناخذه من الحياة ذاتها ، اى قبل ان يتدخل الانسان فيها بعلمه ، فكل انسان يريد ان يتامل ويبحث ويتدبر ، فلابد ان يتوصل الى علاقات مشتركة ، او صفات متشابهة بين بعض الانواع من الكائنات ، سواء فى عالم الحيوان او النبات .. خذ على سبيل المثال البطيخ والقرع والقثاء

والخيار والشمام والحنظل واللوف .. الخ .. الخ ، تجدها متشابهة الى حد ما فى ثمارها وبذورها وزهورها واوراقها .. ادرس تعرف ، ومن أجل هذا وضعها العلماء فى عائلة مستقلة ، هى العائلة القرعية ، وفيها حوالى ٩٠ جنساً ، تضم حوالى ٧٥٠ نوعاً (أى ان لكل جنس عدة أنواع) ، ويعنى ذلك ان لها جميعاً اصولا مشتركة ، لكنها تنوعت من خلال مخزونها الوراثى القابل للتنوع كذلك ، ولاشك هنا ان الظاهر مرتبط بالباطن .

ان الشمام والخيار نوعان ، يتبعان جنساً واحداً ، وكذلك البطيخ والحنظل ، هذا نوع حلو ، وذاك مر ، ومع ذلك يجمعهما جنس واحد .. ثم اننا نعرف البطيخ بشكله وحجمه ومذاقه (وكله بطيخ) .. ومع ذلك فاصوله تحمل فكرة الطفرة او التنوع ، ولهذا نحدد ونقول : بطيخ شليان أو صلحاوى او بلدى أو نمس .. الخ ، وكذلك الحال مع التفاح او القطن او الطلماطم (شكل ٤) ، فلكل سلالاته ، ونحن نميل الى سلالة دون الأخرى ، لان بعضها يفضل البعض الآخر فى صفة او صفات ، ولا يختلف فى هذا اثنان .

لكن مما لاشك فيه ان هذا التنوع الواحد كان موجوداً على هيئة برية ، وعندما تدخل الانسان بعلمه ، استطاع أن يستنبط سلالات جديدة ، واستخدم لذلك ما هو متاح فى الكائنات ذاتها (أى المخزون الوراثى) ، وما هو متاح من العوامل البيئية (أى الاشعاع والكيماويات) .. الخ ... ولم يتعد دوره الا انه كان يستخدم عقله فى توجيه العملية بوسائل شتى يتشعب فيها الحديث ويطول ، ثم ينتقى الصالح ويحافظ عليه ، أو يبدأ من جديد فى عملية تحسين فيه ، وكل هذا تحتكمه أشرطة .. فشفرة ..فطفرة .. تنتج من تغير فى الشفرة ، ثم من وراء ذلك علم نافع ، وفكر ناضج ، وعقل واضح (انظر دراستينا السابقتين على صفحات هذه المجلة) .

والنتيجة تعلن عن نفسها

لكن لابد ان نعود لنقول : ان ما يفيد الانسان لا يتاتى بالكلمات ، بل لابد أن يتبع ذلك عمل صالح ، وعلم نافع ، وتطبيق ناجح ، ولقد قدمنا باختصار شديد الأسس التى يستند العلماء اليهـــا ليحققـــوا ما يريدون ، وهو نابع من البحث ، أما التطبيق فهو ملء السمع والحس والبصر ، فسلالات الدجاج كثيرة ، فمنها ما يتميز بانتاج البيض ، ومنها ما يتميز بوفرة اللحم والشحم ، وكذلك الحال مع الخراف او المواشى ، فمنها ما يعطى صوفا وفيراً ، او لبناً غزيراً ، أو لحوماً تسر الآكلين .. كل هذا يتاتى عن طريق الطفرات التى تحدث فى الجينات ، أو من التزاوج بين كائنات تحمل جينات لنا فيها فائدة لا تجحد ، وخيرات لا تنكر .

وكثيرة جداً تلك الطفرات التى تحدث عن طريق الاشعاع ، لان الاشعاع نفسه يغير الشفرة ، فيحدث الطفرة (شكل ٥ ، ٦) ، لكن ليست كل طفرة حسنة ، بل تجتمع الطفرات بحسناتها وسيئاتها .. الحسن منها نختاره ليبقى ، والسيىء ماله الاهمال والزوال ، وكذلك نستخدم عائلة خاصة من المركبات الكيميائية التى تنحشر فى الأشرطة الوراثية ، أو تتحد مع شفراتها الكيميائية ، فتغير نظام الشفرة ، وحتما تحدث الطفرة (شكل ٧) ، ولهذا تسمى تلك المركبات مولدات الطفـــرات ..

لكن مما لاشك فيه ان كل شىء قد جاء بتدبير مذهل ، وتنظيم محكم ، وتخطيط متقن ، وبهذا سارت الحياة ، وكما قدرها الله ، ثم أوحى فيها مسبباتها التى تتغير بها وتطفر وتتنوع وتضيف وتتطور وترتقى من خلال أشرطة الحياة التى كانت لها بمثابة ذاكرة تستوعب فيها كل ما مر بها من تجارب وأحداث ومحن ، فكبت ثم قامت ، وخطت ثم سارت فى مشوارها الطويل عبر مئات الملايين من السنين ، حتى جاء الانسان الحكيم متوجاً لكل المخلوقات بعقل قد يمتهنه على غير علم فيتحدث فيما لا يعرف ، أو ينميه ويرعاه ، فيكون أقرب الى الله ، ولا يصبح فى الوجدان أحد سواه ، وفى هذا الكفاية لقوم يدركون فيفقهون .

د . عبد المحسن صالح



شكل (٧) ذبابة الفاكهة التى اجرى العلماء عليها عشرات الالوف من البحوث لدراسة الطفرات بكل العوامل البيئية المتاحة من اشعاعات وكيماويات وانت تستطيع ان تلاحظ التنوع فى الالوان والعيون والاجنحة .. الخ ، فكل اختلاف ولو طفيف ، كان نتيجة لتغير فى الشفرة .

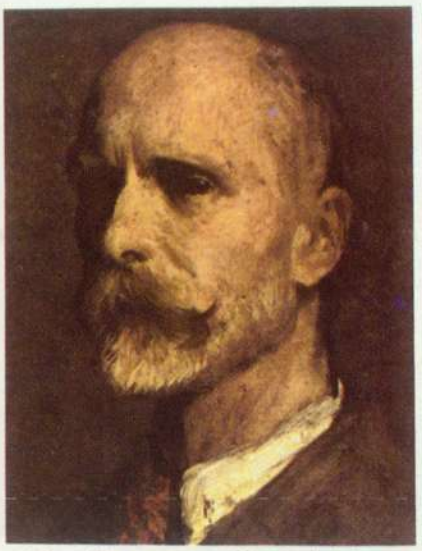
تقديم : جمال قطب

الأستاذيّة وإنكار الذات في عالم الإبداع

فنانا اليوم واحد من أشهر رسامى بريطانيا هو (سير جورج كلوزن) .. وربما لم نسمع عنه كثيراً بما يتفق مع موهبته الفذة فى فن التصوير الحديث ، وربما كانت هذه أول مرة يكتب عن الفنان بالعربية وذلك لسببين : أولهما : أنه التزم بالسلوك والخلق الاكاديمى كأستاذ فى أكبر معاهد الفنون الجميلة فى بريطانيا وهو (الرويال أكاديمى) ، ولم يعش حياة الفنان البوهيمى المغامر جرياً وراء الشهرة أو الجماعات المتمردة التى تقيم الدنيا وتقعدها باستحداث المذاهب وابتداع المدارس الغريبة التى احتدمت معاركها فى العصر الحديث . وثانيها : أنه بدأ حياته الفنية مع تألق المدرسة التأثيرية فى باريس .

فشغف بها وخصوصاً فيما يتعلق برسم المناظر الطبيعية تحت أضواء الشمس المتلألئة ، ولذلك كان تأثير الطابع الفرنسى على أسلوبه ومنهجه الفنى أكبر من تأثير التيارات الانجليزية التى نشأ بينها ، وبالتالى ، فلم يحظ بالشهرة التى حظي بها مجموعة التأثيريين الفرنسيين الذين قادوا حركة (التأثيرية) وما بعدها . وكما نعلم ، فمنذ منتصف القرن الماضى تمركزت حركات الفن الحديث ومدارسه فى باريس لتقود العالم خلفها حتى منتصف القرن العشرين وكانت المجموعة الفرنسية هى محور الاهتمام .

● ولد جورج كلوزن Sir George Clausen فى لندن عام ١٨٥٢ ، وكان أبوه من أشهر من تخصصوا فى فن الديكور والتصميمات المعمارية فى العاصمة البريطانية . وكان طبيعياً أن ينشأ جورج فى مؤسسة والده متتلمذاً على يد أساتذة



صورة شخصية للفنان سير جورج كلوزن كما رسمها بريشته (١٨٥٢ - ١٩٤٤)

الديكور ليخلف أباه فى تخصصه .. ولكن ، ما إن ظهر نبوغه فى الرسم والتصوير الزيتي حتى نصحه الفنانون بأن يترك التصميمات والزخارف ويتدرب على الفن الاكاديمى ويجيد الرسم والتلوين ليصبح فناناً مرموقاً . وفى عام ١٨٧٣ حصل على إجازة دراسية لمدة عامين فى احدى مدارس الفنون الجميلة ببريطانيا ، وخلال دراسته كان يقوم بزيارات فنية لدول الشمال الأوروبى لكى يشاهد أعمال الكبار من أمثال روبنز ورمبرانت وفيرمير وغيرهم من العمالقة ، وتبلورت موهبته ، فعرض أولى لوحاته فى المعرض السنوى للأكاديمية البريطانية عام ١٨٧٦ . وكانت هذه السنوات تشهد أكبر مظاهرة فنية فى تاريخ الابداع الحديث متخذة من باريس منطلقاً لها فى الثلث الأخير من القرن الماضى . وقد طبع المذهب التأثيرى بصماته على فنانى أوروبا كلها .. فأصبح كلوزن أحد أقطابه فى بريطانيا واشتهر بلوحاته عن المناظر الطبيعية ذات الطابع التأثيرى الشهير .. وبلغ عشقه للمناظر الخلوية وجمال الريف أن ترك العاصمة ورحل مع عروسه واستقر فى بيت ريفى باحدى القرى القريبة من (سانت ألبانز) ليمارس رسم الطبيعة باحساس وحرية ومعايشة كاملة .

وكان قد رحل فى أوائل عام ١٨٨٣ لعدة شهور إلى باريس ليتابع حركة التيارات الفنية الحديثة هناك ، فظهر هذا التأثير واضحاً فى أعماله فى السنوات التالية .. ولكنه لم يجنح إلى التغيير المفاجىء فى أسلوبه ، فكان حلقة الوصل بين أقرانه من أصحاب المذاهب الغارقة فى الحداثة وبين تحفظات الأكاديمية الملكية البريطانية الملتزمة ، وانتهى الحوار إلى تأسيس ما يعرف بجماعة الفن الحديث فى انجلترا عام ١٨٨٦ ..

وتألق اسم الفنان حتى انتخب عضواً بالأكاديمية عام ١٨٩٥ . وعهد إليه بوضع المناهج فى معاهد الفن فى بريطانيا .. بجانب عمله كأستاذ ثم رئيس للأكاديمية عام ١٩٠٨ . وفى أثناء الحرب العالمية الأولى ، كلف من قبل وزارة الاعلام البريطانية برسم سيل من الملصقات والمطبوعات التى تمجد الجيش وتدعو للصمود ، كما قام برسم لوحات حائطية ضخمة لتسجيل البطولات والمعارك الشهيرة للمتحف الحربى وغيره من المؤسسات العامة ، وكلف بعدها بالعديد من اللوحات المماثلة لكثير من النصب التذكارية وقاعات التاريخ البريطاني فى أرجاء البلاد .

ونظراً للروائع الفنية ذات المستوى الرفيع التى أثرى بها الفن فى بلاده .. منح كلوزن لقب (سير) فى أول شهر يولية عام ١٩٢٧ . وظل الفنان يواصل إبداعه المتفوق فى تجرد وحب وإنكار لذاته حتى أقعده المرض قبل عام واحد من وفاته . وهكذا الفنان : موهبة متفوقة .. وسلوك قديم من واقع تواضعه واستاذيته ! وفى عام ١٩٤٤ لفظ آخر أنفاسه بعد حياة جادة طويلة مثمرة .. ولكن أعماله الرائعة قد أهمل تقييمها وإلقاء الضوء عليها لسنوات طويلة بعد موته .. إلى أن ظهرت أخيراً عدة مؤلفات ومجلدات للوحاته مدعمة بالتحليلات والتمجيد والتقييم الشامل لأعماله .. كأحد القمم فى تاريخ الفن البريطاني .. وواحد من رواد الفن العالميين

أما اللوحة التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة ، فقد أسماها كلوزن « مائدة الافكار » وتعتبر واحدة من أندر أعماله التى رسم فيها موضوعاً من داخل البيت لا من خارجه ، لأن معظم لوحاته - كما ذكرنا - كانت مناظر خارجية للطبيعة بألوانها التأثيرية البراقة ، وكان يحسب ألف حساب للوحاته التى تتناول الموضوعات الداخلية من حيث صعوبة تكوينها وقياس أبعادها وألوانها ومصادر الاضاءة فيها .. وبهذا ، فقد امتاز على التأثيريين بمثل هذه المناظر الداخلية ودقة توازنها التى تنم عن موهبته العبقرية .. وأخيراً ، فكما قلنا : لعلها المرة الأولى التى يكتب فيها عن الفنان وإبداعه ، بالعربية .. إننا إذ ننقب بين ركامات الماضى ، لنلقى الضوء على درر الابداع المطمورة قبل أن تضيع بين تراكم الزحام والنسيان .. نكون قد تسامينا برسالتنا الاعلامية إلى مستوى عطاء هؤلاء الكبار !



مائدة الافطار (١٨٩٠) للفنان سير جورج كلوزن



نوعان من النباتات الطبية : التباح الجبلى ، الذى يعالج ازمات الربو وينشط القلب ويرفع نسبة ضغط الدم
.. ثم نبات اصبع العذراء الذى ينشط وينظم حركة القلب ، ويصبح سما فتاكا إذا استخدم بجرعات كبيرة !

النباتات الطبية

وأثرها في علاج أمراض الإنسان

بقلم : د. عز الدين فراج

تستعمل النباتات الطبية ومستخرجاتها فى علاج امراض الانسان والحيوان والوقاية منها . وقد عرفها قدماء المصريين منذ فجر التاريخ وادركوا مزايا الكثير من النباتات والحشائش والاعشاب التى تنمو فى وادى النيل وفى الصحارى والوديان المحيطة به ـ وجلبوا الكثير منها من الخارج ـ وتناولوه بالدراسة والاختبار .. كما برع العرب فى هذا المضمار براعة فائقة لا تزال آثارها باقية الى الآن وساعدهم على ذلك اتساع فتوحاتهم فى مشارق الارض ومغاربها .

وبلغ عدد النباتات الطبية بحسب الدساتير الطبية زهاء ٣٠٠ نبات موزعة فى جميع انحاء العالم ويوجد منها فى مصر والسودان حوالى ٥٠ نباتاً منها البرى ومنها المزروع .

ومن النباتات الطبية التى نجحت فى مصر والتى كثر الاقبال عليها من الخارج بذور الخلة التى تحتوى على الخلين . والخلين من المركبات الطبية الفعالة فى علاج الذبحة الصدرية . وتعد آلام الذبحة الصدرية التى تنجم عن انقباض الشرايين التى تغذى عضلات القلب بالدم من اشد الآلام التى يتعرض لها المرء . وقد اعلن الدكتوران « هارولد اوشر » و «كرمت كانتر» من مستشفى بوستن بامريكا ، انهما اجريا تجارب على ثمانية وعشرين مصاباً بهذا المرض من بينهم ثلاثة عشر كانوا عاجزين عن مواصلة العمل ، لان اقل مجهود يبذلونه كان يسبب لهم الما لا يطاق . لقد اعطياهم كميات معينة من الخلين فاتسعت شرايينهم واستعادوا صحتهم دون حدوث اية مضاعفات وقد سمح لثمانية منهم بان يستانفوا اعمالهم العادية ، ويرجع الفضل فى كشف هذه الدواء المستخلص من بذور الخلة الى علمائنا .

وينمو نبات الخلة الذى يستخرج الخلين من بذوره ، نموا بريا فى البرارى او على القنوات او فى حقول القمح والشعير وغيرها ، إلا انه يمكن زراعة الخلة فى الحقول فى اكتوبر ونوفمبر لتجمع بذورها فى ابريل ومايو من كل عام .

والخلين وهو العنصر الفعال فى نبات الخلة ، نجده اقوى تاثيراً واكثر تركيزاً فى النباتات المزروعة فى جو مصر وفى تربته . ولهذا تصدر جمهورية مصر العربية مقادير كبيرة من بذور نبات الخلة .

ومن النباتات الطبية التى يكثر انتاجها فى جمهورية مصر العربية ، نبات السكران وهو عشب قوى النمو ، تستخدم اوراقه الجافة كعلاج للربو ، إذ يستخلص من هذه الاوراق المادة الطبية الفعالة المهدئة للأعصاب والسعال العصبى وضيق التنفس . وتعد منطقة كوم امبو اكثر المناطق إنتاجاً لهذا النبات . وللصنف المصرى شهرة عالمية ، وتطلب منه الاسواق الاوروبية مئات الأطنان .

ينمو نبات السكران برياً على حواف الصحراء والواحات كما يزرع فى المنخفضات المجاورة للأراضى المزروعة بتفتيش كوم امبو ، بان توضع بذرتان فى كل نقرة ، وتغطى ولا تروى ، بل ليصلها الماء باللسع من الاراضى المجاورة .

وتكون الزراعة عادة فى سبتمبر واكتوبر ويحتاج الفدان امن ١ر٥ ـ ٢ كيلو جرام . وقد جربت زراعته « سرا » متقطعاً على خطوط بمعدل ٦ خطوط فى القصبة ، فاحتاج الفدان الى أربعة كيلو جرامات فقط .

تحصد النباتات فى شهرى يناير وفبراير ، ثم يعود ينمو من جديد .. فتعود لحصده.

ويعطى الفدان ١ ـ ٥ر١ طن .

ومن النباتات الطبية التى تنمو بنجاح خصوصاً فى منطقة الواحات نبـــات العرقسوس وهذا الاسم العربى مشتق من شقين : العرق يعنى الجذر ، وسوس يعنى متاصل ولذلك فاسم العرقســوس يفيد امتداد جذور نباتاته فى الأرض وتاصله فيها ، اما اسمه فى اللغات الاخرى فيفيد معنى الخشب الحلو .

اما شيخ الأطباء « ابن سيناء » فيمتدح السوس قائلا إن منقوعه يصفى الصوت وينقى قصبة الرئة ، وينفع فى الحميات .

هذا وشرب العرقسوس يوافق التهاب المعدة ، ولوجاع الصدر ، كما ينفع فى جميع انواع السعال ، ويوصف فى علاج جميع علل الصدر والمثانة .

ويستعمل منقوع جذوره فى الصيف مرطباً ومدراً للبول . وله ـ فضلا عن ذلك ـ اثر ملين فى الأمعاء لمكافحة الامساك . ومن الثابت فائدته فى شفاء قروح المعدة والامعاء والتهاباتها . ويدخل كذلك فى صناعة الدخان . وقد تصل نسبته فى انواع التبغ الى ١٠٪ لكى يعطيه طعماً مميزاً مع احتفاظ اللفائف بنسبة معينة من الرطوبة .

واخيراً فهو ينشط الكبد ويدر الصفراء ويعد افضل الملينات الخفيفة .

ومن النباتات الطبية نبات الخروع الذى تنجح زراعته فى شبه جزيرة سيناء ويمكن استخراج الزيت الطبى منه علاوة على الزيت التجارى المســـتعمل فى تزييت « الماكينات » ، كما يستخدم فى صناعة الصابون ، وتتكاثر نباتات الخروع بالبذور ويحتاج الفدان الى ٢٠ كيلو جراماً من التقاوى ، وتتم زراعته عادة فى الربيع ، اما حصاد المحصول فيكون عادة فى اكتوبر ونوفمبر . وهو فى حاجة الى سماد كامل (ازوتى وفوسفاتى وبوتاسى) .

ومن النباتات الطبية التى استخدمت حديثاً نبات الباباظ الذى تحتوى ثماره على مادة لبنية بيضاء اللون تحتوى على مادة « البابايين » الذى يهضم المركبـــات البروتينية ، ومن اجل ذلك تجمع المادة اللبنية وتجفف ليتناولها كل من يشتكى من ضعف الهضم وضعف المعدة .

والباباظ شجيرة يبلغ طولها ٢ ـ ٤ امتار وتحمل عادة ٢٠ ـ ٤٥ ثمرة وتظل تثمر إثماراً كافياً مدة أربع سنوات . وتتكاثر هذه الشجيرة بالبذور .

ولكى نحسن زراعة هذه النباتات الطبية بوجه عام يجب ان نعمل على تحديد التربة المناسبة والمناخ الملائم ، فقد ثبت ان نبات الداتورة والديجتال تجود فى الأرض الطميية ويجود النعناع والسكران والبيرثرم فى الأرض السوداء او الطينية . ويجود العرقسوس وبصل الصبار فى الأراضى الرملية ، اذ يمكن زراعته فيها ولكن محصوله يكون اكثر وعناصره الطبية اقوى فى الأرض الطينية .

وكذلك الحال بالنسبة للظروف الجوية والمناخية ، فبعض النباتات الطبية تحتاج إلى مناطق حارة ولا تجود فى مناطق معتدلة او باردة وبالعكس . ونباتات السكران وحبة البركة تجود فى المناطق الحارة ويجود النعناع والبابونج فى المناطق المعتدلة .

اولا : لا تزرع النباتات الطبية بارض بها حشائش ، حتى لا تختلط بالأعشاب وتقلل من قيمتها وتحط من نسبة ونوع المواد الفعالة التى بها . فكثيراً ما تختلط أوراق الملوخية مع أوراق نبات النعناع . وهنـــاك رسائل من نبات النعنـــاع صـــدرت واعيـدت ثانية لاحتـــواء أوراق النعناع أو ازهاره على حشائش غريبة مما ادى الى تدهور سوق النعناع .

ثانياً : طريقة الجمع : قد تؤثر طريقة الجمع على المحصول فيتلف نهائياً وتنقص المواد الفعالة الموجودة بالعقار نتيجة سوء الجمع.وهنك رسالات صدرت من البابونج لم تكن مطابقة للمواصفات المطلوبة حسب الدساتير الطبية لزيادة الأعناق فى الأزهار على سنتيمتر واحد ، فعدم دراية المزارع بمثل تلك المعلومات يترتب عليه نتاج محصول طبى تقل به المادة الفعالة .

وبالتوسع فى إنتاج وتصدير النباتات الطبية نكون قد اضفنا المزيد من ثروتنا القومية ومزيداً من التصدير والعملات الصعبة التى نحن فى حاجة اليهـــا لمشروعاتنا الأخرى .

ثالثا : طريقة التجفيف : يعتبر



نبات السكران الذى يعالج الكحـة والسعال العصبى

نبات « ست الحسن » الذى يخفف الام المثانة والســعال الديكى



التجفيف أهم عملية لابد من الاهتمام بأدائها بحرص وعناية فى المحاصيل الطبية ، ولابد من توفر منشر مظلل مرصوف الارضية ومعرض للتهوية من جميع الجهات . ويحسن أن يكون السقف مما يسهل رفعه عند اللزوم للاستفادة بحرارة الشمس المباشرة فى التجفيف . ويرتب داخل المنشر حوامل خشبية ترص فوقها الغرابيل ، كل حامل يستطيع رفع ٢٠ غربالا ابعادها متر × متر فى ارتفاع عشرة سم وقاعدته من السلك المجلفن .

والمقصود بالتجفيف طرد الرطوبة الزائدة ليسهل حفظ المحصول وعدم تعفنه. مع عدم الاخلال بالمواد الفعالة الموجودة به ويلاحظ ضرورة عدم تراكم ازهار البابونج والبيرثرم فوق الغرابيل ويجب تقليبها بين وقت واخر حتى لا تتعفن .

وقد لوحظ أن التجفيف له أثره الواضح فى نسبة المواد الفعالة . وتتوقف عليه قيمة العقار سواء كان ازهاراً او اوراقاً او جذوراً . وبعض الأزهار يصل فيها الجفاف إلى ٢٠٪ كما فى البابونج وبعضها الى ٣٠٪ كما فى البيرثرم وبعضها الى ٣٣٪ كما فى الشطة ، وازهار الكركديه قد تصل فيها نسبة الجفاف بعد الفصل الى ١٠٪ .

ولتنظيم عملية إنتاج النباتات الطبية وتصديرها ، ينبغى مراعاة النقاط الآتية :

أولا : تكوين لجان فنية من المختصين لتحديد حاجة البلاد ، وما تحتاج الدول الأخرى من هذه النبـــاتات، وحتى تنظم المساحات المطلوب زراعتها ، وتحدد فى المناطق الملائمة لزراعتها .

ثانياً : والخير كل الخير أن يجتمع منتجو النباتات الطبية فى جمعية تعاونية أو فى اتحاد تعاونى ، ينظم عملهم ، ويقوم بعبء الدعاية لانتاجهم .

ثالثا : منع شحن النباتات الطبية إلا بعد إعطاء شهادة من الهيئات الفنية تبين خلوها من المواد الغريبة الدخيلة عنها او تؤكد خلوها من الغش .



عالم الحكاية الشعبية .. يتداخل فيه الواقع بالحلم .. والمعرفة بالخيال .. وينتقل من مجتمع إلى مجتمع متخطيا حواجز المكان واللغة !

دراسة في الأدب الشعبي

أبطال الحكايات الشعبية بدون جواز سفر!

بقلم: صفوت كمال



الفارس في الحكاية الشعبية

عالم الحكايات الشعبية عالم رحب . تتناقل فيه عناصر الحكايات الشعبية واحداثها من عصر إلى عصر ، ومن مجتمع إلى مجتمع ، بلا حاجز من مكان ، أو حائل من لغة .. تتداخل في حكايات كل مجتمع عناصر من حكايات مجتمعات اخرى ، أو تتشابه عناصر تلك مع غيرها ، تبعاً لتماثل الظروف التي تنشأ فيها تلك الحكايات ، أو بتماثل الموروث الثقافي في مجتمع ما مع غيره من المجتمعات . كما تتداخل في بنية حكايات كل مجتمع عناصر خاصة ، ترتبط بواقع ما يحوط ذلك المجتمع من ظواهر الطبيعة ، ومظاهر بيئته المحلية ، وانماط علاقاته الاجتماعية .



من وحي الحكايات الشعبية ، كانت هذه اللوحة البديعة للفنان سعد كامل ، التى عبر من خلالها عن احساسه بابطال قصص الادب الشعبى

أبطـــــال

الحكايات الشعبية

بـدون جـواز سـفر!



هكذا رسم الفنان الشعبى الحكايات الشعبية ببساطة وتلقائية

والحكايات الشعبية ـ بصفة عامة ، هى اكثر انواع الادب الشعبى تنـاقلا من مجموعات لغوية إلى مجموعات اخرى .

كما انها ـ ايضا ـ اكثر اشكال الابداع الشعبى بعامة ، انتقالا من مكان إلى مكان . فالحكاية تسمع ، وتفهم ، وتحفظ ، ثم تنتقل . سواء كان نقلها بنصـــها ، ام بترجمتها إلى لغة اخرى . ام باعادة صياغتها من جديد ، وروايتها فى بناء فنى جديد . وسواء اكان ذلك بالمحافظة على عناصرها الاصيلة والاصلية ، ام بتعديل تلك العناصر او ابدالها ، ام باضافة عناصر جديدة ترتبط بواقع البيئة التى تـروى فيها .

وعالم الحكايات الشعبية ، عالم يفيض بالخيال ، عالم ، الزمان فيه ، زمان مطلق بلا حدود . وعالم المكان فيه ، عـــالم بلا حدود . حتى وإن اصطنع فيه راوى الحكاية اسماء بلدان ، او فترة زمـان ، ووصف اماكن ومعالم جغرافية فهى حكايات تروى عما كان فى سالف العصر والاوان .

فالحكايات الشعبية ، لا ترتبط بطبيعة للكان او احداث الزمان .. حتى ولو تضمنت معلومات تاريخية . فهى ليست سوالف تاريخ ، او حكايات عصر من العصور ، على الرغم مما قد تحمـل تلك الحكايات من معارف تاريخية او وصفا لمعالم جغرافية . فهى احاديث تصور عالم الانسان كما هو فى خيال الانسان . تتداخل فيه المعرفة الواقعية مع التصـــورات الخيالية ..

عالم تتحدث فيه الحيوانات والطيور بحديث الانسان .. وتتشكل فيه الجان على صورة الانسان او الحيوان .. وتتنوع فيه ظواهر الطبيعة وظاهراتها تبعا لتنـــوع الاحداث التى ترتبط بتلك الظواهر .

كما يلتقى فى عالم الحكايات الشعبية ، عالم الانسان مع عالم الجان .. وعالم البر مع عالم البحر . وعالم الاساطير مع عالم الاحداث الواقعية .

خداع الحواس

وعالم الحكايات الشعبية ، هو عالم خاص ، عالم خيال الانسان ، بما يتضمنه هذا الخيال من معارف موروثة ، وخبرات مكتسبة ، وتصورات ذهنية فنية . حينما يخرج الانسان بافتراضاته الذهنية من مجال التجربة الموضوعية ، إلى مجال الافتراضات الخيالية . فيناى بفكره عن عالم الواقع والمحسوس ، إلى عالم يفوق الواقع . ويخرج من نطاق المحسوس إلى عالم اخر يغايره او يماثله ، ولكن له طبيعته الخاصة .

فعالم الحكايات الشعبية ، عالم يمتزج فيه خداع الحواس مع شطحات الفكر ، حيث يمتزج الحلم بالامل ، ويتداخـــل للعقول مع اللامعقول ، فى بناء فنى خاص هو سمة اساسية من سمات الحكايات الشعبية .

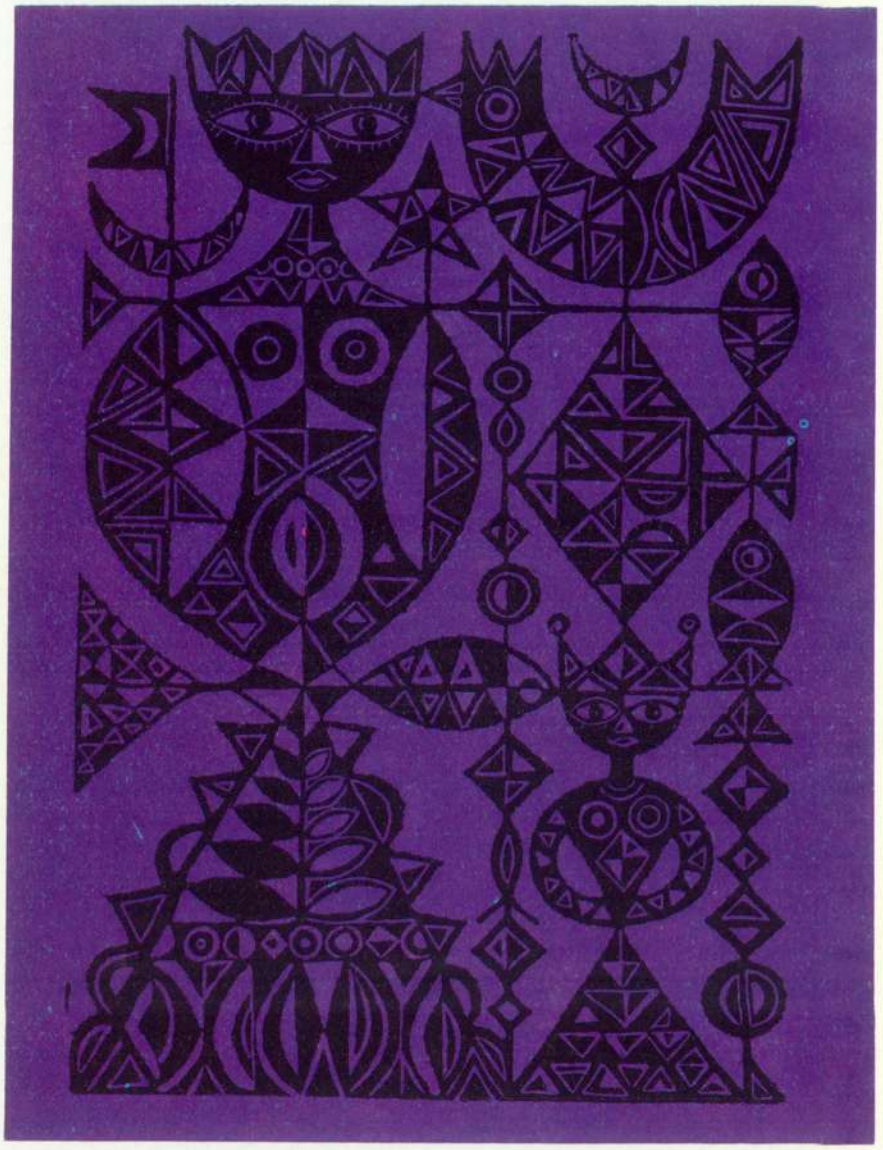
والحكايات الشعبية ، منها ما يصور حدثا بعينه ، ويقتصر على عنصر اساسى واحد . ومنها ما يروى احداثا متتابعة او متداخلة ، او ملفقة ومجموعة ـ بعضها إلى بعض ـ بعناصر ربط ، تجمع بين عناصرها المتنوعة .

ومنها ما يشكل ويكون قصصا متداخلة ، كل قصة منها تولد اخرى . وهو شكل فنى تميزت به معظم حكايات الف ليلة وليلة . حيث تجمع الحكاية الواحدة بين اكثر من حكاية . وتقص اكثر من قصة . وتحمل كل قصة حدثا جديدا بعناصر جديدة .

كما تنتقل الحكاية بتلقائية فنية من حدث إلى حدث ، تروى على لسان كل بطل من ابطالها قصته ، لتشكل فى النهاية ـ معا ـ حكاية البطل الرئيسى للحكاية الاصلية .

إبداع فنى

هذا النمط الاستطرادى والتتابعى فى سرد الاحداث هو سمة فنية من سمات الابداع الشعبى للحكايات الشعبية . فالانتقال من حدث إلى حدث ، هو الذى



استخدام ابطال ورموز السير الشعبية فى عمل نسيج فنى متكامل

يشكل البناء الدرامى الذى يربط عناصر الحكاية بعضها ببعض ، دون افتعال ، او اعتماد على صنعة محبوكة ، بقدر الاعتماد على التلقائية فى قدرة التعبير تعبيراً فنيا شفاهيا . فاسلوب التعبير الفنى ـ من خلال الرواية الشفاهية وسرد الاحداث ـ هو الذى يحدد العلاقة الفنية بين الاحداث للتتابعة ، رغم تباينها او غرابتها ، وبين تنوع موضوعاتها .

فالمرويات الشفاهية ، وبخاصة الحكايات الشعبية ، تتميز بهذا الطابع الفنى ، الذى يتحقق من اللقاء بين الراوى والمستمع ، دون حواجز من الصنعة او التكلف . فتاتى اشكال الابداع الفنى بما فيه من خيال ، إلى عالم السامع فى طواعية ويسر . حيث تتميز تلك الاصالة الفنية ، بتحقيق اللقاء بين المبدع ـ راوى الحكاية ـ وبين المستقبل لهذا الابداع الفنى ـ السامع لهذه الحكاية ـ دون عوائق من التشكيك الفكرى او الموقف النقدى ، او الرفض المسبق لما يتلقاه .

هذا التجاوب الفنى ، بين المبدع ـ كراوى ـ وبين المتلقى ـ كمستمع ـ ، يربط ايضا فى نفس الوقت بشخصية « المبدع » نفسه ، وفنية ادائه لما يرويه .

وهى قدرة إبداعية ، تخرج بنا من إطار النص المنقول إلى إطار النص المروى . حيث يكون اسلوب الاداء هو الركيزة الاساسية فى إعطاء النص المروى قيمته الفنية فى ادائه الشفاهى . بجانب قيمته الفنية ، كنص ادبى يخاطب فكر ووجدان متلقيه او مستقبله او سامعه .

لذا كان عامل الاستطراد ، والتنقل من حادثة إلى حادثة ، هو عنصر تشويق ، ليجعل خيال السامع ينتقل من إطار ما هو واقع ، إلى مجال ما هو خيالى . فتتحقق ذاتيته الابداعية ـ فى نفس الوقت ـ مع ذات المبدع .

حيث يترك الراوى لسامع روايته ، مجالا رحبا من التصور الذاتى لعالم الاحداث وصور الشخصيات ، بل والكائنات موضوع روايته . وهو عامل فنى خاص تتميز به الحكايات الشعبية .. حيث يترك « الفكر » فى حالة « حرية فنية » ، ودون تقييد عالم « خيال المستمع » ، بعالم « خيال الراوى » . فيتحقق الابداع الفنى ، بشكله الاندماجى بين ابداع الراوى وابداع المستمع ، فى رؤية فنية تكاملية ، تجمع بين التجريد والتجسيد فى آن .

وهى « حالة فنية » ، تعتمد على مهارة الراوى ، وقدرات السامع على تصور ما يسمع تصوراً فنياً . يعتمد فى مصدره الاساسى على ما يثيره الراوى فى مخيلة المستمع ، من صور وتصورات فنية لاحداث واشخاص وموضوعات روايته .

تواصل الابداع الفنى

ومن هنا ، يمكن لنا التعرف ، ولو معرفة جزئية ، على احد اسباب تغير البناء الفنى لبعض الحكايات حينما تنتقل شفاهة من راوية إلى راوية .. وليس فقط من مجتمع إلى مجتمع .. او من مجموعة لغوية إلى مجموعة لغوية اخرى . او من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر اخر ..

فالراوى الجديد ، ناقلا ام مترجما ، يضيف إلى ما سمعه او حفظه تصوره الذاتى ، وكذلك خبرته الفنية الخاصة إلى ما انتقل اليه او ما نقله هو عن غيره .

فالحكاية الشعبية ، بما تحمل من تصور فنى ، تلتقى مع الخيال الفنى للمستمع ، لتشكل من جديد البناء الفنى للحكاية ذاتها كابداع شفاهى . وتلك ـ حسب تصورى ـ هى سمة اساسية ، من سمات الابداع الفنى الشعبى .

فالحكايات الشعبية هى اكثر انماط الادب الشعبى هجرة وتنقلا من مكان إلى مكان ، مع تميزها فى نفس الوقت بعناصر محلية او قومية ، وموروثات ثقافية اصيلة . فهى بطبيعتها كابداع شعبى ، تعبير ادبى عن فكر ووجدان المجتمع ، بما يحمل هذا الفكر من رؤية خاصة فى تفسير ظواهر الكون والوجود الانسانى .. مثلها فى ذلك مثل مختلف انماط وطرز الابداع الشعبى .

صفوت كمال ـ الكويت

حتى لا ننسى :

طبريّة
التاريخ والمأساة

بقلم : نبيل خالد الأغا

هذا المنظر الفاتن يمثل جانباً من مدينة طبرية العربية الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ م ، والواقعة فى شمال فلسطين على منتصف الشاطىء الغربي لبحر الجليل .. أو بحيرة طبرية كما عرفها التاريخ العربى القديم والمعاصر .

يبلغ طول البحيرة ٢٢ كيلومتراً ، وعرضها ١٢ كيلومتراً ، ويصل انخفاضها الى ما يزيد عن مائتى متر عن مستوى البحر الابيض المتوسط .

ونظراً لما تمتاز به المنطقة من ارتفاع نسبي فى درجة الحرارة ، ولروعة مناظرها الطبيعية الفاتنة فقد شيد كثير من خلفاء بني أمية لهم قصوراً فاخرة على ضفاف البحيرة للاستمتاع بدفء طقسها فى فصول الشتاء .

وتوجد بالقرب منها حمامات طبرية المعدنية الشهيرة التى التجا اليها الناس منذ فترات زمنية بعيدة للتخلص من امراض الروماتيزم ، والنقـــرس ، والاضطرابات العصبية ، والامراض الجلدية المختلفة ، وذلك بسبب ما تحتويه مياهها من تركيبات كيماوية مختلفة .

وعلى امتداد مئـــات الاعـــوام كان الفلسطينيون فى طبرية ينتفعون من وجود البحيرة الى جانب مساكنهم ومزارعهم ، حيث شربوا منها ، وروّوا حدائقهم بمياهها واصطادوا من اسماكها ، فكانت مصدر خير وبركة لهم ولمن حولهم .

ولكن بعد نكبة فلسطين أمعن اعداؤنا فى طمس المعالم العربية فى الوطن المحتل .. فمثلما جففوا بحيرة « الحولة » فانهم يسعون اليوم لتحويل بحيرة طبرية الى بالوعة مياه قذرة من خلال تلويث مياهها .. بزيادة نسبة البوتاس والفوسفات فيها ..

وبسبب وجود هاتين المادتين تنمو ـ وبسرعة ـ انواع غريبة من الاعشاب تمتص نسبة كبيرة من اكسجين البحيرة ، ويتحمل المستوطنون الصهاينة الجزء الاكبر من اسباب هذه الجريمة لانهم يضخون مياه منازلهم القذرة فى مياه نهر الأردن الذى يغذى بدوره بحيرة طبرية بها مع العلم بان البحيرة تشكل مصدراً رئيساً فى تغذية المنطقة الشمالية بالمياه ، حيث يتم ضخ أكثر من عشرين متراً مكعباً منها فى الثانية الواحدة !

اما بالنسبة لمدينة طبرية التى يبدو فى الصورة الجزء الغربي منها فيقال إن مؤسســها هو الملك « هيرودس » ، الذى سماها باسم الامبراطور الروماني حوالى سنة ٢١ للميلاد .

وعندما أحرق القائد الروماني « تيطس » مدينة القدس عام ٧٠ م ، قام بطرد اليهود منها ، بعد أن سمح لهم بالاقامة فى طبرية . ويعتقد اليهود بأن التلمود ـ كتابهم المقدس الثانى بعد التوراة ـ قد تم جمعه فى طبرية عام ٤٠٠ للميلاد . وتعتبر طبرية فى عرفهم واحدة من المدن الأربع المقدسة لديهم ، بعد القدس والخليل وصفد .

.. هذا وقد فتح العرب المدينة عـــام ١٣ هـ . بقيادة القائد الباسل شرحبيل بن حسنة واصبحت فيما بعد عاصمة « لجند الأردن » .

ويحدثنا التاريخ بأن موكب القائد العربى الفذ موسى بن نصير قد مر بطبرية حينما قدم من الاندلس فى طريقه الى الشام تنفيذاً لأوامر الوليـد بن عبد الملك .

اما فى العصر العثماني فقد تولى الثائر الفلسطيني الشيخ ظاهر العمر (وهو من ابناء صفد) مسئولية الحكم فيها . فاهتم بها ، وزينها ، وبنى عدة قلاع ومساجد ومدارس ومنها انطلقت قواته لمناجزة خصومه فى المناطق المجاورة ، واستطاع فى نهاية المطاف ان ينتصر عليهم ، واصبح الشمال الفلسطيني تحت إمرته ، ولما استتب له الوضع نقل مقر اقامته الى عكا تمهيداً لاعلان استقلال البلاد الشامية عن الحكم العثماني !

.. ولكي لا ننسى تاريخنا ، وما فعله اعداؤنا فمن المفيد ان نتذكر بان قضاء طبرية قبل عام ١٩٤٨ م كان يضم ٢٦ قرية عربية ، ولم يتبق اليوم منها سوى ثلاث قرى فقط .

هـــذا .. وتعتبر قـــرية « حطين » الفلسطينية من أهم القرى فى منطقة الغور الشمالي ، والتى تبعد مسافة ١٠ كم الى الغرب من طبرية . وهى القرية التى حملت اسم موقعة حطين الشهيرة التى احرز فيها البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي نصراً حاسماً على الجحافل الصليبية عام ١١٨٧ م ، والتى ما برحنا نستعيد عظمتها لنداري واقعنا العربي الأليم ! !

نبيل خالد الأغا



جانب من مدينة طبرية فى فلسطين المحتلة

أحمد صبري

فنان متمرّد من عصر اليَشْمَك والطربوش



لوحة زيتية لاحدى الصور الشخصية التى برع فى تصويرها الفنان احمد صبرى (١٩٥٠)

بقلم : حسين بيكار

عندما كانت الامبراطورية العثمانية تجر أذيالها من الشرق الأوسط الذى كان جزءاً من امبراطوريتها المترامية الاطراف ، تركت وراءها أصداء لغة ، ورواسب تقاليد وبقايا فنون .

وكانت «الحبرة واليشمك والطربوش والسروال» مفردات وعناصر فى لوحة كبيرة تجعل مجتمع المدينة المصرية لا يختلف كثيراً فى مظهره عن المجتمع التركى ، حتى اذا ما تجاوزنا اطراف المدينة ، واحتوانا الريف بخضرته الممتدة ، واستقبلتنا أكواخ الطين والسواقى وجذوع النخيل وأبراج الحمام ، برزت الملامح المصرية الأصيلة على حقيقتها منعكسة على صفحة الطبيعة ، وعلى الوجوه السمراء ، وأنغام المواويل ، والأمثال الشعبية ، والعادات الريفية ، وقد ولد «أحمد صبرى» وسط هذا المناخ فى ١٩ ابريل سنة ١٨٨٩ بحي المغربلين بالدرب الأحمر من أبوين ينحدران من أصل تركى ..

تفتحت عيناه على مناخ يتسم بالنظام والنظافة والأناقة والاعتداد بالنفس والكبرياء وحب الطرب ..

ولم يكد الطفل يبلغ الثانية من عمره حتى فقد أمه ، وبعدها بست سنوات فقد أباه أيضاً ، فغمرت الطفل مرارة اليتم فى أعنف صوره ، حيث كفله جده لأبيه ، ثم خاله فيما بعد ، وظل الطفل ينتقل من بيت الجد والخال فى حي « السيدة زينب » وشارع « السبع والضبع » بحي « الظاهر » يطارده احساس بالاغتراب والقهر ، الأمر الذى أثر على سلوكه وانتظامه فى الدراسة .. مما اضطر أولى أمره ان يقسوا عليه فى محاولة يائسة لتقويمه ، فكان يتحمل الأذى صابرا متحديا فى عناد وإصرار ، دون أن يغير من موقفه أو يخفف من عناده ..

كان شيء ما فى داخله يدعوه الى التمرد على واقعه وعلى أقرب الأقربين إليه ، فلم يجد وسيلة يعبر بها عن ثورته سوى الانقطاع عن الدراسة ، والتسكع فى دروب القاهرة ، وهو لا يعلم انه بهذا التصرف انما يقضى على مستقبله ، ويعوق تفتح مواهبه وملكاته ..

لكن شيئاً ما كان يضمد جرح الصبى اليتيم ويخفف عنه وطأة اليتم وقسوة الأقارب .

كان يرسم مثلما يفعل أقرانه فى هذه السن المبكرة ، ولكن خطوطه الرقيقة كانت تختلف عما يصنعه الآخرون . كانت تعكس رقة غير عادية ، وكانت رغم بدائيتها وسذاجتها يفوح منها عبق رقيق ، ويشع منها جمال ناضج يفوق سنوات عمره ..

لقد وجد الصبى الموهوب متنفساً يطلق من خلاله أبخرة الحرمان ، ورفيقاً حميماً يبثه لواعج نفسه .

وكأنما أرادت الطبيعة ان تغرس فى قلب الصبى الصغير مزيداً من رهافة الحس فوهبته صوتاً رخيماً وأذناً موسيقية بالغة الحساسية ، تجيد التقاط الالحان والاغانى الشائعة فيرددها بأمانة نادرة فيطرب لها ويطرب مستمعيه .



من أعمال الفنان البارزة ، لوحته الزيتية : فتيات على البيانو

«منظر طبيعى (١٩٣٥)



وزادته هذه الملكة الفنائية اندفاعاً وراء أحلام صباه ، فصار يتردد على مجالس السمر والموسـيقى والطرب ، ويصـادق محترفى الموسيقى ويشاركهم فى سهراتهم ، وانغمس بكل حبه فى هذه الهواية ظناً منه انه عثر على طريقه السوى ، وهو لا يدرى أن قدره يدخر له مكان الريادة فى فن آخر ، وذلك عندما علم مصادفة بأن هناك مدرسة انشاها الأمير « يوسف كمال » حديثاً بدرب الجماميز . وان الطلبة يدرسون فيها ضروباً مختلفة من فنون الرسم والتصوير والنحت فما ان بلغ سمعه هذا النبأ الذى نزل على قلبه مثل قطرة الماء فوق الشفاه الظماى حتى هرع اليها ليسجل اسـمه ضمن طلابها ..

وكان ذلك عام ١٩١١ .

وفى مدرسة الفنون الجميلة تفتحت مواهب الشاب « أحمد صبرى » فى المناخ الذى خلق له ، وكأنما وجد التربة الصالحة التى يؤكد من خلالها ذاته وينمى شخصيته

أحمد صبري

فنان متمرّد

من عصر البَشْمَك والطربوش

فانكب على الدراسة الجديدة بكل حماس ، ونال من اهتمام أساتذته الأجانب « باولو فورشيللا ، وسيمون ، وبونوه » ما شجعه على المضي فى طريقه الجديد بمزيد من اللهفة والعشق معوضاً ما فاته فى صباه ، وما أهدره من سنوات عمره .

وكان لموهبته الفنائية أثر كبير على فنه الجديد ، اذ برزت خصوبته القصوى فى التلوين ، وتجلت براعته فى امتصاص ألوان الطيف وسكبها فوق لوحاته بغزارة متدفقة ، وكأنما كان يغنى بفرشاته عوضاً عن الترنم بحنجرته ..

ولقد هدته فطرته الى خامة تسهل له ارسال النغم اللونى دون ارهاق ملكاته بما يصاحب عملية الرسم من حالات التوتر والحرص الشديد ، وهو ما كانت طبيعته ترفضه ، فقد كان شوقه للون عنيفاً وعارما ، وكان يشتهى أن يكون اللون أول شىء يلتقى به فوق سطح اللوحة العذراء .. وكانت الأصابع الطباشيرية الملونة « الباستيل » هى الوسيط الأمثل الذى مكنه من هذا اللقاء السريع ..

وهكذا صاحب « الباستيل » صبرى منذ اللحظة الأولى ، ووجد فيه رفيقاً طيعاً فى رحلة الابداع الطويلة حتى أصبح فنان الباستيل الأول فى مصر دون منازع ..

كان صبرى منذ بداية عهده بالتصوير شغوفاً برسم الوجوه والشخصيات ، ولقد كانت أولى محاولاته فى هذا النوع مؤشراً صادقاً لدوره الكبير الذى سيقوم به ، وكأنما كانت تتنبأ بانه سوف يصبح من رواد «البورتريه » بين فنانى الرعيل الأول فى مصر ..

وكان تفوقه فى رسم الوجوه من أهم الأسباب التى دفعت اساتذته الى ترشيحه لبعثة دراسية فى فرنسا على نفقة الأمير « يوسف كمال » ليزداد تعمقه فى هذا الفن ..

وظل هذا الحلم يراود الشاب الطموح لا يفارقه لحظة ، فبدأ يعد نفسه لليوم الموعود ، ولكن يبدو ان ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون تحقيق أمنيته ، فتأجل سفره ، واضطر الى الانتظار صابراً على مضض الى أن يأتى الفرج .

لم تكن فترة الدراسة بالنسبة « لاحمد صبرى » أرضاً ممهدة وساحة مفروشة بالورود ، اذ كانت جميع الأنظار متجهة اليه وهى واثقة ان انتظامه فى الدراسة نزوة عابرة ستضاف الى حلقات فشله السابقة .

وقبل الفتى التحدى بعد ان عثر على الوسادة التى يريح فوقها رأسه .. لم يعد يبالى بنظرات التوجس وتهامس التشكيك ، وها هو ذا يتخرج من المدرسة ، ويحصل على دبلومها سنة ١٩١٦ بتفوق كبير ، وها هو ذا كذلك فى انتظار تحقيق الوعد الذى سيتوج طموحه فيسافر الى باريس حلمه الكبير .

وتراجعت الوعود ، أو تبخرت لسبب لا يعلمه .. وقد يكون ذلك حسب تصوره بايحاء من خصومه الذين يغارون منه ويتربصون به ، وان كان يقال ان غرابة أطواره ، وشعوره الدائم بالاضطهاد ، واعتداده الزائد بنفسه وبكرامته ، وصراحته الصارمة ، واصطدامه مع الآخرين لأتفه الأسباب ، وشكوكه الدائمة حتى فى أقرب الأقربين اليه ، هى التى عطلت سفره أو ألغته ، فقد كانت طبيعته الرافضة تضعه دائماً فى موقع المدافع عن نفسه بين خصوم وهميين يحيطون به ، حتى أصبح مثل القط الطريد المحاصر فى ركن مغلق .

الفنان فى باريس

ولم يكن امام « صبرى » الا أن يبحث عن وظيفة يعتمد عليها امام متطلبات الحياة ، فما كادت تعرض عليه وظيفة مدرس للرسم بمدرسة « مصطفى كامل » الابتدائية بمرتب ثمانية جنيهات فى الشهر حتى قبلها على الفور ، وظن ان الحظ بدأ يبتسم فى وجهه ، وان الأيام السوداء قد ذهبت بلا رجعة ، ولكنه ما كاد يمضى فى وظيفته الجديدة شهراً واحداً ، حتى استدعاه ناظر المدرسة ليخبره بالاستغناء عن خدماته لأنه غير كفء فى مهنة التدريس ، دون ان يعوضه عن الثلاثين يوماً التى عملها بكل أمانة ، بحجة انه كان يعمل تحت التجربة والاختبار ..

وخرج « أحمد صبرى » من عند الناظر ليواجه التشرد والضياع من جديد ، وليصطدم بمرحلة أخرى من مراحل التحدى أكثر شراسة وضراوة من الأولى ..

وبلغت أخبار نبوغه اسماء بعض الموسرين من هواة الفن من الطبقة البرجوازية . وبدأت لوحاته تدخل بيوتهم على استحياء بالقدر الذى يكفل له حياة متواضعة ، وادخار بضعة دريهمات تعينه



عازف العود ـ تصوير زيتى



بعد المطالعة .. اسم اللوحة الزيتية التى انجزها الفنان عام ١٩٢٦

على تحقيق حلم حياته ـ السـفر الى باريس ـ بعد أن تبخرت الوعود بتسفيره

واستطاع « احمد صبرى » بعد مجهود شاق ان يدخر بعض النقود ، ويهيىء نفسه مادياً ونفسياً للسفر الى باريس ..

وفى سنة ١٩١٩ ، وبعد ان وضعت الحرب أوزارها ، حمل حقائبه وما ادخره من مال وسافر الى باريس ليجد نفسه فجأة غارقاً فى أضوائها ،

لقد جاء الى باريس لكى يواصل دراسته الفنية ، ولكى يقيم فى هذا الاطار الذى يفوح عبق الفن من كل ركن من أركانه وكان عليه لكى يحقق هذا ان يلتحق باحد المعاهد أو المراسم المنتشرة فى باريس ،

وفعلا التحق باكاديمية « شوميير » ثم باكاديمية « جوليان » وهناك تشرب بروح الجدية والاصرار على طلب الكمال ، وانغمس بكل طاقته فى الدراسة الاكاديمية لاكتساب مزيد من اللباقة والسيطرة على فرشاته ..

وظل «صبرى» ينفق من القليل الذى ادخره ، ومن القليل الذى كان يتكسبه من فنه ، ولكنه لم يعد قادراً على مواصلة الانفاق بعد أن نفدت نقوده ونضبت موارده ، فاضطر الى العودة الى مصر بعد ثلاث سنوات قضاها فى كفاح مرير مع الحياة والفن ومحاولة الحصول على اكبر قدر من المعرفة فى البلد الذى تعلق به قلبه وعقله .

وفى مصر واجهت «صبرى» نفس الصعاب التى كانت تواجهه قبل سفره ، وهى كيف يستطيع أن يتكسب من فنه دون أن يهبط به الى مستوى السوقة ؟؟ وهو الذى يضع الفن فى مرتبة عظيمة ...

وعلى الرغم من انه عاد من باريس أكثر خبرة ونضجاً ، إلا أن الكفاءة وحدها فى مناخ كهذا ليست السبيل الى الشهرة والتالق والنجاح .

ومع ذلك كان لابد للعمل الجيد أن يجد من يؤيده ولو بعد حين ، فقد تعرف عليه المقاول الفرنسى «بول فيس» . وكان من اكثر الناس ولعاً وتحمساً للفن والفنانين ، وخاصة الناشئين منهم ، وكان يقتنى الكثير من أعمالهم ويدعوهم الى منزله ويعرفهم باصدقائه ...

وأعجب المقاول الفرنسى الثرى بفن «أحمد صبرى» وأدرك مأساته ، فعرض عليه غرفة فوق سطح العمارة التى يمتلكها بحي القصر العينى ليتخذها مسكناً ومرسماً .. وفى هذه الغرفة زاره الكاتب الكبير «عباس محمود العقاد» وكان من بين الذين رسم صورتهم فى هذا المرسم المطل على النيل ..

ولما كان الاعتماد على ما يتكسبه الفنان من عمله الفنى أمراً غير ممكن فى ذلك الزمان ، لذلك اضطر «أحمد صبرى» الى البحث من جديد عن وظيفة تعينه على الحياة ، فالتحق بوظيفة رسام بقسم الحشرات بوزارة الزراعة ، وهى وظيفة تتطلب ممن يشغلها قدرات تخصصية لا تتوفر فى كل فنان أو رسام ..

لقد كانت هذه الوظيفة رغم شدة احتياجه اليها خانقة لملكاته ، قاتلة لجميع احلامه ومواهبه ، ومع ذلك قبلها على مضض .. ولم تمض عليه فترة طويلة فى هذه الوظيفة حتى نقل الى وظيفة أخرى لا تقل عنها غرابة ، وهى وظيفة رسام بوزارة الأشغال العمومية ، ليواجه نفس المشكلة ..

وانفتح باب الأمل من جديد فى وجه الشاب الطموح ، فاوفدته وزارة الأشغال فى بعثة دراسية الى باريس لتكملة دراسته الفنية . وفى هذه المرة احس «أحمد صبرى» لأول مرة بانه يقف على أرض صلبة ، وانه يتكىء على دعامة راسخة ، فهو موفد فى بعثة حكومية على نفقة الدولة وهو لن يشعر فى رحلته القادمة بمهانة الحاجة ، ولن يقع تحت ضغوط الخوف والحرمان والقلق التى كانت تطحنه فى رحلته السابقة ...

وفى هذه المرة لجا الى توسيع خبراته بالافادة من فنانين واساتذة لهم سمعتهم الفنية العالمية ، فتتلمذ على يد المصور «بول البير لوران» ثم على يد المصور المعروف «إيمانويل فوجيرا» اللذين ظلت بصماتهما غائرة فى أعماله فى جميع مراحل ابداعه فيما بعد . ويبدو هذا التاثر واضحاً فى لوحة «الراهبة» التى عرضها فى «الجران باليه» بباريس سنة ١٩٢٩ وحصل بها على جائزة الشرف من جمعية الفنون الفرنسية ، وهو شرف كبير قلما يحصل عليه فنان أجنبى فى عاصمة الفن .

العودة الى الوطن

وعاد «أحمد صبرى» الى مصر سنة ١٩٢٩ ممتلئاً حماساً ، ومشحوناً برغبة صادقة فى العطاء ... وكانت مدرسة الفنون الجميلة العليا التابعة لوزارة المعارف العمومية قد فتحت أبوابها لأول مرة بعد تصفية مدرسة درب الجماميز الأهلية ، فتم تعيينه مدرساً بها ، وكان المدير والأساتذة جميعهم من الأجانب ، ثم أسند اليه رئاسة قسم التصوير الحر الذى انشىء لأول مرة لرعاية الموهوبين من غير حملة المؤهلات الدراسية .. ثم أصبح فيما بعد رئيساً لقسم التصوير النظامى . وظل كذلك يعطى تلاميذه بكل أمانة واخلاص ، ويخرج جيلا بعد جيل ، الى أن أحيل الى التقاعد سنة ١٩٤٩ ، ثم يمتد عمله بعد ذلك سنتين

أحمد صبري

فنان متمرّد

من عصر البَشْمَك والطربوش

آخرين ، وتنتهى علاقته بالتدريس سنة ١٩٥١ .

فقد بدأ يتسلل إلى عالمه المنىء بالالوان .. شيئاً مد يده الخبيثة ليسلبه أغلى وأعز ما يملك الفنان لقد بدأت غشاوة معتمة تنسدل على عينيه ، وتنسج غلالة ضبابية بينه وبين العالم الخارجى ... وبدأت فرشاته تتحسس طريقها الى اللوحة فى تردد غير واثق ....

وعاش آخر أيامه يصارع الظلام الذى كان يزداد كثافة مع الأيام .. وعبثاً كان يحاول إزاحة الاستار السوداء التى أسدلها الظلام على عينيه بلا رحمة .. كانت عيناه تحاولان اختراق الضباب لتغترف من مناهل الضوء واللون كما كانت تفعل دائماً .. ولكنها كانت تصطدم بالحواجز السوداء فترتد لتبلل جفنيها بالدموع . تذرفها فى صمت ، وكان يمسك فرشاته فى عناد واصرار لينثر الالوان التى أدمنها مرحة متفائلة ، يراوده أمل فى انه سوف يقهر هذا المرض الخبيث ويغمر الدنيا بالالوان ، ويفيض النور على لوحاته من جديد ، ولكن النور كان يترنح تحت أطراف فرشاته وهى تتعثر بين اللمسات التى لا تجد طريقها فوق وجوه الحسناوات وأكمام الزهور ...

وبدأت الأشكال التى تميزت بصلابتها وتماسكها تهتز وتتخلخل . ويتبخر ذلك الوضوح الشجي الذى كان ينضح من الأجسام .

وكان الظلام أقوى من الأمل .

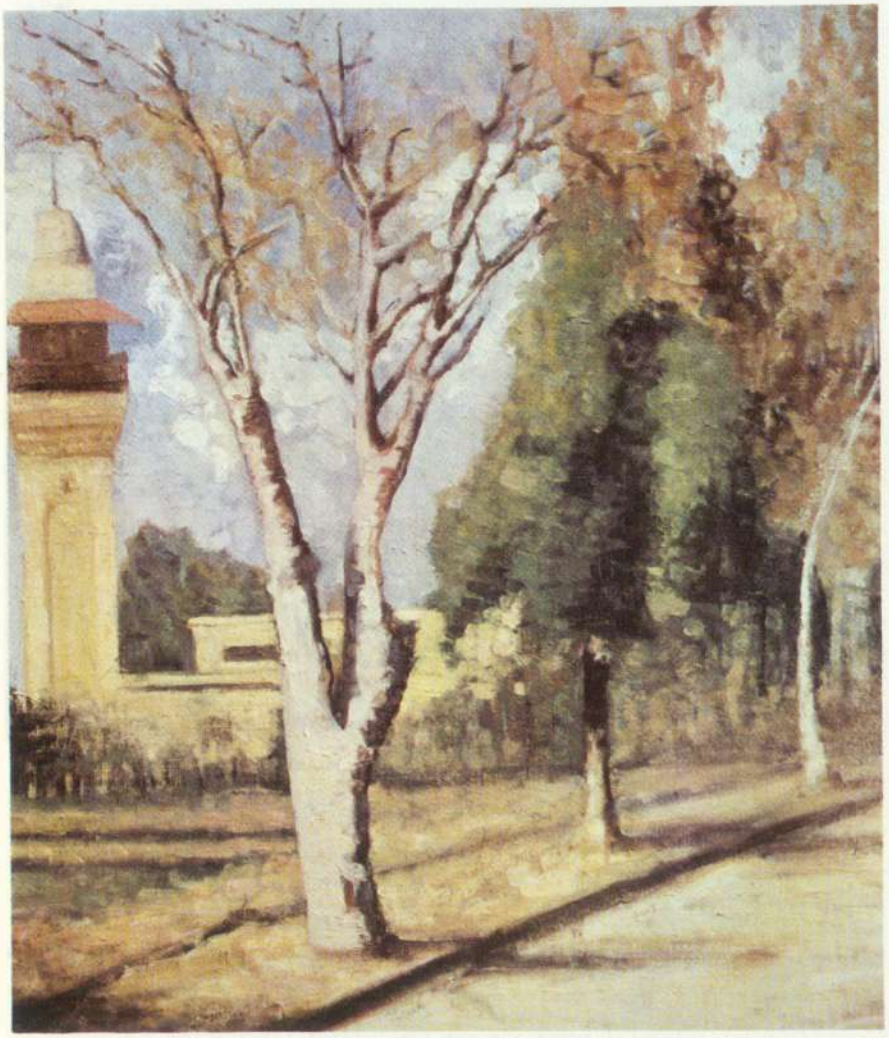
وانهارت الريشة التى كانت ترتشف الضياء ، وتلتهم الوان الطيف ليحتويها ليل دائم وظلام مصمت رعيب .

لقد عجز الطب عن اعادة النور الى عيني الفنان الرائد ، حتى وافته المنية عام ١٩٥٥ .

كان «صبرى» أستاذاً لعدة أجيال تتلمذوا على يديه وعلى تلامذته من بعده .. كان رائداً للصورة الشخصية ، أخذ من التأثيرية صفاء ألوانها ، ومن الكلاسيكية جمالياتها ، ومن الواقعية صدقها . ومن الفن المصرى القديم شموخه ، واذا جاز لنا أن نسمي فنه بفن «الصالونات» فلانه يعكس سمات الأناقة التى تتجلى بصفة خاصة فى صور المرأة التى كان يبرز انوثتها فى غير ابتذال أو اسفاف ..

وكان حنينه الشديد الى الجو المنزلى الذى حرم منه منذ طفولته هو الذى زاد من التصاقه بمرسمه الذى كان مشدوداً اليه ، ولا يحس بوجوده إلا بين جدرانه ..

وكان عصامياً فى تثقيف نفسه ، كثير التردد على ندوات رجال الفكر والأدب . وكان صديقاً شخصياً للعقاد وتوفيق الحكيم وطه حسين والمازنى والشاعر عبد الرحمن صدقى .. كما انه كان ركناً هاماً فى الجلسات الأسبوعية التى كان يقيمها العقاد فى بيته ، والتى أدمنها الكثير من حواريه وأصدقائه ، فالفوا بينهم ما أسموه «جماعة الحديقة» وكان «صبرى» يداعبهم برسمهم على هيئة حيوانات وطيور يرى تشابها بينهم وبينها . فكان يصور العقاد على هيئة زرافة ، وعبد الرحمن صدقى على هيئة طائر البطريق ، وحامد سعيد مثل طائر البشاروش ، أما هو فقد اختار لنفسه صورة القرد .. وهكذا كانت روح المرح والدعابة تلازم جديته الصارمة واحترامه الشديد لنفسه وتجعل منه انساناً سوياً يعطي الجد والهزل حقهما دون افراط أو تفريط ..



من وحى الطبيعة .. إنها لوحة اشبه بسيمفونية زاخرة بمختلف الاشكال والالوان

الصورة الشخصية فى حياته

لا يستطيع أحد أن ينكر أن مصر هى أسبق الحضارات الى تسجيل الصورة الشخصية

لم يكن «صبرى» إذن خارجاً على التقاليد المصرية عندما استهوته الصورة الشخصية واستحوذت على معظم اهتمامه وانتاجه .. فقد كان مغرماً بتصوير الأشخاص والغوص فى أعماقهم ، والبحث عن شخصياتهم فى متاهات الانفعالات المتغيرة

ولقد كان «صبرى» انساناً اجتماعياً بطبيعته ، يحب الناس رغم شدة تحفظه ، يحب معاشرة من يانس اليهم وترتاح لهم نفسه . اذا أخلص أعطى نفسه كاملة ، واذا كره كره حتى الموت .. لذلك كان اهتمامه بالصورة الشخصية نابعاً من داخله ، وتعويضاً للفراغ الذى كان يحيط به منذ طفولته ، وانعكاساً لاجتماعيته.



إحدى الصور الشخصية التى اراد بها ان يبرز متاهات الانفعالات المتغيرة فى الشخصية

ولعل انجح الصور الشخصية التى أبدعها فى حياته هى صور أصدقائه الحميمين من الجنسين ، لأن ارتباطه الشديد بهم يتيح له معرفة أكثر من الداخل فيكون بالتالى تمثيله لهم أصدق ..

ولاشك أن أروع ما انتجه صبرى فى هذا المجال هو صور زوجتيه الفرنسية والمصرية اللتين استطاع أن يبرز شخصيتيهما من خلال دراساته المتعددة ، ولقد أتاح له التصاقه بهما الغوص فى داخل الداخل ، واستخراج الغير مرئى من المرئى ، ومزجه بلمساته البارعة وألوانه المرهفة ..

وللفنان «احمد صبرى» وقفات طويلة أمام الموديل ، تدعوه حاسة لمسية غاية فى الرهافة الى الاتقان بريشته اللماحة ، وكأنما تجمعت حواسه جميعاً فى أطراف ريشته حتى يكاد يرى ويسمع ويشم ويذوق بها ملامس الأشياء ،

ولقد كان صبرى مولعاً باقتناء الاشياء الجميلة ، ويعرف اين وكيف يضعها فى داره بنفس الاهتمام والعناية التى يضع بها لمساته وبصماته فوق لوحاته .. لقد اراد ان ينقل المناخ الفرنسى الى المنازل التى سكنها فى ميدان الازهار والحسينية وغمرة ..

كانت هذه الأشياء تبعث دفئاً حميماً فى البيت الذى كان شديد الحنين اليه والارتباط به . كان البيت حلم حياته ، ولعل هذا الشوق الجارف للبيت احد رواسب اليتم والتشرد والحرمان من الحنان الأبوى الذى عاناه فى طفولته . ولذلك كان منزله عشاً جميلا ترتاح اليه النفس وتسكن ..

كانت خزائن كتبه محملة بالاوانى الخزفية والمعدنية والتحف الصغيرة ،

وكان تجميع هذه الأشياء فى لوحة واحدة فى نظره يؤلف قصيداً سمفونياً تعزفه مختلف النوعيات والملامس والاشكال والالوان .. كل قطعة فى التكوين آلة موسيقية يوكل اليها جزءاً من اللحن الشامل تعزفه فى توافق وانسجام مع بقية الاجزاء .. وكان يقف امام فرقته الصغيرة كالقائد الحاذق يستحث هذا وينحى ذاك ويثير هذه ويهدىء من تلك فيهزك اللحن فى مجموعه طرباً وشجى ..

ولقد كان الملمس عند « صبرى » يفوق كل اعتبار وكثيراً ما كان ينبه تلامذته الى هذه القيمة التصويرية الكبيرة . فكان عندما يلمس بريشته آنية نحاسية فكأنما يريد ان يسمعنا رنينها ، وعندما تمر فوق بتلات زهرة فكأنما يدعوها الى بث عطرها ونضارتها ، وعندما تنزلق فوق آنية خزفية فانه يلح على أبراز نعومة سطحها وصلابته وبرودته .. وهكذا كان حاله مع المفارش الحريرية أو قطع المعادن والفواكه المختلفة ..

ولطالما دعانا « صبرى » الى ولائم لوحاته التى تزخر بانواع الثمار والفاكهة . ولكن لا جدال ان أشهر هذه الثمار جميعاً كانت ثمرة « البطاطا » التى لها عنده ذكريات عميقة البصمات ، فقد رافقته أيام الحرمان عندما لم يكن يجد ما يسكن به صراخ أمعائه ،

الذين يعرفون « صبرى » عن كثب يعلمون كيف كان يتعصب لفنه ، وكيف كان يرفعه الى مرتبة عظيمة .. وكيف كان ينظر الى الكمال كشىء بعيد المنال ، حتى انه كثيراً ما يصف أعمال كبار الاساتذة بانها ضرب من ضروب الاعجاز الخارق . لا يقدر عليه الا العباقرة

ولذلك كانت عملية الابداع بالنسبة اليه مشكلة بالغة الصعوبة ، ورحلة معاناة يحسب لها الف حساب ، ومعركة تتطلب الاستعداد لها فكرياً ونفسياً قبل الخوض فى غمارها ..

وكثيراً ما كان يقوم برسم المسودات الصغيرة قبل البدء فى تنفيذ لوحاته

وعلى الرغم من انه كان يصور داخل المراسم المغلقة ، الا انه كان يتعمد اغراق لوحاته بالضوء النقى الساطع . الذى يصافح نماذجه ويظهرها فى أبهى حالات تألقها .. وكان يتعمد عدم الاستسلام للظلال القاتمة « الكياروسكورو » فيلجأ الى تطهير مسطحاته من المطبات الظلية المفاجئة التى تخلخل صلابتها ، أو تعطل انسيابها ، واحاطة نماذجه بخلفيات فاتحة أقرب الى البياض ، على عكس ما هو مألوف فى خلفيات التصوير الأوروبى . ولاشك ان هذا الوضوح هو المعادل للمناخ المصرى الذى يغمره الضوء فى جميع فصول السنة ، كما انه أيضاً مرادف لصفة الصراحة الشديدة التى كان يتسم بها « صبرى » الانسان ، والتى كانت تؤخذ عليه فى تعامله مع الناس وتجعله كثير الاصطدام مع الآخرين .

حسين بيكار

مسرحية
"هالشكل يا زعفران"
بين الحكاية الشعبية والرمز

بقلم: الدكتور محمد عبد الرحيم كافود



عندما اخبر زعفران (على سلطان) الرجل العجوز (جبر الفياض) بانه ذاهب إلى المدينة



زوجة زعفران (وداد عبد اللطيف) وهى تحلم بازياء المدينة !

لاشك أن فن المسرح يعد فنا جديداً بالنسبة للأدب العربى بصفة عامة . وهو أكثر حداثة وجدة فى الأدب الخليجى . واذا نحن توقفنا عند التجربة المسرحية فى قطر فاننا نجد أن هذا الفن لا يتجاوز عمره عشر سنوات بالطبع ، واضعين فى اعتبارنا هنا المحاولات الأولى لخلق حركة مسرحية التى لاشك كانت فى بدايتها محاولات ارتجالية .

وقد أشرت الى نشأة هذه الحركة فى كتابة سابقة (١) . ولا أريد هنا أن أتطرق الى هذه البدايات . ولكن من خلال تتبعى لبعض المسرحيات التى عرضت وتعرض هذه الأيام أستطيع القول ان المسرح القطرى لا زال يحبو ببطء وهنا لا أريد به من حيث الكم فى المسرحيات التى تعرض ، وانما من حيث النوع . وأريد أن أكون أكثر دقة فى التعبير فأقول ان النص المسرحى المكتوب بالذات لم يتبلور بصورة واضحة نعنى به النص المسرحى الذى يتسم بعمق المعالجة لقضايا الواقع مع توافر العناصر الفنية،فالنصوص المسرحية التى نشاهدها فى الغالب اما أن تكون (مقطرة) ومقتبسة عن مسرحيات وقصص عربية ، أو مأخوذة عن قصص ومسرحيات عالمية ..

ويحاول المقتبس أن يسقط عليها من قضايا المجتمع حسب ما لديه من قدرة ونفاذ بصيرة ووعي بهذه القضايا الى جانب ما لديه من حس فني .. والحقيقة أن هذا الاقتباس أو التقطير قد حاوله العديد من الكتاب وقدمت بعض المسرحيات ولكنها كانت ساذجة الى حد ما فى تناول القضايا أو لنقل فى اسقاطاتها على بعض القضايا .. وفى أحيان كثيرة يبدو الاقحام والتكلف واضحاً . الى جانب سطحية وابتذال بعض المشاكل ، بسبب كثرة التركيز عليها والاسلوب التقريرى فى معالجتها .

واذا انتقلنا الى النص المسرحى المؤلف فاننا نجد فى الحقيقة أن هذه النصوص ايضا تتناول المشاكل الاجتماعية بشكل تسجيلى ، أو بتعبير آخر تنقل بعض هذه المشاكل نقلا (فوتوغرافيا) . وقد انحصرت معظم هذه المسرحيات أو المشاكل التى تناولها الكتاب فى مشاكل الزواج ، وغلاء المهور والجوانب السلبية فى بعض الموظفين والادارات ، وبعض مظاهر الانحراف لدى الشباب ، ونحو ذلك من المشاكل الظاهرة على السطح ، والتى لا تتطلب من الكاتب سوى التقاطهـــا وتسجيلها ثم عرضها بأسلوب تقريرى غالبا ما يقوم على السخرية ..

وكل ما ذكرته حول النص المسرحى يعطينا شبه تصور لواقع التجربة المسرحية فى قطر وهو انه حتى الآن لازالت التجربة المسرحية فى طور النشأة وبداية الطريق . كذلك لا يوجد هناك الكاتب المسرحى الذى لديه رؤية أو اتجاها يشكل موقفا معينا ينتهجه الكاتب فيحاول من خلاله معالجة ما يطرحه من قضايا ، مهما تفاوت حجمها أو أهميتها .

والسبب فى ذلك يعود بطبيعة الحال الى حداثة نشأة المسرح القطرى بالاضافة الى أن معظم الذين كتبوا أو يكتبون للمسرح لا يتجاوز فى الغالب ما كتبوه النص أو النصين ، وهذا لا يعطى رؤية واضحة يمكن أن نستشفها لدى الكاتب ، بالاضافة الى قلة الخبرة لدى هؤلاء فى هذا المجال .

وكتابة النص المسرحى فى الحقيقة تكاد تكون الى حد ما أصعب من غيرها بالنسبة للفنون الأخرى . ولذلك نحس بذلك النقص أو الأزمة فى النص المسرحى على مستوى العالم العربى بأسره . اذا قسناه بالنسبة للقصة بأنواعها وغيرها من الفنون الأدبية

هذا انطباع عام عن الحركة المسرحية فى قطر واقف هنا عند مسرحية (ها الشكل يا زعفران) وهى مسرحية من تأليف عبد الرحمن المناعى . وهذا الكاتب نستطيع أن أقول بأنه يكاد يكون الكاتب الوحيد فى المسرح القطرى الذى تتسم أعماله المسرحية بشىء من العمق فى المعالجة ، وتتضح لديه رؤية معينة أو موقف واضح فى معظم مسرحياته . ومن المعروف أن له عدة مسرحيات منها : (أم الزين) (باقى الوصية) ، **(هو بيل يا المال)** (المغنى والأميرة) ، (ياليل ياليـــل) ، (الحذاء الذهبى) ثم مسرحية (ها الشكل يا زعفران) . ولنا وقفة مع هذه المسرحية التى عرضت مؤخراً على مسرح الدوحة .

أصل الحكاية

ومسرحية (ها الشكل يا زعفـــران) مسرحية تستمد مادتها من حكاية شعبية قديمة . وقبل أن أدخل فى تفاصيل المسرحية وتحليلها لابد من عرضها بايجاز

تحكى المسرحية : قصة مزارع يدعى (زعفران) يتسم بالبساطة والسذاجة يعيش فى قرية صغيرة كانت له مزرعة اشتهرت بانتاج الشمام وجودته ، وكان يغدق على أهل هذه القرية من شمامه عن رضا وطيب خاطر .. وبعد أن سمعت زوجته من جيرانها عن مظاهر الحياة فى المدينة ألحت على زوجها أن يذهب الى المدينة لبيع شمامه هناك ، ولكى يحضر لها بعض طلباتها . ويخضع الزوج (زعفران) لطلبها ويضع الشمام على ظهر بغلة ، وبينما هو يسير فى الطريق يعترض طريقه رجل عجوز ويدور حوار بينه وبين زعفران ثم يساله هل شبع أهل بلادك من الشمام لكى تبيعه ؟ ثم يحذره من المدينـــــة وأخلاقياتها .. ويواصل زعفران سيره وتعترضه مجموعة من ثلاثة أشخاص يرتدون ملابس صفراء، وبعد حوار مع زعفران يستولون على كمية من شمامه دون أن يدفعوا الثمن . وعندما يستفسر يردون عليه (ها الشكل) . ثم يلتقى بمجموعة ثانية ، وثالثة وكل مجموعة ترتدى لونا معينا من الثياب وتستولى على كمية من شمامه ..

ثم قبل أن يصل الى أبواب المدينـــة يلتقى بامرأة تقدم الماء الى البغل وتمنعه عن صاحبه (زعفران) حتى يرتوى البغل وبعدها تسمح له بالشرب . ويدور بينها وبينه حوار يوحى بتذمرها من الحياة والأحياء وحبها للعزلة والابتعاد عن المجتمع .. ثم يدخل (زعفران) المدينة . ويسأل عن السوق ولكن لا أحد يدله عليه لأن البعض لا يعرف ، والبعض الآخر فى عجلة من أمره لا يرد عليه .. ويقرر فى النهاية أن يجلس للبيع على أحد الأرصفة ويأتى اليه ثلاثة أشخاص ويستولون على كمية من شمامه بحجة أرضية ، ثم تأتى مجموعة أخرى وتستولى على كمية من المتبقى معه بحجة أنه تسبب فى ازعاج الناس .. ويأتى أخيراً اثنان فيأخذان كل ما تبقى معه بحجة مخالفة ارتكبها .. !

ويضطر فى نهاية الأمر الى بيع البغل لكى يشرب بثمنه ماء .. ويتبقى معه دينار من ثمن البغل فيكتب به شكوى تظلم الى صاحب الشرطة . ولكن يرفض طلبه بسبب عدم قدرته على دفع ثمن الطابع .. ثم يلجأ



كان لابد أن يدفع زعفران خمس (شمامات) حتى يستطيع الوصول إلى المدينة ، وتكررت تلك الواقعة فى المسرحية !

بعدها (زعفران) الى المبيت فى احدى المقابر . وتدور فى ذهنه عند الصباح فكرة ، فحواها أن يأخذ ضريبة على كل جنازة يؤتى بها لدفنها ، ويستطيع عن هذا الطريق أن يجمع مبلغاً من المال ، ولكن ينكشف أمره عندما تموت ابنة السلطان ويحاول أن يأخذ عليها ضريبة .. فيصل أمره الى السلطان ويكتشف (زعفران) هناك فى قصر السلطان أن الحاشية المحيطة بالسلطان هم الذين استولوا على شمامه . ويحكى قصته للسلطان وينكشف أمر هذه الحاشية التى تعيش على النفاق والانتهازية والابتزاز . وتضليل السلطان . ليعلن بعدها بداية الاصلاح والتغيير .

الرؤية النقدية

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هـــذه المسرحية لى ملاحظة على ما قدم به المؤلف هذه المسرحية من أنها مسرحية كوميدية ، ففى الحقيقة وكما رأيت من خلال العرض بأنها مسرحية جادة ولا مكان للفكاهة فيها .. وهذا لا يعيب المسرحية بل هى فى الحقيقة يجب أن تكون كذلك لأن مضمونها كما سوف نرى ذو طابع مأســـاوى الى حد ما ..

حاول المؤلف أن يحافظ ـ ظاهرياً ـ على الاطار العام لهذه الحكاية الشعبية من حيث سير الأحداث ومكانها ، والشخصيات وأسلوب تصرفاتها فى الحياة . ولكنه مع ذلك استطاع أن يوظف الحكاية الشعبية توظيفاً فنياً فيعبر بها عن قضايا تقع فى كل زمان ومكان وكما هو معروف أن الكتاب والشعراء عنـــدما يلجأون الى التاريخ

مسرحية

"هالشكل يا زعفران"

بين الحكاية الشعبية والرمز

يستقون منه مادتهم من وقائع تاريخية ، أو اسطورية وخرافية ونحوها فانهم انما يتخذون منها وسيلة لمعالجة قضايا تشغلهم أو تهمهم عن طريق الرمز أو الاسقاط وبهدف العبرة ، وغير ذلك مما يرمى اليه الكاتب أو المؤلف . وبمعنى آخر فالأحداث والوقائع فى الأعمال الفنية هى رمز للتعبير عن معاناة الفنان تجاه بعض القضايا التى تشغله .

وكما اتضح لنا من خلال عرض المسرحية أن الحدث أو الأحداث فى المسرحية بسيطة من حيث مدلولها الأولى خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار زمن وقوعها . ومهما كان الحدث بارزاً وواضحاً فى هذه المسرحية فهى بالدرجة الأولى مسرحية فكرية رمزية ..

شخصية (زعفران) بطل المسرحية صورها المؤلف كما ظهرت على المسرح ـ أراد أو لم يرد ـ بأنها شخصية تتسم بالطيبة الى حد السذاجة ، وفى نفس الوقت هى رمز للرجل المثابر المنتج أو المواطن الصالح فى مجتمعه . وهذه الشخصية على الرغم من حجم الدور الذى أسنده اليها المؤلف ، وخاصة بعد انتقال (زعفران) الى المدينة الا أن الصورة أو الاطار الذى رسمه لهذه الشخصية منذ البداية لا يتناسب مع الدور الذى أراده المؤلف لها . ومن هنا فان الصراع جاء فاتراً طوال المسرحية لأن هذه الشخصية لم تتطور وانما ظلت ثابتة على سذاجتها . وطبيعى أن شخصية بهذا النوع من البساطة لا تستطيع أن تفجر قضايا يتولد عنها صراع ينمو ويتطور .

ومن هنا فقد لاحظنا أن الصراع ظل رتيباً طوال المواقف فى المسرحية مع أن هناك بعض المواقف التى كان يمكن أن يشتد فيها الصراع . كالحوار الذى دار بينه وبين صاحب الشرطة وبينه وبين السلطان ... الخ .

وعلى أية حال فانى أرى أن المؤلف لم يوفق الى حد ما فى رسم شخصية (زعفران) لتأدية دورها المنوط بها خاصة اذا تجاوزنا هذا الدور وقلنا بأن هذه الشخصية (زعفران) ، هنا معادل موضوعى ،أو رمز للشعب الذى يمثل الطيبة والعطاء والقناعة ، وفى نفس الوقت يكون ضحية للانتهازيين والوصوليين .. أنا لا أشك فى أن المؤلف قد أراد ذلك ، وموضوع الشمام ليس الا معادلا موضوعياً أو رمزاً لأية ثروة كانت تتعرض للسلب والنهب ، والابتزاز بمختلف الأساليب .

ثم ما الذى يهدف اليه المؤلف من تعدد الألوان فى الثياب التى يرتديها أولئك الأشخاص الذين يعترضون طريق (زعفران) ويستولون على شمامه ؟ هل يهدف الى تصوير الأساليب المختلفة للابتزاز ؟ أم أنه يرمز فى ذلك الى اختلاف هذه الأجناس ؟ فى الحقيقة أرجح الأول ولا أنفى الثانى لأنه أمر وارد أيضاً .

ونتوقف عند نقطة أخيرة لها مدلولها العميق فى هذه المسرحية ونعنى بها لجوء (زعفران) الى المقبرة فبالرغم من أنه ظاهرياً قد وجد ـ فى هذا المكان بطريق الصدفة (راكد فى مقبرة وانا ما أدرى لا اله الا الله مقبرة .. أظن كل ليلة باركد اهنيه لين الله يفرجها ..) الا أنه فى الحقيقة أن لهذا الموضع مغزاه ومدلوله . ان اللجوء الى المقبرة ـ فى الغالب ـ يوحى بالياس والقنوط والهروب من مواجهة الواقع ، ويشكل الانهزامية أمام قوى الاستبداد والقهر والتسلط . ولكننا فى هذا الموضع نجد أن المؤلف قد اتخذ من هذا الموضع بالذات نقطة للانطلاق والتحدى والمواجهة فمن بين قبور الموتى يبدأ الكفاح ، ومن هناك كانت بداية التغيير التى كشفت الزيف والنفاق والابتزاز وكل السبل الملتوية التى تتمثل فى الأنانية والوصولية .. ومن هناك بدأت الحياة الحقيقية التى يجب أن يحياها الانسان . حياة تسودها العدالة والحرية وتخلو من النفاق والابتزاز والأنانية ..

ويذكرنا هذا الموقف بموقف الشاعر بدر شاكر السياب فى قصيدته المشهورة (حفار القبور) فحفار القبور عند السياب متعطش الى الموتى يتمنى أن تتوالى عليه الجنائز ، يتشوق الى الحروب والدمار لأنها وسيلة لاشباع رغباته وهى المزيد من الموتى ففيها حياته وعليها يعيش .

يارب مادام الفناء .

هو غاية الأحياء ، فامر يهلكوا هذا المساء !

سأموت من ظما وجوع .

إن لم يمت ـ هذا المساء إلى غد بعض الأنام .

فابعث به قبل الظلام !

يارب أسبوع طويل مر كالعام الطويل .

والقبر خاو ، يفغر الفم فى انتظار .. فى انتظار .

مازلت أحفره ويطمره الغبار (٢) .

ولكن روح النقمة تحاه المجتمع شديدة وعنيفة عند السياب أو عند بطله (حفار القبور) . فهو ييأس من التغيير أو من الاصلاح ويعود الى مقبرته مرة أخرى من حانة اللهو والخمور التى يرمز بها للمجتمع ويظل يحلم بالعودة :

« ويظل حفار القبور

يناى عن القبر الجديد

متعثر الخطوات .. يحلم باللقاء(٣) .

أما بطل مسرحية المناعى فانه ينتصر على الواقع الزائف من بين جثث الموتى .

ومن هناك يبدأ التغيير والاصلاح الذى ينشده ويهدف اليه المؤلف .. وهذه فى الحقيقة نقطة تحول عند المناعى ، حيث نجد فى معظم مسرحياته أن جانب الخير هو الذى يهزم فى نهاية المطاف : ويضيع صوت الحق . كما فى مسرحية (أم الزين) و (هوبيل يا المال) . وغيرهما .. بخلاف هذه المسرحية .

ومن أهم السمات البارزة فى هذه المسرحية بالاضافة الى ما سبق هو أن المؤلف استطاع أن يتخلص من كل صور المبالغات والتهريج الذى يلجا اليه البعض بهدف الترويج لأعماله وانتزاع الضحك من المشاهد مهما كان رخيصاً ..

كما استطاع المؤلف أن يتجاوز تلك الموضوعات المستهلكة التى حصر بعض الكتاب أنفسهم فيها مثل غلاء المهور ، ومشاكل الأسرة ، وسلوك الشباب ،... الخ التى عولجت وتعالج بأسلوب سطحى وساذج فى أغلب هذه المسرحيات ...

كما أن للمناعى رؤية معينة تتمثل فى موقفه من بعض القيم التى تسود المجتمع ، وما جلبته المدنية والحضارة من نزعة مادية طغت على كل القيم والأخلاقيات التى كانت سائدة فى الماضى ، وهذه الرؤية تتكرر فى معظم مسرحياته المشار اليها سابقاً .. ونلمسها أيضاً فى هذه المسرحية فى عدة صور ومواقف منها : ذلك الحوار الذى دار بين (زعفران) وبين الرجل العجوز الذى لقيه فى بداية الطريق . ويسأله عن المكان الذى يعيش فيه وهل يعيش فى هذه الغابة فيجيبه،العجوز : (انتوا اللي عايشين فى الغابة أنا أعيش فى الطبيعة ...) . ثم يبرز هذا الموقف فى تحذير العجوز لزعفران من المدينة (تحمل من المدينة يا زعفران) .

ولسنا بحاجة لتاكيد هذه القضية فهى واضحة ايضاً عندما يضطر (زعفران) لبيع بغله لكي يشرب بثمنه ماء ... ! فكل هذه المواقف يريد المؤلف من خلالها أن يدين الحياة المادية أو مجتمع المدينة بكل ما يحمله من سلبيات ، ومن سيطرة الروح المادية على حياة الناس ....

ملاحظات فنية

ويمكننا أن نوجز ملاحظاتنا فى هذه المسرحية بعد هذا العرض والتحليل فنقول إن المؤلف وفق الى حـــد ما فى توظيف هذه الحكاية الشعبية واستطاع ان يبث فيها الحياة والحركة وان يقترب فيها من الحياة .

والأحداث التى صورها المؤلف قد عبرت عن القضية التى يريد أن يفجرها أو يطرحها بطريق الايحاء والرمز ...

ولكن المؤلف لم يوفق الى حد ما فى رسم الشخصيات . حيث أن معظم الشخصيات فى المسرحية كانت محدودة الحركة لم تستطع أن تسهم فى اضافة ابعاد جديدة الى نتائج الأحداث الظاهرة . وهذا بدوره ادى كما ذكرت سابقاً الى عدم تصاعد حدة الصراع فى المسرحية . مما كان له تاثيره ايضاً على مستوى الحوار الذى جاء باسلوب بسيط وعادي ، لم يرتفع الى درجة التازم والتصادم .. وربما يعود ذلك الى أن المؤلف فى بنائه الفنى للمسرحية لم يحاول أن يطور من هذا البناء وإنما التزم إلى درجة كبيرة باطار الحياة الشعبية ليس فى اطار تصوير الأحداث فحسب وانما التزم ذلك أيضاً فى رسم الشخصيات واسلوب تعاملها مع الواقع وقد اوضحنا ذلك اثناء الحديث عن شخصية (زعفران) .

ويبقى بعد ذلك أن نقول : ان هذه المسرحية تعد لبنة جديدة تضاف الى بناء المسرح القطرى الذى كم هو بحاجة الى المزيد والمزيد من مثل هذه الجهود ليستطيع مواكبة الحياة ورصدها والعمل على تطويرها ....

د.محمد عبد الرحيم كافود

هوامش

١ ـ الادب القطرى الحديث : الفصل الخامس بالمسرح .
٢ ـ ديوان السياب ص ٥٤٦
٣ ـ الديوان ص ٥٤٦

"مائة عام من العزلة أو يزيد"

حمدي الكحلوت



جابرييل جارسيا ماركيز

قبل عام او عامين فقط بدأت المجلات العربية والصفحات الأدبية فى الصحف تتنبه إلى ظاهرة عالمية فى الأدب اسمهـــا (جابرييل جارسيا ماركيز) . وبدا القاريء العربي يتلقى فى دهشة اخبار هذا الكاتب العظيم الذي خرج من ادغال شمال كولمبيا بامريكا الجنوبية ليهز العالم على مدى العشرين سنة الماضية برواياته وقصصه التي سجلت اعلى ارقام للتوزيع من نوعها حتى الآن في جميع انحاء العالم .

ولم يكن فوز هذا الكاتب الكبير بجائزة نوبل للآداب مفاجاة لاحد فى سبتمبر من العام الماضي ١٩٨٢ بعد ان اصبح مقروءاً في ارجاء المعمورة وخاصة من خلال روايته الاكثر انتشاراً وشهرة «مئة عام من العزلة» او كما يصر البعض على تسميتها الحقيقية «مئة عام من الوحدة» التى طبعت واعيد طبعها عدة مرات ليصل توزيعها الى ارقام مذهلة بالملايين ، وترجمت الى اكثر من ثلاثين لغة ، وقال عنها الشاعر العظيم بابلو نيرودا انها اهم رواية فى النتاج المكتوب باللغة الأسبانية منذ «دون كيشوت» (أو دون كيخوته) لسير فانتس .

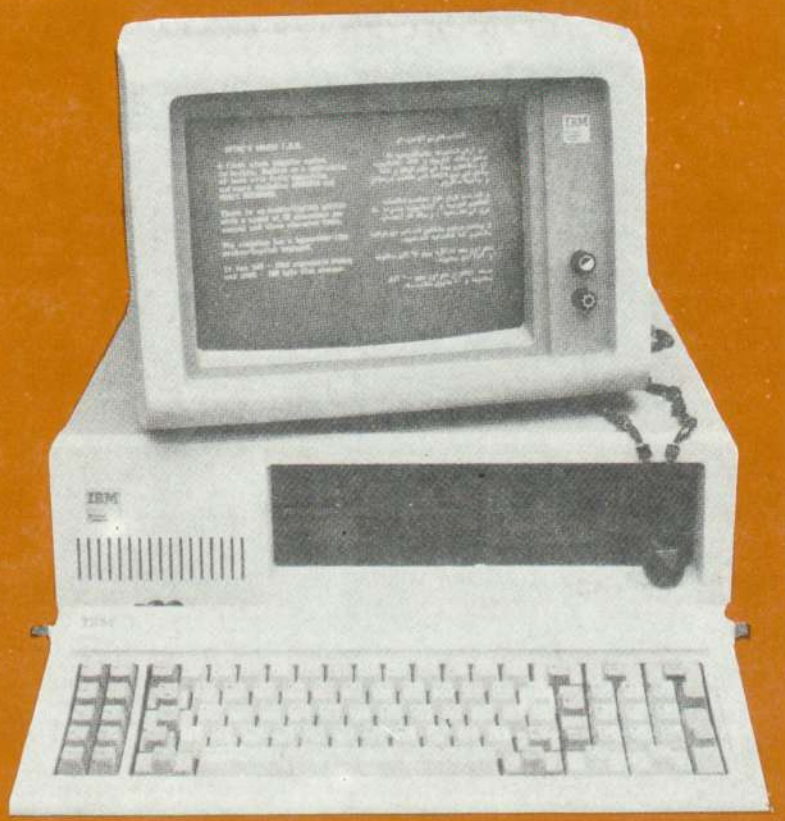
وليس مجال هذه العجالة الحديث عن بقية اعمال «ماركيز» او تسليط الضوء على خصائصه المميزة فى الكتابة ، بل ان السؤال الذى يبدو ملحاً هنا هو لماذا ظلت مثل هذه الظاهرة الأدبية العالمية محجوبة عن القراء العرب لأكثر من ربع قرن دون اى ذكر او اهتمام لما تطرحه من قضايا وهموم ليست بعيدة عن عالمنا العربى فكلنا فى الهم عالم ثالث ، بل ان بعض ابطال واجواء قصص «ماركيز» عربية الملامح والأصول كما هو الحال فى رواية «حولية موت معلن» التى هى أقرب الروايات الى نفس كاتبها فان بطلها شاب لبنانى عربى الأصل .. وكذا بالنسبة لتاثره بجو الأساطير ومزجها بالواقع .

والأغرب من ذلك انه فى حين أن ادب «ماركيز» اصبح معروفاً او مسموعاً عنه فى وطننا العربى ولو بعد حين، فى الوقت الذى مازال الثلاثة السابقين له من ادباء امريكا اللاتينية فى الفوز بجائزة نوبل شبه مجهولين من حيث ترجمة ونشر انتاجهم.ونفس القول ينطبق على الكثيرين من ادباء القارة الأفريقية والآسيوية .

فالى متى هذه العزلة الأدبية ، وهل ستمتد الى مئة عام او يزيد ؟!

ليلى الحريري

الكمبيوتر يتكلم العربية



أول دراسة علمية للغة العربية بواسطة الحاسب الإلكتروني

كان اختراع الكومبيوتر خلال الحرب العالمية الثانية ، يهدف الى سد ثغرة ظهرت بوضوح فى الفترات التى سبقته وهى قصور البحث العلمى الذى يتطلب بدوره عمليات حسابية طويلة ومعقدة . فلا عجب إذن أن يعكس هذا الاختراع تأثيره السريع بشكل انتعاش حقيقى فى هذا المجال . ثم امتد نطاق استخدامات الكومبيوتر الى عدة مجالات أخرى مثل الصناعة والتجارة والطب والهندسة والتعليم وغيرها من المجالات الحيوية التى شملت فيما ضمت دراسات علمية للغات الحية ، إذ من المعروف علمياً أن كل لغة لها قوانين رياضية تحكم تكوينها وتميزها عن باقى اللغات الأخرى . لذلك عكفت كل دولة متقدمة خلال الأربعين سنة الماضية على دراسة لغتها بشكل علمى ، مستعينة فى ذلك بالحاسب الالكترونى الذى يعتمد على الانسان كمبرمج له .

ولأن اللغة العربية لغة شديدة الحيوية رغم تقادم السنوات عليها ، فقد ظلت محتفظة بقواعدها وأصولها ـ وإن تراجعت الى الوراء بعض ألفاظها حيث لم تعد تعبر عن متطلبات العصر ـ بينما انحسرت لغات أخرى سادت فى عصور مختلفة مثل اليونانية التى أصبحت لغة التخاطب والمكاتبة بين أهلها فقط !

ولأن اللغة العربية تمتاز بشخصيتها المميزة الشامخة فهى لغة القرآن ، فقد منحها أسلافنا القدماء منذ زمن بعيد جهداً كبيراً لمعرفة أسرارها والكشف عن مكنوناتها وفحص قوانينها . وسجل هذا الجهد منذ أكثر من عشرة قرون فى عدة مراجع لغوية منها «تهذيب اللغة» للأزهرى (توفى ٣٧٠ هـ) ـ «المحكم» لأبى الحسن الأندلسى (توفى ٤٥٨ هـ) ـ «الصحاح» لأبى نصر الدين اسماعيل بن حماد الجوهرى (توفى ٣٩٣ هـ) ـ «أمالى» للشيخ أبى محمد ابن عبد الله بن برى (توفى ٥٨٢ هـ) ـ «النهاية فى غريب الحديث والأثر» لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى (توفى عام ٦٠٦ هـ) «ولسان العرب» لابن منظور (توفى عام ٧١١ هـ) .. الخ .

ليس بمستغرب إذن أن أصبح من آمال علماء اللغة واهتماماتهم فى عصرنا الحديث ـ وقد توفرت لهم الوسائل التكنولوجية الحديثة البحث عن كنوزها واتباع المنهاج العلمى فى تصنيف حروفها وتحليل جذورها واحصائها فى جداول ميسرة للدارسين والباحثين مع الاستعانة بالكومبيوتر باعتباره جهازاً حاسباً ذا ذاكرة كبيرة تتسع لآلاف الاعداد والرموز ويسجل النتائج بسرعة مذهلة .

ولمعت الفكرة فى ذاكرة اثنين من أعضاء المجمع اللغوى هما المرحوم الدكتور كامل حسين أول رئيس لجامعة عين شمس ، والمرحوم الدكتور ابراهيم أنيس عميد كلية دار العلوم الأسبق ، وتحمل مهمة تنفيذها الدكتور علي حلمي موسى أستاذ مادة الفيزياء النظرية الحالى بكلية العلوم جامعة عين شمس . شجعه على ذلك ما تتميز به لغتنا عن باقى اللغات الأخرى بأن الغالبية العظمى من جذورها ثلاثى الأصل وان كان بعض اللغويين يرجعونها الى اصل ثنائى . على أية حال ، فأيا كان أصلها فمن الثابت أن معظم جذورها تحتوى على ثلاثة أحرف مما يجعل دراستها سهلة ونتائجها مشجعة .



د . علي حلمى موسى .. دراسة علمية للغة العربية على الكمبيوتر

يقول الدكتور علي حلمي موسى ان الدراسة العلمية للغة العربية التى قام بها مستعيناً بالحاسب الالكترونى قد شملت عدة فروع : دراسات احصائية لجذور الكلمات وتحديدها ثم تكوينها من حيث عدد الحروف ودور كل حرف منها فى هذه الجذور .

كما شملت دراسة عن تردد كل حرف وقوته وفق عدد مرات مساهمته فى الجذور المختلفة .. ثم احصاء تتابع الحروف فيها .

ولأن البحوث فى أى من الفروع العلمية وغير العلمية يعتمد أساساً على وضع الفرضيات والمعطيات التى ينطلق منها البحث لتحديد الهدف منه ، لذا كان من الضرورى أن أبدأ بتحديد مواد اللغة العربية تحديداً كاملا . أى احصاء جميع أصول كلمات اللغة المدونة فى بعض المعاجم لاكتشاف العلاقة التى تربط بين الحروف بعضها ببعض ، ومعرفة مقاييس اللغة فى كمها الصوتى ، وكيفها الحركى . وكان أن توجهت الى معجم «الصحاح» ، ومعجم «لسان العرب» ، ومعجم «تاج العروس» حيث أن كلا منها يعتبر مدونة قائمة بذاتها تلتقى فيها مفردات اللغة ومعانيها . ثم وضعت بيانات هذه المعاجم فى ذاكرة الحاسب من خلال البرامج اللازمه وذلك لاستقبال بيانات دقيقة وشاملة لجذور اللغة عملت منها جداول احصائية كاملة لحروف هذه الجذور أمكن من خلالها تحديد أىّ الحروف العربية يشترك فى نسج الكلمة أكثر من غيره وموقع ورود الحرف فى بناء الجذور

دراسة مقارنة للصحاح ولسان العرب

بالنسبة لاحصاء الجذور ، أظهرت النتائج أن اسماعيل بن حماد الجوهرى قد أورد فى معجمه «الصحاح» ٥٦٣٩ جذراً (أصول الكلمات) منها ٤٨١٤ جذراً ثلاثياً بنسبة ٨٥,٣٧٪ وهذا يؤكد أن اللغة العربية تعتبر ذات أصل ثلاثى فى معظمها ـ عدد الجذور الرباعية ٧٦٦ جذراً أى بنسبة ١٣,٥٨٤٪ من المجموع الكلى للجذور ويبلغ عدد الجذور الخماسية ٣٨ جذراً فقط !

وقد أوضحت النتائج الاحصائية أن معجم الصحاح لم يرد به أى جذر مكون من ستة أحرف أو أكثر وهذه مخالفة لما جاء فى معظم المعاجم الأخرى . ولعل الجوهرى كان فى شك من أن تلك الجذور ليست إلا كلمات مشتقة من جذور ثلاثية أو رباعية وردت فى معجمه . ونظراً لما عرف عنه من حرص على ضم الصحيح من الجذور فقد استبعد الجذور السداسية وما فوقها من هذا المعجم . أما الجذور الثنائية التى وردت فى « الصحاح » فعددها قليل جداً لا يتعدى ٣٧,٠٪ من المجموع الكلى للجذور

أما معجم لسان العرب الذى ألفه أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور منذ ما يقرب من سبعة قرون ـ وهو من أكبر وأشمل المعاجم التى وصلت الينا من التراث اللغوى ، فهو يحتوى على ٩٢٧٣ جذراً أساسياً ، منها ٦٥٣٨ جذراً ثلاثياً تمثل نسبة ٧٠,٥٪ من مجموع جذور المعجم ، و ٢٤٥٨ جذراً رباعياً تمثل نسبة ٢٧,٥٪ . كما يبلغ عدد الجذور الخماسية ١٨٧ جذراً ، أى بما يقارب ٢٪ من المجموع الكلى لجذور معجم لسان العرب .



أما الجذور الثنائية والسداسية أو ما فوقها فقد اغفلتها من الدراسة لأن عددها قليل جداً . فالأولى تقل عن العشرين والثانية ست عشرة كلمة فقط . إضافة الى أن الأخيرة فى اغلب جذورها من أصل غير عربى . وبالتالى فقد اقتصرت الدراسة الاحصائية لمعجم لسان العرب على الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية التى وردت فيه ، والتى تمثل أكثر من ٩٩,٦٪ من المجموع الكلى للجذور المدونة به .

من خلال دراسة مقارنة للبيانات الاحصائية السابقة التى اظهرها الحاسب الالكترونى للبيانات الواردة فى كل من المعجمين «الصحاح» و «لسان العرب» ، يتضح أن العدد الكلى للجذور التى وردت في المعجم الثانى تزيد كثيراً عنها فى المعجم الأول حيث تبلغ فى لسان العرب ٩٢٧٣ جذراً بينما المناظر لها فى «الصحاح» هو ٥٦١٨ أى بزيادة قدرها ٣٦٥٥ جذراً بنسبة ٦٥٪.والحال نفسه بالنسبة للجذور الثلاثية والرباعية والخماسية .

من هذا يتضح أن الغالبية العظمى من جذور الصحاح قد أوردها ابن منظور وزاد عليها كثيراً بينما هناك قلة ضئيلة من جذور «الصحاح» لم ترد فى معجم «لسان العرب» . هذه الجذور هى : نجد – دهج – زكل – سغغ – صخم – صوا – صوح – ضبل – فعع – قنر – ككب – كهه – ليه – مغغ – ميم – نهه – هرل – ورغ – ووه .

أما معجم تاج العروس فهو أكثرهم عدداً لجذور الكلمات ولكنه أقلهم دقة .

ملك الحروف العربية !

من البيانات الاحصائية السابقة – يكمل د. علي حلمي موسى – أمكن تكوين جداول إحصائية لحروف هذه الجذور رتب بعضها ترتيباً تنازلياً لكل حرف للوقوف على كثرة شيوعه وقوة تردده فى تكوين نسيج الكلمة من هذه الجداول اتضح أن حرف «الراء» هو ملك الحروف فى جذور العربية لانه أكثرها شيوعاً ، إذ تبلغ نسبة استخدامه فى الجذور الثلاثية ٦,١٥٪ . فاذا علمنا أن المتوسط الحسابى لتردد أى حرف فى اللغة العربية هو ٣,٥٧٪ (ناتج قسمة ١٠٠ على ٢٨ عدد حروف الابجدية) لظهر لنا قوة تردد حرف «الراء»فى اللغة . وبهذه المناسبة فان حرف (R) فى اللغات اللاتينية يحتل أيضاً مساحة أكبر من باقى الحروف . أما أضعف الحروف العربية وأقلها اشتراكاً فى نسيج الكلمة فهو حرف «الظاء» وقد يرجع ذلك الى سهولة نطق الأول وصعوبة نطق الثانى ، وعلى علماء اللغة تفسير هذه الظاهرة . على كل حال فقد اتفقت النتائج على أن أقوى ستة أحرف فى اللغة العربية سواء على مستوى الجذور الثلاثية أو الرباعية – وإن اختلف الترتيب – هى حروف الراء ، النون ، الميم ، اللام ، الباء والعين .

ولعل أهم الاحصائيات اللغوية التى ساهم الكومبيوتر فى استخراجها هى احصاء تتابع الحروف فى الجذور المختلفة – يستطرد د. موسى – لأن تركيب الكلمة العربية يعتمد فى تفسيره على نتائجها مثلما يعتمد علم الأصوات اللغوية فى تفسيره للنطق بالاشارة على تردد التتابعات المختلفة ، اعتماداً على أن الطبيعة تؤثر النطق الأسهل . وليس أدل على ذلك من نطق الأطفال للكلمات فى بدء تجاربهم مع الكلام .

وظهرت بيانات تتابع الحروف لكل نوع من أنواع الجذور على حدة فى جداول احصائية تبلغ اثنين وأربعين جدولا يحوى كل منها ٨١٢ عملية احصائية من تتابعات الحروف وتشمل ما يزيد على ٧٥٠ معلومة جديدة . ومن نتائج هذه الدراسة يتضح أن هناك مجموعة من الحروف عددها ٨٤ ثنائياً لا تتتابع ولم ترد فى جذور اللغة العربية على الاطلاق . مثلا حرف الثاء لا يرد بعد الحروف ذ – ز – س – ش – ص – ض – ظ ، وحرف الهاء لا يرد بعده حرف الحاء ، وحرف الكاف لا يرد بعده ط أو ق .

وبوجه عام فان مجموعة الأحرف التى تنطق من الشفة (ب – ف – م) ومجموعة الأحرف التى تنطق من الحلق (أ – ح – خ – ع – غ – هـ) . وكذلك المجموعة (ج – غ – ق – ك) والمجموعة (ذ – ز – س – ص) تمتاز بانها نادراً ما تتابع مع بعضها ، وإن كان الحرف يتتابع مع نفسه باستثناء حرف الهمزة . وتبدو هذه الظاهرة بوضوح إذا درسنا مخارج الحروف حيث نجد أن كل مجموعة من هذه المجموعات تشترك فى المخرج أو تقترب منه .

أما أقوى ثنائيات تتابع الحرفين الأولين هما «قر – قن» وأقوى ثنائيات الحرفين الثانى والثالث هو «بر» ، وأقوى تتابع للحرفين الثالث والرابع هو «رج – نب – ند» .

أما الجزء الأخير من الدراسة العلمية للغة العربية فهو عبارة عن وضع قاموس ثلاثى لجميع الجذور الثلاثية فى اللغة العربية – بدون معانيها – يضم ثمانية وعشرين جدولا يبدأ كل منها بحرف معين من حروف الأبجدية العربية ييسر للباحثين والدارسين سهولة الوقوف على أصول الكلمات .

فوائد اقتصادية لدراسة العربية !

والسؤال التقليدى والمنطقى فى نفس الوقت الذى يتبادر الى الأذهان : ما هى جدوى هذه الدراسة العلمية الاحصائية للغة العربية ؟

يؤكد الدكتور علي حلمي موسى أن هناك فوائد كثيرة من هذه الدراسة بعضها قائم على منطق البحث العلمى ، والآخر يقوم على الناحية التطبيقية التقنية وطرق تبسيطها ، أما الثالث فهو وثيق الصلة بالناحية اللغوية .

من منظور منطق البحث العلمى ، من الثابت أن التعرض لأى من الفروع العلمية أو الانسانية على حد سواء يعنى محاولة اكتشاف الجديد الذى لم يسبق التوصل اليه . وقد يكون هذا الاستكشاف نتيجة

مشاهدات خاصة لتجارب معملية أو نتيجة التنبؤ بظاهرة معينة يتم التحقق منها فيما بعد أيضاً من خلال التجارب المعملية . وما أجرى فى هذه الدراسات يعتبر نوعاً من هذه التجارب التى أجريت على العينات اللغوية المدونة فى المعاجم الثلاثة ، وكان المعمل هو الحاسب الالكترونى ، وكانت ثمرة التجربة هى الجداول الاحصائية اللغوية .

أما الجانب الآخر فهو يخص الناحية التقنية وطرق تبسيطها . فالحروف كما نعلم تستخدم كأدوات للغة . واللغة هى وسيلة نقل الحضارة والفكر . لا عجب إذن أن تزايدت أهمية الحروف فى عصرنا الحديث حيث تستخدم فى طباعة جميع المطبوعات كما تستخدم فى التراسلات السلكية واللاسلكية ، وأخيراً أصبحت تستخدم فى الحاسبات الالكترونية بعد أن عم استخدامها فى الدول العربية فى مجالات عدة على رأسها الأعمال التجارية سواء فى البنوك أو الشركات أو الهيئات التى تتعامل مع عدد كبير من المواطنين وبعدد كبير من الأرقام . فى هذا المجال يبرز أهمية الدور التقنى والاقتصادى الذى يمكن أن يقدمه الجزء الخاص بتردد الحروف من هذه الدراسة . فآلة الطباعة هى آلة مبرمجة تدخل اليها التعليمات الخاصة بالحرف المطلوب طباعته وحجمه ونوعه ومكانه من الكلمة . فيتحرك ذراع لاحضار الحرف المطلوب من مكانه ويعود به الى وضع الطباعة : وتعتمد سرعة الآلة فى هذه الحالة على حركة الذراع ، فاذا ما أعيد ترتيب الحروف بحيث يكون الحرف الأكثر استعمالا هو الأقرب الى وضع الذراع .. الخ .. أدى هذا الى توفير فى الوقت والجهد والتكلفة .

والحال ذاته بالنسبة للنظم التراسلية فهى تستخدم شفرة معينة مثل «شفرة موريس» مثلا التى تعتمد على نوعين من الرموز هما النقطة والشرطة ، ولكل حرف شفرة معينة . فأحد الحروف شفرته نقطة ، وآخر شفرته شرطة ، وثالث نقطة يليها شرطة وهكذا تتدرج الشفرة فى التعقيد حتى تصل الى أعقدها المكونة من خمسة رموز . وهذا يعنى أن زمن إرسال الحروف يختلف من حرف الى آخر وفق نوع الشفرة المستعملة . وعلى ذلك يمكن الاستفادة من دراسة قوة تردد الحرف فى إعادة توزيع الشفرات على الحروف بحيث يعطى حرف «الراء» مثلا باعتباره الأكثر شيوعاً – أبسط الشفرات ويعطى لأقل الحروف شيوعاً أعقد الشفرات .. الخ ، وهذا من شأنه أن يخفض من زمن التراسل الى أقل زمن ممكن . وفى هذا أيضاً تقليل من الجهد والتكلفة بشكل كبير .

ويمكن تطبيق المبدأين السابقين فى نظام عمل الحاسبات الالكترونية أيضاً – يكمل د. موسى – فيتم إعادة توزيع الحروف به توفيراً للوقت والجهد كما يتم تعديل شفرات الحروف فى ذاكرة الحاسب . وبذلك نصل الى التوزيع الأمثل للحروف داخل ذاكرته وفى آلة الطباعة المتصلة به .

وبهذه المناسبة كان لي شرف رئاسة الندوة التى عقدت بالقاهرة فى نهاية شهر مارس الماضى حول الدراسة العلمية للغة العربية باستخدام الحاسب الالكترونى – الكومبيوتر – وشارك فيها جميع المشتغلين بالدراسات العلمية للغة العربية فى الوطن العربى ، كما اشترك بها ممثلون لمجامع اللغة العربية ومكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية ومقره الرباط . كان الهدف من هذه الندوة هو وضع شفرة موحدة للغة العربية داخل الكومبيوتر بحيث يتكلم العربية .

وإذا ما انتقلنا الى نوع آخر من هذه الدراسة الاحصائية التى تخص تتابع الحروف فى الجذور العربية لوجدنا فيها مجالا خصباً حيث يحتوى كل جدول فيها (٤٢ جدولا) على ما يزيد عن ٧٥٠ معلومة بعضها يؤكد عدم تتابع حرفين معينين أو تتابعهما بشكل ضعيف أو كثير . وكل من هذه الحالات لها سبب قد يكون صوتياً يمكن دراسته وتقنينه بواسطة علماء اللغة إذ من المؤكد أن هذه الدراسة سوف تؤدى الى اكتشاف بعض الظواهر الصوتية فى نطق الحروف وتأكيد ظواهر أخرى معروفة من قبل فى كتب القدماء أو فى كتب علماء اللغة المحدثين . كما يمكن من خلال ملء الفراغات الموجودة فى جداول تتابع الجذور أن نحقق استخداماً أوسع للغة العربية .

تعارضت النتائج مع أحكام القدماء

● ما موقف هذه الدراسات العلمية الحديثة للغة العربية من الدراسات التى أجراها القدماء من فقهاء اللغة ؟ هل تعارضت فى بعض نتائجها مع الأحكام اللغوية التى وردت فى معاجمهم ومخطوطاتهم ؟ أم أضافت الجديد الى هذه الأحكام ؟! .

– يقول الدكتور علي حلمي موسى: إن بعض نتائج دراساته قد تعارضت فعلا مع الدراسة التى قدمها ابن منظور فى مقدمة موسوعته اللغوية معجم لسان العرب – باعتبارها الدراسة الوحيدة الموجودة فى المعاجم الثلاثة التى أجرى عليها البحث . فقد أشار ابن منظور فى هذه المقدمة الى خصائص الحروف من حيث كثرة شيوعها . وقسمها الى ثلاثة أقسام . قسم به الحروف كثيرة التردد وعددها سبعة هى: (أ – ل – م – هـ – و – ى – ن) والقسم الثانى يمثل الحروف متوسطة التردد وهى أحد عشر حرفاً: (ر – ع – ف – ت – ب – ك – د – س – ق – ح – ج) . أما القسم الثالث فيضم عشرة أحرف قليلة التردد هى: (ظ – غ – ط – ز – ث – خ – ض – ش – ص – ذ) . وهذا التقسيم يخالف النتائج التى أظهرها الكومبيوتر ، والتى تؤكد على سبيل المثال أن حرف «الراء» هو أقوى الحروف العربية فى حين ورد فى الفئة الثانية من تقسيم ابن منظور ، كما وأن حرفا الهمزة والياء يظهران فى الفئة الثالثة فى نتائج الكومبيوتر بينما وردا فى الفئة الأولى من تقسيم صاحب المعجم .. المهم أن هناك اثنى عشر حرفاً من حروف اللغة العربية والبالغ عددها ثمانية وعشرون حرفاً ، قد ظهرت فى غير موضعها من حيث كثرة شيوع الحرف ، هذه الحروف هى (ر – ب – ع – ق – هـ – س – ط – و – خ – أ – ت – ى) . وبالتالى صححت نتائج الدراسات أحكام ابن منظور فى هذا الصدد .

ثم عاد ابن منظور فى مقدمة موسوعته فأشار الى أن الحروف (د – ب – م – ن – ل – ف) لا تخلو منها كلمة ثلاثية أو أكثر .. وأكد أنه اذا لم يكن بالكلمة حرف أو حرفان من تلك الحروف فهى ليست كلمة عربية



الأصل . وفى هذا أيضاً ما يخالف نتائج الكومبيوتر التى أظهرت أن أقوى ستة أحرف فى اللغة العربية سواء فى الجذور الثلاثية أو الرباعية هى (ر – ن – م – ل – ب – ع) .

كما سجل ابن منظور دراسة طريفة لألقاب الحروف وطبائعها وخواصها فيها طرافة لأنها تنتمي الى قواعد السحر والطلسمات كما كان بعض القدماء يزعمون .

المهم أن ابن منظور في هذه الدراسة يوكد أن الحروف العربية تساوي عدد منازل القمر نصفها « مهملة » بغير نقط ، ونصفها الآخر « معجمة » بنقط . الأولى تمثل منازل السعود (جمع سعد) والأخرى تمثل منازل النحوس (جمع نحس) . وكلما زاد عدد النقط زاد النحس ، وهذا لا يتفق مع كون عدد الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفاً .

وكسرت نتائج الدراسة العلمية أيضاً أحكام بعض اللغويين الذين يرجعون اللغة العربية الى أصل ثنائي حيث ظهر أن الجذور الثلاثية تمثل نسبة ٨٥ر٣٧ ٪ من معجم الصحاح وبنسبة ٥ر٧٠٪ من المجموع الكلي لجذور معجم لسان العرب . وفى هذا تاكيد بأن اللغة العربية ثلاثية الأصل .

أما الأحكام الجديدة التي أضافتها هذه الدراسة فكلها تتعلق بقواعد تتابع الحروف لأن معظم حالات التتابع التي وردت في النتائج الاحصائية لم ترد في أحكام القدماء ولم يتوصل اليها أحد من قبل وبالتالي فهي أحكام جديدة .

القلب المكانى في الكلمة العربية

● ما هو موقف مجامع اللغة العربية من هذه الدراسة ؟ .. وهل تستطيع من خلالها أن تضع تفسيراً لبعض الظواهر اللغوية مثل القلب المكاني لأحرف الكلمة ؟

– الواقع أن هذه الدراسة يمكن الاستعانة بها في تفسير كثير من الظواهر اللغوية .. فالجداول الاحصائية لتتابع الحروف بشكل خاص يمكن استخدامها كثيراً فيما يسمى بالقيمة التعبيرية أو البيانية للحروف في الالفاظ العربية التي اكتشفها ابن جنى قبل عشرة قرون وجدد وجدد العلايلى الدعوة لها فى كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب » من خلال هذه الجداول يمكن التعرف على الفراغات الموجودة في الجذور والتي تعني أن العرب لم يستخدموها من قبل . مثال ذلك اذا ورد الثنائي (نب) في أول الجذر الثلاثي فهو يعطي معنى الخروج أو الاخراج (نبا – نبت – نبح – نبذ – نبس – نبش – نبض نبع – نبك – نبه .. الخ) ولكن هناك نبث – نبج نبد – نبص – نبط – نبل .. كلها جذور لم تستعمل في اللغة من قبل . مثال آخر .. إذا ورد الثنائي (قط) في أول الجذر الثلاثي ، فهو عادة يعني معنى القطع . (قطط – قطف –قطع – قطل – قطب .. الخ) ولكن هناك فراغات كثيرة في هذه الثنائية لم تستخدم بعد مثل قطح – قطد – قطس – قطا – قطث .. مثل هذه الجذور يمكن إطلاقها على أحد المسميات التكنولوجية الحديثة التي تعني معنى القطع بطريقة معينة .

اذن هذه الجداول تعرض الفراغات الموجودة في اللغة ويمكن مع الاستعانة بكتاب العلايلي توليف كلمات تحمل معان جديدة لم تستعمل من قبل . وفي هذا الصدد أشار أحد اللغويين السوريين – هو المهندس خير الدين حقي – الى امكانية الاستعانة بالكمبيوتر لمزج الحروف الملائمة وتركيب كلمة جديدة أقرب ما تكون الى المعنى المطلوب . فاذا ما تم ذلك نستطيع أن نصل الى مجموعة من المفردات العربية العلمية ونكون قد فتحنا الطريق لمزيد منها يمكن الاستعانة به في المستقبل . وفي تصوري أن هذه فكرة رائدة يمكن لأية هيئة علمية لغوية القيام بها مع وضع كافة الامكانات المالية والبشرية تحت تصرفها لتنفيذها .

وقد استخدم مجمع اللغة العربية هذه الجداول الاحصائية في تبرير بعض الظواهر اللغوية مثل القلب المكاني لأحرف الكلمة عند نطقها والتي اشرنا اليها في سؤالك . مثل (جذب – جبذ) – (يئس – أيس) – (لأك – ألك) – (اضمحل – امضحل) – (اكفهر – اكرهف) – عجوز شهبرة – شهربة) ..

يرجع المرحوم الدكتور ابراهيم أنيس عضو المجمع اللغوي الأسبق في تبريره لهذه الظاهرة بعد دراستها مستعيناً بهذه الجداول الاحصائية الى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في كلمات اللغات . وربما يكون ذلك أوضح في اللغات السامية ومنها العربية لأنها تعتمد في كلماتها على الجذور الأصلية وحلول سلسلة صوتية محل أخرى – وهذا هو القلب المكاني – سره الحقيقي أن السلسلة الجديدة الطارئة اكثر شيوعاً ودوراناً في الكلام . فاذا أخذنا مثلا الفعل « يئس » مع مقلوبه « أيس » نجد أن التفسير العلمي لهذا القلب من خلال الاحصائيات السابقة – هو أن الجذر الثلاثي الذي يبدأ بالياء وبعدها الهمزة أقل شيوعاً من الذي يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، كذلك نجد الجذر الثلاثي الذي يثني بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعاً من الجذر الذي يثني بالياء وبعدها السين . وأخيراً نجد أن الكلمة الثلاثية التي تبدأ بالياء وتنتهي بالسين أقل استعمالا من تلك التي تبدأ بالهمزة وتنتهي بالسين . وبهذا نستنتج أن المقلوب أيس أكثر شيوعاً من الجذر يئس ولهذا انتشر استعمال الجذر الأول .

وبعد ..

فالذي لاشك فيه أن اهتمام اللغويين بنتائج هذه الدراسات العلمية سوف تظهر له نتائج كثيرة في تفسير العديد من الظواهر اللغوية والتي مازالت في انتظار التفسير اللغوي المناسب .. فهناك كثير من الملاحظات في كتب فقهاء اللغة وعلمائها أمثال « الجواليقي » في كتابه « المعرب من الكلام الأعجمي » والشهاب الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » . وكلنا أمل أن تدفع هذه النتائج والاستنباطات الاحصائية بالنتائج العلمية الموضوعية الى ما يفيد التطور اللغوي اثراء له وحفاظاً عليه .

ليلى الحريري

دعـــــــــــوة

شعر: العـــوضي الوكيل

لا تُحْصِ فى دَرْبِكَ الأشْوَاكَ والحَجَرَا ... اذا مَشَيْتَ وأحص الزَّهْـرَ والثَّمَرَا
وانظُرْ الى المُزْنِ فى علْيَائِهَا طَمَعـاً ... فى غَيْثِهَا . لا تُرَجِّ الآسِـنَ الكَـدِرَا
واجعل هُدَاكَ نجوماً لا عِدَادَ لَهَـا ... فى قبـة اللـه ـ يَفْتِنُّ الذى نَظَمَـا
وابعث لها الحـبَّ أشْـوَاقاً مُجَنَّحَةً ... وبالهوى لا تَخُصَّ الشمْسَ والقَمَـرَا

• •

قالوا الربيع مضى فى الأرض مَوْسِمُهُ ... فقلت فى مهْجَتِى نِيسَانُ ما غَبَـرَا
أشدو مع البلبُلِ الصـدَّاح رَوْعتَـهُ ... فإن مضى قمتُ وحدِى أضربُ الوتَرَا
ما ضَرَّنى أننى وحـدى أسـاجِلُهُ ... وأجْتَلِيـهِ رياضـاً نضْرَةً وذُرَا
إن الربيـعَ لَمَعْنَـى فـى ضمائِرِنـا ... وقـد نـراه وقـد نَعْيَـا بـه بَصَرَا

• •

لا تَشْـهَد الصبْحَ إلا أن تُعِـدَّ لـه ... قلبـاً إلى وجهـه مستبشِراً نَضِرَا
وما الدجى غير معنىً فى خواطِرِنا ... قـد يُظلِمُ الصبحُ ان لاقيته عَسِرَا
وقد تنيـر المسَـاءَ الجَهْمَ أمنِيَـة ... حتـى تـراه بغيـر البَـدْرِ مُبْتَـدِرَا

• •

قالوا الجراحُ فقلت الحب يبرئهـا ... لا يبرىء الجرحَ مِثْلُ الحبِّ إن طَهُرَا
ينسابُ من مقلَتِى دمـعٌ فأمسَـحُهُ ... كأنه من فِجَـاجِ القلـب ما انْهَمَرَا
وأسـتعيذُ بربـى إذ يسـاوِرُنى ... طيـفٌ من الشكِّ فيمَنْ خَانَ أو غَدَرَا

• •

كوبـى وكوبُـك صَفْوٌ لا قـذى بِهِمَا ... وما نريد شرابـاً آسِـناً عَكِـرَا
دينـى ودينُـك أن اللـهَ خالقُنـا ... بقدرةٍ أعْجَـزَتْ فى كُنْهِهَـا القُـدَرَا
إن سُمْتَنِى خُطَّـةً فى القَوْلِ جَائِـرَةً ... مَضَيْتُ منك الى الأيـام مُعْتَـذِرَا
وما قُعُـودىَ عن عِلْـمٍ ومعرِفَـةٍ ... والقومُ قد وطئـوا المرِّيخ والقَمَـرَا

• •

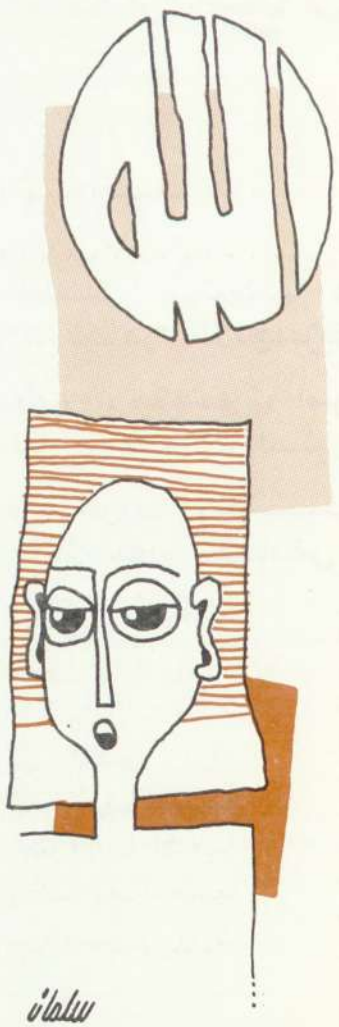
فِيـمَ الجِـدَالُ على دُنْيَـا نُبَدِّدُهَـا ... لغواً ونَغْفُـلُ عَمَّـا رَقَّ أوْ سَـحَرَا
أيـام عمـرك أضيـافٌ وليس لَهَـا ... إلا الهوى العذبُ والحبُّ الطهورُ قِرَى

• •

يَلَذُّنِـى أن أرُودَ التـلَّ مرْتَقِيـاً ... إلى الذُّرَى وأرُودَ القَاعَ مُنْحَـدِرَا
هما سـبيلان فاغْنَمْ من سلوكِهِمَـا ... أنُسـاً لقلبـك يبقى فيه مُدَّخَـرَا
إنْ يَرْحَـلِ المرءُ لم يغنـمْ بسَـفْرَتِهِ ... إذا ابتغى عن مَغَانـى نفْسـه سَفَرَا
سافِرْ وأنت مقيـمٌ فى جوانِحِهَـا ... وإن غَدَوْتَ عن الأبْصَـارِ مُسْتَتِرَا

• •

ولستُ أطلبُ إلا أنْ تكـونَ كَمَـا ... أرادَكَ اللـهُ فى أكوانِـهِ : بَشَرَا



سلمان

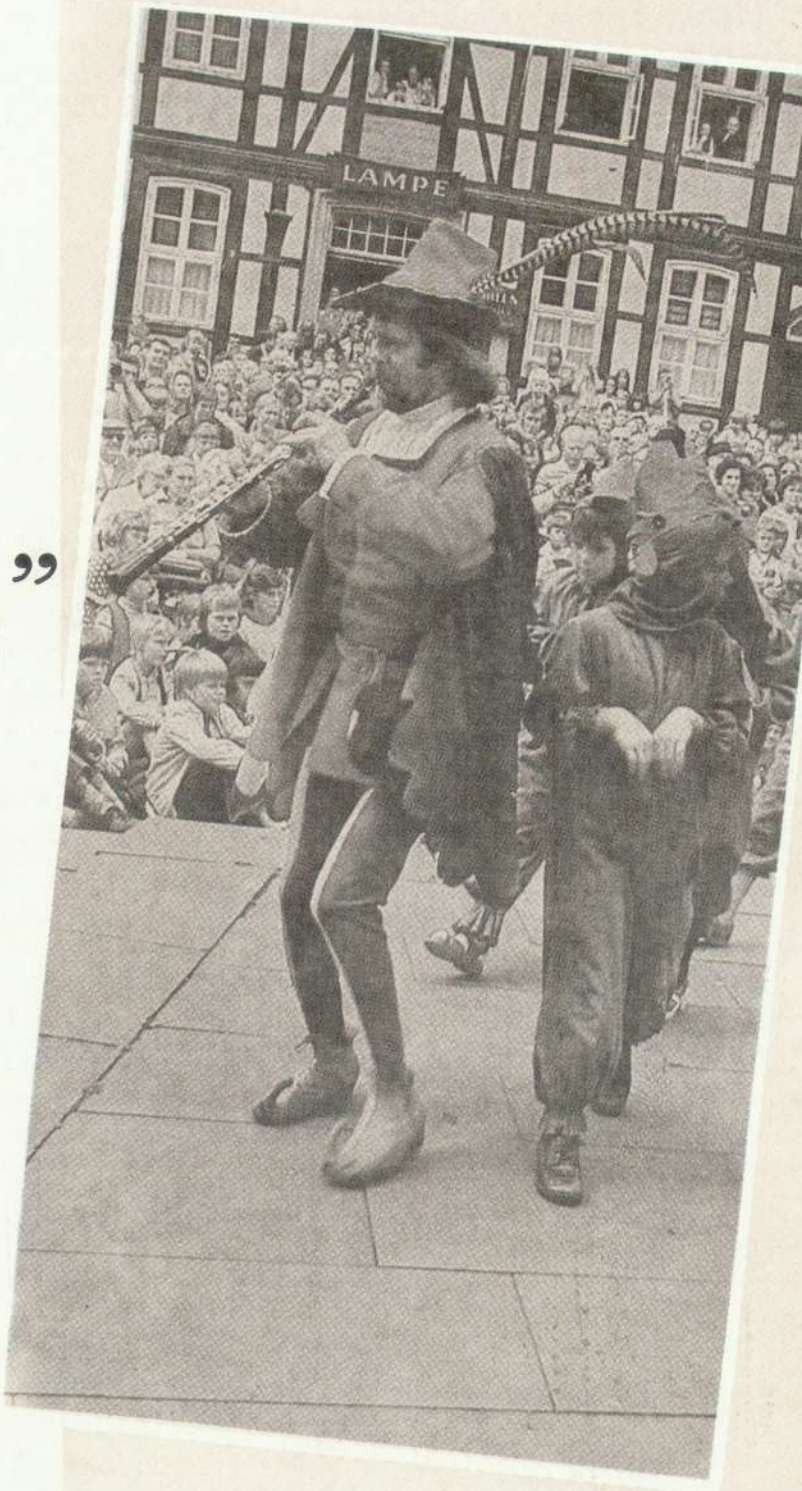
قراءة جديدة ومثيرة لقصّة قديمة وشهيرة !

"زمّار هاملين"

بين الحقيقة والخيال

بقلم : عادل شريف

- أشهر قصة أطفال .. ترجمها عن الألمانية ، أشهر شعراء الانجليزية !
- العلماء المحدثون .. يكتشفون أسرار أختفاء أطفال هاملين .. منذ مئات السنين !
- الطاعون .. أم .. حروب الأطفال الصليبية .. وراء الأختفاء الغامض !؟



هكذا يصعد « زمار هاملين » على المسرح المكشوف فى يوم أحد فى الصيف فقط !

تثير الأحداث الغامضة شهية غريزة من أهم غرائز الانسان .. وهي « الفضول » ! ولم تثر قصة من قصص أدب الأطفال .. فضول الناس في كل كوكب الأرض .. كما أثارتها قصة « زمار هاملين » . وتعتبر هذه القصة القصيرة المثيرة .. من روائع أساطير الأدب الشعبي الألماني .. وأوسعها خيالا . وقد أثارت أحداثها الغامضة جدلا طويلا .. وخاصة بعد ترجمتها إلى لغات كثيرة .. وبعد أن صاغها شعراً أعظم شعراء انجلترا فى العصر الفيكتوري روبرت براونينج (١٨١٢ ـ ١٨٨٩) المرح والمتفائل .. والانفتاحي المزاج ! .

تصاعدت شهرة وشعبية القصة بعد أن صاغها روبرت شعراً .. بسبب شاعرية ودرامية الأحداث التى أدت إلى زواج روبرت ذاته من الشاعرة الشهيرة إليزابيث باريت .. بعد قصة غرام ملتهبة كانت حديث الدنيا كلها .. انتصر فيها الحب على تزمت الأب القاسي الذي رفض زواج إليزابيث المريضة .. من حبيبها الشاعر .. مما أدى إلى فرار الاثنين إلى روما في ١٨٤٦ .. والحياة فى إيطاليا لمدة خمسة عشر عاماً .. وهي الحياة المرحة الجميلة .. التى أدت إلى شفاء إليزابيث .. وجعلت الناس تطلق على الاثنين (روميو وجولييت القرن التاسع عشر) ! وتحدث الناس وقتها كثيراً عن (الحب صانع المعجزات) ! وكان الكثيرون من أنصار فرار العاشقين إلى فلورنسا يرسلون بهداياهم إلى فيلا (كازا جيدي) التي شهدت مولد أعظم انتاج الشاعرين .. وأشهر أدباء العالم ، وهم يزورون بيت روبرت واليزابيث .. حتى بدون سابق معرفة أو موعد ! .

ومن الغريب أن الشاعرة الرقيقة التي كتبت من وحي حبها لزوجها أروع انتاجها ، وهو « أغنيات برتغالية » فى ١٨٥٠ ـ إلى حد أن زوجها كان يسميها بالبرتغالية الصغيرة لسمار بشرتها ! ـ كتبت أيضاً «شعراً سياسياً» تطلب فيه تحرير الناس في ايطاليا وغيرها من بلاد العالم .. التى تحكمها دول أجنبية !

وانبثاقاً من شهرة الزوجين الشاعرين .. كانت شهرة إنتاجهما .. وخاصة قصيدة (زمار هاملين) .. وهي «ماساة مرحة» إن جاز التعبير ! ويدور مغزاها الخلقي حول ضرورة الوفاء بالوعود وصيانة العهود ! .

ومن عوامل شهرة (زمار هاملين) أيضاً .. محاولة الناس في كل مكان وزمان معرفة سر اختفاء أطفال بلدة هاملين .. وهي موجودة فى المانيـــا على ضـــفاف نهر الفيزر .. من زمان حتى الآن ! ـ باستثناء طفل واحد .. فقط !!

وبعد ستمائة عام من الجدل حول ذلك السر الغريب المثير .. ظهرت نظرية جديدة أكد فيها العلماء والمؤرخون المعاصرون بعد بحث منهجي وميداني مضن ومجهد .. أن الفيران والطاعون .. كانوا وراء ذلك السر الدفين !!

وقبل أن نسرد النظرية الجديدة المثيرة .. تعالوا نتعرف على القصة القديمة القصيرة الشهيرة ! .

زمار هاملين

في سالف الزمان وغابر الأوان .. كانت بلدة هاملين الجميلة تعيش حياة مرحة سعيدة على ضفاف نهر الفيزر البديعة .

ورغم ازدهار التجارة والصناعة .. وما حل بالبلدة من ثراء ونماء .. لم يكن أهلها سعداء .. وكان سبب الهم والغم ، والقلق والأرق ، والشقاء .. هو الفئران ! فبلا مقدمات اجتاحت البلدة الصـغيرة اعداد من الفئران كثيرة .. وصلت جراتها ـ بل وحشيتها ـ حدوداً مثيرة .. فهي تقاتل الكلاب .. وتلتهم القطط .. وتعض الأطفال .. وتاتي على الأخضر واليابس .. وكلما طاردها الرجال .. عاودت كرتها مرات ومرات .. حاملة الوباء والوبال .. حتى أنها بنت جحورها داخل قبعات الرجال !! .

والأدهى والأمـر .. أن ما تصدره من صخب وضجيج .. حرم النساء من الذ عاداتهن .. حب الثرثرة كثيراً كثيراً ! .



ولما تفاقمت الأزمة .. قصد أهالي البلدة قصر العمدة .. وطالبوه بانقاذهم من تلك الغمة ..

ودعا العمدة إلى عقد مجلس المدينة .. وطلب من أعضائه النصيحة .. وتوصلوا إلى حل يكتب لهم الخلاص .. وللفئران الفناء .. وهو استخدام كميات هائلة من المصايد .. ولكن الفئران دبرت أمرها ـ هي الأخرى ـ بليـل .. وسخرت من المصايد !

ولما توالت المصائب عقد العمدة اجتماعاً لحكماء القوم .. للبحث عن وسـيلة خلاص أخرى من تلك المتاعب .

ولما حمى وطيس الجدل ، وتحدث حتى كل سلبي وساكت .. طرق باب قاعة الاجتماع طارق .. ولما أذن العمدة للطارق .. دخل القاعة رجل أجنبي له سمات عجيبة ونظرات غريبة .. ويرتدي ملابس صفراء وحمراء .. ويتدلى من عنقه شريط فى نهايته مزمار .. ولا تستقر يداه على حال .. فهما تمسحان دائماً على ثقوب المزمار .. وقال الغريب :

ـ أنا الزامر الساحر .. وعندما أعزف على المزمار .. يتبعني كل مخلوق إلى أي مكان حتى نهاية المشوار .. وأنا بذلك الوحيد القادر على تخليصكم مما تعانونه من كرب وبلاء .. وأطلب منكم منحي ألف جنيه .. عندما أنجيكم بهمتي القعساء .. من الفئران وما تسببه من وباء .. بفضل مزماري وأنغامي .. التى تسحر كل انسان .. وحيوان ! .

ووعده العمدة خيرات وفيرة وأموالا كثيرة .. لو خلص البلدة من الفئران الشريرة .

وخرج الزمار الغريب بزيه العجيب إلى الطريق .. وبدأ يعزف لحناً حلواً عذباً ناعماً ناعسا .. وفجأة تحول الهدوء .. إلى دوي زلزال محموم مجنون مهووس .. وإذا عرف السبب بطل العجب .. فقد كان مصدر هزيم الرعد .. ودوي البركان .. وقع أقدام آلاف الفئران وهي تندفع من كل مكان .. من البيوت .. من الحقول .. من الجحور .. حتى من قبعات الرجال والنساء المحفوظة فى الدواليب والخدور !! وكانت الفئران من كل صنف ونوع وسن وحجم .. ولكن معظمها كانت من الفئران .. السمان .. مهما تفاوتت الأنواع والأحجام .. لمختلف فئات الجرذان

"زمار هاملين"
بين الحقيقة والخيال

وسار الزمار ، وهو يواصل الحانه الشجية .. وتبعته الفئران سعيدة مرحة خلية .. وعندما وصل الى شاطىء النهر .. القت الفئران جميعها بنفسها في مياه (الفيزر) بحركة تلقائية .. وغرقت جميعها .. وسَعِدَ الناس في هاملين كلها .. ودقوا الأجراس .. ورقصوا فى الطرقات .. واقاموا الزينات وأشادوا بعمدة البلدة وبما تحقق في عهده من منجزات ومعجزات .

و .. طرق باب العمدة طارق .. واذن العمدة للطارق .. فدلف إلى القاعة الزمار الغريب .. وفي أدب وبسمة دافئة وصوت خفيض ..طلب تنفيذ الوعود وإنجاز العهود طلب .. حقه !! طلب .. الألف جنيه !! و .. ولكن العمدة أبى واستكبر ..واستكثر المبلغ .. وقال للزمار الغريب :

ـ سأعطيك خمسين جنيها فقط .. وانها لكافية مقابل اللحن الذي عزفته .

فرد الزمار في هدوء :

ـ إعطني حقي الكامل .. كما يجب أن يفعل كل عمدة عادل .. وإلا فانك ستاسف على تصرفك غير العاقل !

وأصر العمدة على مسلكه

وعنف بالزمار الغريب وأغلظ له القول .. وسخر من تهديده .. وطرده من داره .

وخرج الزمار الساحر وهو يبتسم فى هدوء وثقة الواثق الماكر . وسار في طرقات البلدة .. وأخذ يعزف على مزماره لحنا آخر شجيا ساحر الوقع لطيف الايقاع جذاب النغمات .. يوحي بمشهد صبية يلهون في مرح وفرح .. وبعد ذلك تناهت الاسماع وقع أقدام .. أقدام كثيرة تسرع وهي منجذبة إلى مكان الزامر الساحر .. وتصاعدت ضجة الأقدام مع تصاعد عدد من جذبتهم ألحان الزامر الساحر .

ونظر العمدة من نافذته ليستجلى الخبر .. فذهل عندما رأى كل أطفال البلدة يسيرون وراء الزمار الغريب .. في مرح وفرح !

وخرج الموكب السعيد من بوابة البلدة المقوسة الجدران .. إلى ما وراءها من تلال وجبال .

وصاح العمدة ملتاعا :

ـ إنهم لن يستطيعوا عبور التلال والجبال .

و .. لكن الزمار واصل المشوار حتى وصل إلى باب صخري ذي قوس جبار .. وانفتح الباب .. وكان قوة خارقة ترغمه على الطاعة والولاء .. ومر الزمار من تحت الباب وتبعه أطفال البلدة جميعهم باستثناء طفل أعرج كان يحاول عبثا اللحاق برفاقه وأقرانه . وانغلق الباب من ورائهم .. ولم يعودوا أبدا إلى أوطانهم .. ولم يسمع أحد باخبارهم .. فعاشت البلدة فى هم وغم .. وقلق وأرق .. وتحولت البسمات الى دمعات .. والأفراح إلى أتراح .. لأن واحدا من أهلها وعد .. ولم يف بوعده .. ولم ينجز عهده .. و .. وعد الحر دين عليه !

وعند هذا الحد .. انتهت القصة .

تحليل علمي قديم وحديث !

وقد كان لسان الانسان ـ منذ القدم ـ هو أول وسائل الاعلام .. وعن طريق الرواة ذاع نبأ فاجعة « هاملين » ومغزاها الخلقي .. وقال الكثيرون إن ما حدث ليس حقيقة ، بل مجرد أسطورة وهمية وخيالية .. وأخذت أمهات أوروبا وجداتها تتناقلن «الحدوتة الشعبية» للأبناء والأحفاد .

وبدأ بعض علماء عصر النهضة ـ الذي يلى العصور الوسطى أو المظلمة ـ تحليل الأسطورة تحليلا علميا .. في محاولة لاستبعاد الوهم والخيال .. والوصول إلى حقيقة الأحوال .. وقالوا إن رداء الساحر الزامر الذي اختفى مع أبناء «هاملين» فى كهف في تلال كوبيلبرج .. ليس سوى «الموت» ! فقد كان الرداء نصفه أحمر ونصفه الآخر أصفر .. وهي ألوان الانسان الذي يصيبه الطاعون الدملي !!

وقال علماء ومحللون آخرون إن ما حدث لم يكن سوى ما عرف فى عام ١٢١٢ «بحرب الأطفال الصليبية» عندما جمع نيكولاس ـ وكان من أهالي مدينة كولونيا الألمانية ـ حوالي عشرين ألف طفل وطفلة ، وكون منهم جيشا لتخليص الأراضي المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين لتسليمها إلى البابا « إينوسنت الثالث » . وقد ضاع ذلك الجيش وتبدد فى إيطاليا بسبب الجوع والزمهرير وسوء القيادة والادارة .. ولم ينج منه ـ وكان جيشا فرنسيا المانيا ـ سوى عدد قليل من الصبية والصبايا .. الذين كانوا للتعصب ضحايا !

ويؤكد الأستاذ «وولفرز» الأستاذ في كلية طب جامعة لندن والمتخصص فى الصحة العامة ، وطب المناطق الحارة (حاليا) أن الطاعون الدملي اجتاح هاملين مرتين بفاصل ١٣ عاما في ١٣٤٨ و ١٣٦١ بسبب براغيث الفئران والجرذان .. التى كانت تهاجم في ضراوة مطاحن هاملين ـ وهي بلدة مطاحن ـ الغنية بالحبوب المختلفة ! ، وكان الوباء يقتل الانسان والحيوان معا .. والنهر عند البلدة عميق سريع الجريان وعنيف التيار .. وهو يرجح أنهم كانوا يجمعون الفئران ويلقونها فى النهر .. ويعلل الدكتور «وولفرز» أسطورة الصبي الأعرج الذي كان الوحيد الذي نجا من الاختفاء في بطن الجبل مع بقية أقرانه .. بأن من يصاب بالطاعون وينجو منه .. فانه يكتسب مناعة تحميه منه .. وأن هذا الأعرج كان الناجي الوحيد عندما عاد الوباء بعد ١٣ عاما .. وكان قد تحصن بالمناعة من الوباء الأول ! والملاحظ أن الفاصل يشكل الرقم ١٣ وهو رقم لا يتفاءلون به في أوروبا كثيرا .. وأن عدد الضحايا من الأطفال كان ١٣٠ وهو رقم النحس مضروبا في عشرة .. دلالة على شدة النكبة ! .

وأحس أهالي هاملين بالعار والشنار .. وأرادوا إخفاء مصيبتهم .. فجمعوا ضحايا الوباء ودفنوهم في تل كوبيلبرج بدلا من مدافن البلدة .. حتى ينسوا فاجعة البلاء !

ويقول الدكتور « وولفرز » إن الدفن فى بطن التل .. هو رمز لعملية دخول الزمار والأطفال من باب صخري سحري .. واختفائهم وراءه أبد الدهر ! كما كانوا فى العصور الوسطى يرمزون للموت بهيكل

عظمي راقص يقود مركباً جنائزياً .. يضم الموتى وهم فى طريقهم إلى مثواهم الأخير .. وعليه فموكب الزامر الساحر والأطفال .. هو ذلك الموكب الجنائزي ! .

والطريف أن براونينج عندما صاغ فاجعة هاملين «المرحة» شعراً صدر يوم ٢٢ يوليو ١٣٧٦ كيوم الموكب الحزين .. وسخر بعض المؤرخين وقالوا (هل هناك تواريخ ثابتة لأساطير الأولين) ؟! .

ويبدو أن براونينج اقتبس حديث الدكتور فينسيليوس الذي كتب في ١٥٥٦ قصة مأساة « هاميل » وهي «هاملين» الحديثة المعاصرة .. قائلا :

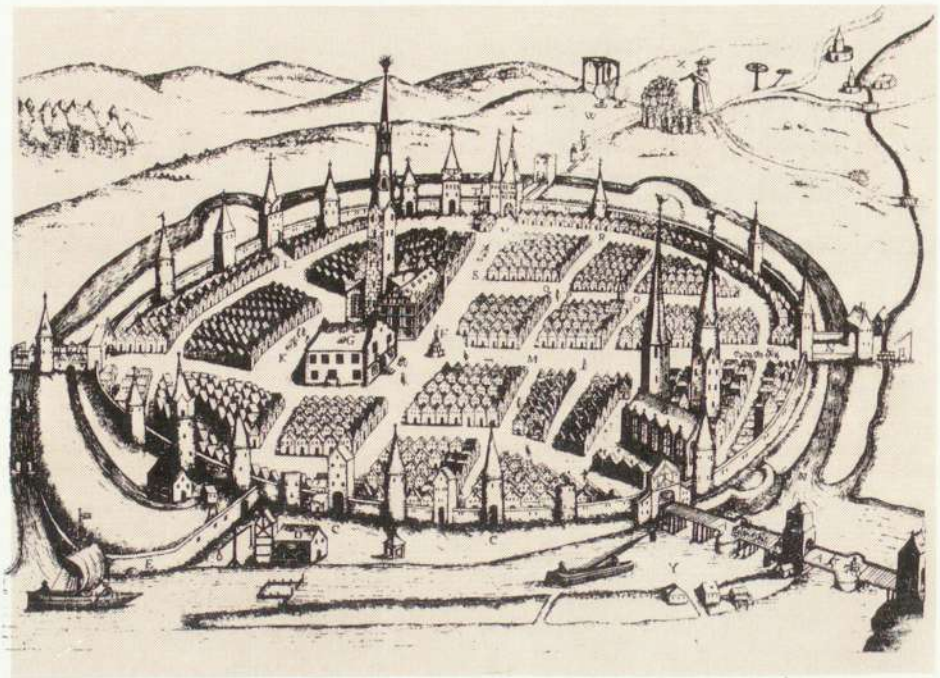
ـ سأروي لكم قصة من الحقيقة وليس من الخيال وإن اعتبرها الكثيرون أقرب إلى الجنون والخيال .. قصة تكشف شرور وسطوة الشيطان .. فمنذ حوالي ١٨٠ سنة في بلدة «هاميل» .. على ضفاف نهر الفيزر فى اقليم ساكسوني .. وفي يوم عيد القديسة مرجريت ...

ولكن التاريخ الذي ذكره الدكتور فينسيليوس عام ١٥٥٦ لم يكن دقيقا .. فالكتابات القديمة الموجودة على أبواب بعض بيوت هاملين القديمة تشير إلى أحداث مأساوية وقعت فى ٢٦ يوليو عام ١٢٨٤ وأكد ذلك التاريخ مسافر أجنبي كتب فى القرن السادس عشر الميلادي مذكرات عن سياحته في ألمانيا .. ووصف قوساً صخرياً عليه كتابات قديمة تعود إلى مائتين وخمسين سنة !

ومن الطريف أن الأساطير الهندية تقول إنه عند وفاة بوذا .. أصبحت مهمة الفئران المقدسة .. القضاء على الجنس البشري .. على مدى ألف سنة .

ومن الآراء الأخرى التى تحلل الأسطورة رأي طريف يقول إن الزمار كان مندوب مطران «أولموتز» الذي أغرى كثيراً من الشباب فى أواخر القرن الثالث عشر بالهجرة إلى مورافيا واستقروا فيها فعلا بعد أن هجروا مختلف مدن ألمانيا .

و «أكدت» شائعات أخرى أن ما حدث كان عملية اختطاف للأطفال قامت بها عصابة من قطاع الطرق .. فالشائعات من زمان حتى الآن «تؤكد» ولا «ترجح» !!!



بلدة « هاملين » عام ١٦٢٢ ، من واقع صورة محفوظة فى الأرشيف !

السياحة .. أعظم صناعة !

وتشكل السياحة ـ حالياً ! ـ مورداً هائلا من موارد الكثير من الدول .. حتى الدول الغنية والثرية .. وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا و .. المانيا !! و .. وعلى فكرة .. فعلماء الاقتصاد يؤكدون أن السياحة هي أعظم صناعة .. وخير ركيزة لتنمية الاقتصاد الوطني !!!

ويستغل مسئولو السياحة في المانيا قصة .. ـ أو أسطورة ! ـ زمار هاملين .. لتحقيق ازدهار وانتعاش السياحة في المانيا عامة .. واستقطاب مئات الآلاف منهم لزيارة هاملين خاصة . ففي مسرح مكشوف وعلى مدار فصل الصيف .. يقدم فنانو هاملين كل يوم أحد .. مسرحية (زمار هاملين) طبقاً لأصدق نصوصها التاريخية الواردة فى صفحات كتب المؤرخ الإخباري القديم الشهير (فيرشتيجن) ـ والتاريخ الاخباري هو التاريخ للأحداث حسب تسلسل الأعوام ـ ويعتز أطفال «هاملين» الحديثة بأداء دور أسلافهم أطفال عام ١٢٨٤ الذين سحرتهم أنغام الزامر الساحر ولم يعودوا إلى ديارهم حتى الآن لأن عمدة «هاملين» لم يف بالوعد ! ، ومن الطريف أن المسرحية تبدأ كل يوم أحد بموكب تاريخي ـ بالملابس التاريخية ـ ينتهي عند المسرح غير المسقوف قرب دار البلدية .. مقر عمدة « هاملين » المعاصرة .. الذي يفي بالوعود! ويجن السياح بالموكب والمسرحية ويلتقطون لها ملايين الصور .. في كل صيف ! ويقوم بدور الزمار حالياً المواطن الألماني الشهير سيجفريد ساشر ـ وهو موسيقار متخصص في آلة المزمار فعلا ـ والذي يعمل في شركة انجليزية حصلت على عقد تنظيف «هاملين» .. وتحصل على حقها كل ثلاثة شهور .. « مقدماً » ! طبقاً .. للعقد الرسمي حتى تضمن .. حقها .. !!! وحتى لا تتكرر المأساة القديمة ثانية . و «هاملين» الجديدة .. بلا فئران .. فعلا ! والفئران الوحيدة فيها هي تماثيل من الخبز والسكر يلتهمها السواح في شغف .. أو من الخزف .. والتى يحرص ملايين السياح الأجانب على اقتنائها لأنها تذكرهم « بالفاجعة المرحة » ! والطريف أن أشهر محلات بيع التماثيل التى تعيد المأساة المرحة إلى الأذهان ، تقع بالقرب من دار اسمها (الراتنفانجرز) أي (صيادو الفئران) وهي دار على مقربة من (بوجلوسن شتراوس) وتعني بالألمانية (شارع بلا طبول) .. فالأسطورة القديمة تؤكد أنه منذ مأساة ذلك الناي السحري .. منعت سلطات المدينة .. ظهور أية أدوات موسيقية في كل شوارع المدينة !

وإن كنت لا تصدق ياعزيزي القاريء .. فلماذا لا تقوم بزيارة «لهاملين» القديمة .. أو «هاملين» الجديدة .. لتشهد الموكب التاريخي والمسرحية الناجحة المسلية .. ولتشتر فئراناً خزفية .. تذكرك بقصة مثيرة خرافية .. يؤكد الكثيرون أنها قصة مثيرة .. حقيقية ! وسواء كانت أسطورية خرافية أو مأساة حقيقية .. فهي القصة القصيرة الوحيدة .. التى أثارت جدلا طويلا طويلا طويلا .. على مر الأيام وكر الأعوام !!! .

عادل شريف

كتب جديدة





● اشهدى يا قدس ـ شعر ـ تاليف سليم سعيد ـ ٢٥٠ صفحة ـ صدر فى قطر .

● الأديب الكاتب ناصر الخيرى ـ من سلسلة عن اعلام الخليج العربى ـ الجزء الثالث ـ تاليف مبارك الخاطر ـ ١٢٠ صفحة ـ اصدار وزارة الاعلام بدولة البحرين .

● المواصلات فى الوطن العربى ـ لمجموعة من الباحثين ـ ٤٠٣ صفحة ـ اصدار مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان .

● اغنيات قلب ـ ديوان للشاعر مصطفى عبد الرحمن ـ ٢٠٤ صفحة ـ الناشر المكتبة العربية ـ القاهرة .

● جماليات القصيدة المعاصرة ـ تاليف د. طه وادى ـ ٢٠١ صفحة ـ الناشر دار المعارف ـ القاهرة .

● لا تحجبى الطيف ـ ديوان شعر لمحمد عبد العزيز الانصارى ـ ٥٥ صفحة ـ الناشر مطبعة حسان ـ القاهرة .

● اعترافات أدبائنا فى سيرهم الذاتية ـ تاليف علي عبده بركات ـ ١١٨ صفحة ـ الناشر مطبوعات تهامة ـ جدة ـ السعودية .

● فى جوف الليل ـ مجموعة قصص ـ تاليف محمد مثنى ـ ١١٤ صفحة ـ الناشر دار الهنا للطباعة .. ولنفس المؤلف مجموعة قصص اخرى بعنوان : الجيل يبتسم أيضاً ـ ١٢٥ صفحة ـ الناشر وزارة الاعلام والثقافة ـ صنعاء .

● الرصيد السكانى لدول الخليج العربى ـ ٣٩٦ صفحة ـ اصدار مركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر .

● البحر الأخضر ـ رواية ـ تاليف كاظم معلة ـ ١٥٦ صفحة ـ الناشر مطبعة السلام ـ فاس ـ المغرب .

● دلال المغربى ـ قصة شعرية للأطفال ـ تاليف الشاعر محمد الظاهر ـ دار الشروق للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ عمان .

● التعليم المصغر كتقنية متطورة للتدريب ـ تاليف الدكتور احمد الخطيب الأمين العام المساعد لاتحاد التربويين العرب ـ الناشر دار الشعب ـ عمان ـ الأردن .

● اهزوجة السلاح ـ ديوان شعر ـ للشاعر طه عبد الغنى مصطفى ـ ١٧٠ صفحة ـ الناشر دار الخليج بالشارقة ـ الامارات العربية المتحدة .

● قضايا القصة العراقية المعاصرة ـ تاليف عباس عبد جاسم ـ الناشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

أخبار ثقافية

● يشارك الدكتور احسان عباس فى الموسم الثقافى الأول الذى يقيمه مجمع اللغة العربية الأردنى ، وذلك بالقاء محاضرة بعنوان « تصنيف العلوم عند العرب » .

● تقدم فرقة المسرح الحر بجامعة الامارات مسرحية « ماساة الحلاج » للشاعر الراحل صلاح عبد الصبور ، وذلك فى تصور جديد أعده أحمد راشد ثانى ويخرجه ابراهيم الجزولى .

● يلتقى كتاب افريقيا والوطن العربى فى مدينة الجزائر من ١٦ ـ ١٩ مايو فى ملتقى الكتاب العرب والأفارقة الذى ينظمه اتحاد الكتاب العرب والاتحاد الافريقى من أجل توسيع التفاهم والحوار المشترك بينهما .

● فى الشهور القادمة يتم بث الجزء الثانى من المسلسل التربوى التعليمى « افتح ياسمسم » فى اجهزة تليفزيونات دول الخليج ، وهذا الجزء يتكون من ١٣٠

كلمات من القلب



رجا جارودى



يوسف الخطيب



احمد عبد المعطى حجازى

● يجب أن نبذل جهداً كبيراً لاعادة تقييم مجمل علاقتنا الاجتماعية ومشاكلنا الاقتصادية والسياسية من خلال منظار الوحى القرانى .

المفكر الفرنسى المسلم
رجا جارودى

● التراث الشعبى الفلسطينى هو الوجه الحضارى فى المعركة التى يخوضها شعبنا من أجل تكريس وجوده واسترداد حقوقه الوطنية . فهى ثقافة تقف فى وجه الدرع بتصديها لعمليات التشويه والتخريب والسرقة والانتحال من أجل حماية الشخصية الوطنية الفلسطينية من الاندثار والتبديد .

الناقد الفلسطينى
فاروق وادى

وقفت حافياً .. وراء باب أمتى العظيمة
أدقه على قلوب مغلقة
فى الليل .. والثلج فى مخالب الجريمة
حتى غدت يداى مطرقة
وصرخت صيف أمتى .. وصار جسمى الوليمة
وهيأت لي .. خيمة ومشنقة
ولم أزل أساق .. من مرحلة لمرحلة

من قصيدة «أنهض من جنازتى .. وأمشى»
للشاعر يوسف الخطيب

● أعيش فى ظروف أجهل فيها نفسى ، وقد يكون الجهل فى بعض الأحيان فى أعلى مرتبة من مراتب المعرفة .

الشاعر عمر أبو ريشة

● إننى أتفق مع كاتب المسلسل التليفزيونى أبو الطيب (المتنبى) أن عصر المتنبى كان عصر الغربة فى الوطن ، وأنه لم يكن نقياً كل النقاء ، ولم يكن خالياً من الفساد والاضطهاد الفكرى والنفسى ، ولكنه فساد تقليدى واضطهاد تقليدى ، لم تعمل المخترعات العصرية على تطويره ، ولم تساعد قوانين التقدم والحرية على تحديثه وتحويله الى واقع يقطر دماً وزيفاً وإرهاباً .

د. عبد العزيز المقالح

● الكتاب فى بلادنا لا يمكن إلا أن يكون عربياً ، فان صار محلياً مات .

الشاعر : أحمد عبد المعطى حجازى

حلقة ، مدة كل حلقة نصف ساعة .

● يجرى العمل على قدم وساق فى بغداد لاعداد بانوراما ضخمة فى أكبر صالة فنية فى العالم تقام ضمن بناية الجندى المجهول وتؤرخ لمسيرة الانسان فى العراق بداية من الحضارة السومرية حتى عصرنا الحاضر ، ويشرف على هذا العمل الفنان خالد الرحال .

● أول مهرجان للمسرح العربى الافريقى الدولى يتم تنظيمه فى تونس فى الفترة ما بين ٤ و ١٥ نوفمبر ١٩٨٣ ، وسيكون المهرجان على غرار أيام قرطاج السينمائية يقام كل سنتين بالتناوب ، وستتاح معه فرصة الحوار بين الثقافات العربية والافريقية المتنوعة .

● ينعقد المؤتمر السادس عشر للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب فى بيروت خلال شهرى اغسطس وسبتمبر ، ويضم وفوداً من اتحادات الكتاب والأدباء فى الأقطار العربية ، والمعروف أن المؤتمر الأول عقد فى لبنان عام ١٩٦٣ .

● أوراق المرحوم العلامة ساطع الحصرى والتى تتضمن مئات الرسائل بينه وبين عدد من المفكرين والسياسيين والأدباء العرب ستصدر فى كتاب يتضمن مذكراته ويحققه الباحث نجدت فتحى صفوت .

يوم المسرح العالمي على مسرح قطر الوطني

بشرى ناصر



غانم السليطي وأمينة القفاص في مسرحية المناقشة

حرصاً على خلق مسرح ذى قواعد ثابتة وقادر على الايصال والتوضيح ، دأبت وزارة الاعلام ـ ادرة الثقافة والفنون ـ على رعاية احتفالات يوم المسرح العالمى ، ليكون فرصة للمسرحيين والجمهور من أجل الارتقاء الذهنى ، فالمسرح ظاهرة ثقافية خالدة ، وهو رسالة اجتماعية تتبنى قضايا الانسان فى كل زمان ومكان ..

لذا ، وكما اعتدنا ، فاننا نحتفل سنوياً باليوم العالمى للمسرح الذى أختير ليكون فى السابع والعشرين من كل عام .. وفى هذه المناسبة الهامة قدمت البيوت الثلاث فى قطر ثلاثة عروض .. كانت على التوالى مسرحية « انشودة الدم » لفرقة الأضواء ، تاليف الدكتور مصطفى محمود ، اخراج امام مصطفى ، وابتدأت الاحتفال لأن استعدادها كان سابقاً للفرق الأخرى ؛ وكانت مدة العرض نصف ساعة تقريباً ، وقام ببطولتها على سلطان .. وجبر الفياض ..

أما المسرح القطرى فقد قدم مسرحية « مات بطلا اذن » .. للكاتب السورى محمد علي الخطيب ، واخرجها الفنان القطرى علي ميرزا محمود ، وقام ببطولتها كل من غازي حسين ، سنان المسلماني ، هدية



جبر الفياض وعلي سلطان فى مسرحية «انشودة الدم »

سعيد ، علي ميرزا ، مريم راشد ..

واختتم العروض « مسرح السد » بمسرحية « المناقشة » لكاتبها حمد الرميحي واخراجه ايضا .

وقد تميز عمل فرقة السد بطول مدة العرض عن بقية المسارح المشاركة ، ومحلية النص ، وايضاً تعدد طاقم الممثلين الذين وصلوا إلى ١٢ ممثلا .

وقد نستطيع أن نتوقف هنا قليلا من حيث الرعاية التى تقدمها وزارة الاعلام للفن والمسرح على وجه الخصوص ومساهمتها بتقديم مبنى مسرح قطر الوطنى للعرض ، واشراف وزير الاعلام الاستاذ عيسى غانم الكوارى والسيد وكيل الوزارة محمد عبد الرحمن الخليفى على هذا الاحتفال المسرحى ، وذلك لادراك المسئولين أهمية يوم كهذا ، لتميزه بالتجريبية من ناحية العروض المطروحة والأساليب الاخراجية من ناحية أخرى ،



مريم راشد ، علي ميرزا ، سنان المسلماني ، غازى حسين ، هدية سعيد فى « ومات بطلا .. إذن »

والجمهور الذى يكون غالباً فئة خاصة هى على الأخص فئة مهتمة بالمسرح والثقافة فى قطر .

ومن هنا تتاتى أهمية هذا الاحتفال ، فالمسرحيون يحاولون دائماً ايجاد الخيار الأوضح ، لخلق مناخ ثقافى وأجواء نقاشية وحوارية توصل بالتالى الى تبادل الفكر والرأى تنتج عنها دائماً رؤى متجددة تتيح .. للجمهور الاطلاع على التجارب المسرحية الجديدة ، وتشحنهم بمفاهيم جديدة عن المسرح وما يتعلق به

وما يستحق التنويه به أن الجمهور كان هذا العام بكمه أكبر من الأعوام السابقة ، ولم يعد يقتصر على المهتمين بشؤون المسرح فقط ..

ولو أننا افتقدنا هذا العام التكريم والاحتفاء بالعاملين فى المسرح ، وحرمنا من تصنيف للمسرحيين كما حدث فى العام السابق ، فاننا لا نستطيع ان نغض الطرف عن افتقادنا للجو النقاشي الثرى الذى كان يتوجب أن يختتم كل عرض للفرق حتى يكتمل الهدف المرجو من اقامة الاحتفال بهذه المناسبة الهامة ..

ولكنه يبقى أن نقول أن يوم المسرح العالمى من الأيام التى لها طعم خاص لا يتغير فى الذاكرة ولا ينتهى !

لعبة المطاردة

شعر: وفاء وجدي

حَديثُنا يا إخوتى
ما عَادَ شَيِّقاً فى حَلْقَةِ السَّمَرْ
ففى الرَّبيع يَذْبُلُ الشَّجَرْ
وتَسْقُطُ الأوراقُ فى اخْضِرَارِهَا
فى شَهْقَةِ العُمُـــرْ

●●

لا تَسْألُونى فالغِنَاءُ يا أَحِبَّتى
قد غُصَّ بالشَّجَنْ
والعُودُ منزُوعُ الوتَرْ
فنحنُ يا إحِبَّتى محاصَرُونَ بالزَّمنْ
ونحن رفقةُ الأحزَانِ فى السَّفَرْ
والحزْنُ يُثْقِلُ القلوبَ والعيونْ
كأنه قَـــدَرْ

●●

الليلُ موحِشٌ بلا غِنَـــاءْ
لكننا لا نملكُ الغِنَـــاءْ
فكلنا فى حَلْقَةِ السَّمَرْ
محدِّقو العيون فى الخُوَاءْ
ننتظرُ الحرَّاسَ كلَّ لحظةٍ
أن يُطلقُوا الرَّصَاصَ دونما عَنَاءْ
فيسقطونَا واحداً فواحداً
فى لُعْبَةِ المطَـــارَدَهْ

ولا تزالُ فى العيون رِجْفةُ السؤالْ :
ـ مَنِ الذى يأتى عليه الدَّورُ فى الخَفَاءْ
فتقصفُ الرياحُ عودَهُ الرطيبْ
ويصبح المـــكانُ شاغراً من بَعْدِه
فى حلقةِ السَّـــمَرْ ؟
لعلّه أنا .. أو أنتَ .. أو نحنُ معاً
فكلنا مطاردٌ غريبْ .

●●

يا رفقَةَ السنين نحْنُ جيلْ
قد خَضَّلَ الأعلامَ بالدمَاءْ
وقدَّمَ الحياةَ دونَ أنْ يَمُنَّ بالعَطَاءْ
لكنَّه لم يعرف الطريقَ للفرحْ
ولم يشاهدْ مرَّةً
فى زحمة الحصارِ دَمْعَةَ الوَفَاءْ

جيلٌ على أكتافِهِ أوزارُ من سَبَقوُهْ
ولعنةُ الذين بعده سَيُقبِلُونْ
جيلٌ يعيشُ فى العَرَاءْ
لم تحتَضِنْهُ الأرضُ أو تَرْثى له السَّمَاءْ
جيلٌ تمزقُهُ سياطُ من عَادُوهْ
جيلٌ يضيعُ تحتَ صمتِ الأصْدِقَاءْ
يا إخوتى ..
لمن نقدمُ العزاءْ ؟!
فيمَنْ نقدمُ العزاءْ ؟!



● وكالات الأنباء العالمية ومراكز الأمم المتحدة يعتمدون وكالة الأنباء القطرية مصدرًا أساسيًا موثوقا لأخبار منطقة الخليج

● ٨٠٪ من تدفق الأنباء تحتكرها الوكالات العالمية لتحقيق مصالح دولها

● متابعة الأحداث الدولية الهامه وتحليلها وتفسيرها والتعليق عليها من أهم وظائف قسم الأبحاث والدراسات

● من خلال اتحاد الوكالات العربية يتم التنسيق بين جميع الوكالات الشقيقة للتصدي للإعلام الغربي

وكالة الأنباء القطرية

كيف تتصدى للإعلام الغربي من أجل قضايانا العربية ؟

بقلم : مريم آل سعد



قسم الارسال الخارجي والداخلي (التيكرز) حيث يتم ارسال الاخبار

اصبحت الدعاية السياسية الحديثة تتخذ شكل الاعلام الثقافي الذي يتلاءم مع روح العصر وتطوره ، وقد تفوقت في هذا الدور وكالات الانباء العالمية الخمس التي تسيطر على إعلام ٩٨,٧٪ من سكان العالم وهي «الاسوشيتد برس» و «اليونايتد برس» و « رويتر » البريطانية و « وكالة الأنباء الفرنسية» و « وكالة تاس » السوفيتية .

● ●

وكما انه بفضل نجاح ونشاط هذه الوكالات تحول الاهتمام من المقال إلى الخبر ، وتصاعدت أرقام توزيع الصحف إلى مؤشرات هائلة ، إلا انها أيضاً مارست – ومازالت – سياسة احتكارية رهيبة على تدفق الأنباء وتحكمت في بثها بما يناسب مخططات ومصالح دولها داخلياً أو خارجياً خصوصاً وأن تقدم الوسائل والتكنولوجيا العلمية والدراسات النفسية كفل لها أسلوب صياغة هذه الأخبار بما لا يدع مجالا لنشأة أية مقاومة فكرية أو نفسية عند الجماهير المتلقية .

وكما انها قسمت العالم الى مناطق نفوذ فيما بينها ، فانها احتوت بعض الوكالات المحلية التى ظهرت فى بعض هذه الدول مستغلة افتقارها إلى العامل المادي الذي يغطي حجم الانفاقات الرهيب ، الذي تستطيع به أن تمارس عملها وتستمر فيه .

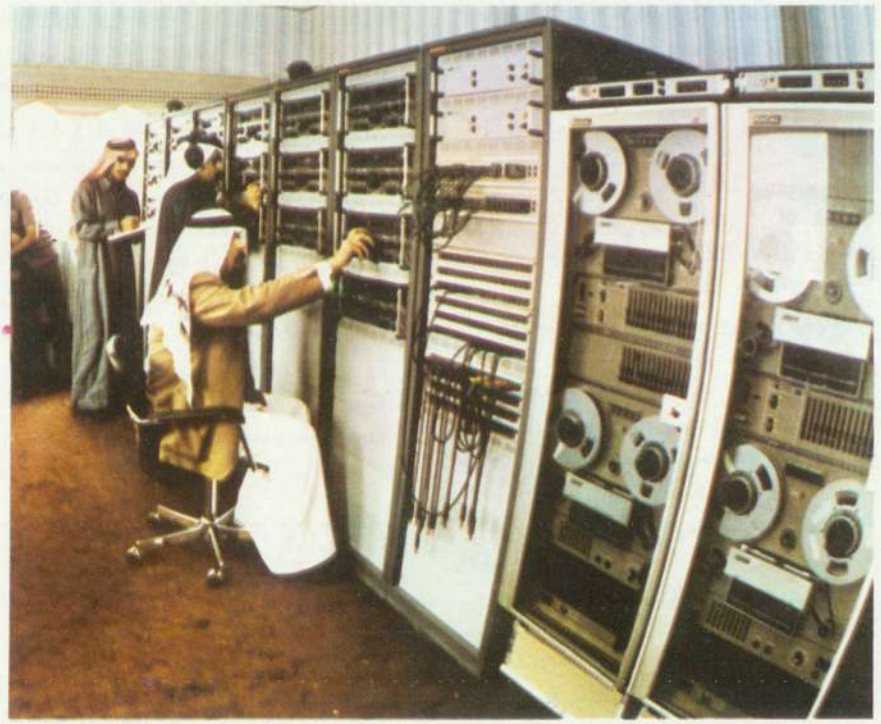
وهذا يفسر سماحها بنشر اسم هذه الوكالات المحلية على الأخبار التي تبثها مقابل نشرها فى أقطارها ، ولتؤكد كونها نوقا لهذه الوكالات العالمية تحت ستار حرية نشر الأنباء وتداولها .



قاعة التحرير العربى .. حيث يتم تلقى الاخبار واعدادها للنشر



علي سعيد الكواري : مدير الوكالة



داخل قسم الرصد الاذاعى ، حيث يتم تسجيل ٣٢ إذاعة فى وقت واحد لمدة ٢٤ ساعة

وقد استقبل العالم مزيدا من ظهور هذه الوكالات المحلية في انحائه المختلفة ، فبعد ان كانت هناك ٢٤ وكالة بدات عملها بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ، فقد كان عام ١٩٥٠ موعداً لنشاة وكالات جديدة فى آسيا وشمال وجنوب أمريكا واوربا وكذلك في افريقيا .

اما الموجة الواسعة الثانية لانتشار وكالات الأنباء المحلية فكانت في الستينات عندما نشأت ٢٣ وكالة في كل من افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية .

وبين سياسة الاحتكار التى تفرضها وكالات الأنباء الكبرى واسلوب التبعية الذي تنشر من خلاله بعض الوكالات الصغيرة المخططات الاستعمارية وتساعد على سريانها بين شعوبها كان لزاما ان تنشا وكالات قومية واعية تقف بالمرصاد لهذه الموجات المسمومة

ووكالة الأنباء القطرية التي تم إنشاؤها بناء على مرسوم اميري في مايو ١٩٧٥ تعتبر واحدة من هذه الوكالات المحلية التى تسعى بثبات إلى تاكيد وجودها كمصدر لنشر الأخبار الصادقة .

الوكالة القطرية

ويوضح مدير وكالة الأنباء القطرية الأستاذ علي سعيد الكواري دور الوكالة ويكشف عن مدى طموحاتها التى تتعدى النطاق المحلي لتعبر عن جميع القضايا العربية لأنها الرابط الاساسي .

وكالة الأنباء القطرية

يقول الأستاذ علي الكواري موضحاً أهداف الوكالة :

نسعى إلى توزيع أخبار دولة قطر وأخبار الدول الخليجية الشقيقة في جميع الدول العربية باللغة العربية ، وفي الخارج باللغة الانجليزية وتعامل الوكالة أخبار الدول الخليجية بنفس معاملة أخبار دولة قطر من حيث التزام الموضوعية .

وقد بدأ نشاط الوكالة ولم يكن في منطقة الخليج إلا وكالة الأنباء السعودية والوكالة العراقية .

كما رأت وكالة الأنباء القطرية منذ البداية أن من واجبها أداء هذه الرسالة بالنسبة لدول المنطقة بتشجيع من كبار المسئولين بدولة قطر .

وهذا ما دفع وكالات الأنباء العالمية ومراكز الاعلام ، بل ومراكز الأمم المتحدة إلى اعتبار الوكالة القطرية مصدراً أساسياً من مصادر الأخبار الموثوق بها والمعتمدة بالنسبة للمنطقة ، وكثيراً ما تنقل وكالات الأنباء العالمية والاذاعات وصحف دول المنطقة أخبار الدول الخليجية عن وكالة الأنباء القطرية التي تلتزم الموضوعية التامة في معالجة الخبر والابتعاد عما يسمى تزوير أو تلوين في الأخبار . علاوة على اهتمام الوكالة بالخبر الذي يجمع بين دول المنطقة ويعمل على تآلفها ويكون جيداً ذا قيمة اخبارية .

نسبة الأخبار إلى مصادرها

● كيف يتم حصول وكالة الأنباء القطرية على أخبارها ؟ .

ـ يتم الحصول على الأخبار عن طريق المراسلين المعتمدين في العواصم العالمية مثل لندن ـ باريس ـ واشنطن ـ نيويورك ـ طوكيو .

والعواصم العربية والاسلامية مثل : القاهـــرة ـ دمشق ـ تونس ـ الرباط ـ الخرطوم ـ مقديشيو ـ عمان ـ بغداد ـ الرياض ـ بيروت ـ الكويت ـ أبو ظبي ـ مسقط ـ صنعاء ـ اسلام أباد .

والوكالة تتلقى الأخبار من هؤلاء المراسلين عن طريق الهاتف أو شبكة اتصال دوبلكس وسيمبلكس تربط بين المركز الرئيسي في الدوحة ومكاتب المراسلين . وهناك أخبار تحصل عليها الوكالة القطرية من الوكالات الخليجية والعربية وتنسب هذه الأخبار إلى مصدرها في حالة استخدامها في نشرة الوكالة .

وهناك قسم الرصد الموجود بالوكالة والذي يرصد جميع الاذاعات الخليجية والعربية والأجنبية بما فيها الاذاعات الاسلامية ، ويغذي قسم التحرير العربي «المركزي» بالأخبار التي تنسب إلى مصادرها في حالة إذاعتها على نشرتنا .. ونحن حريصون جداً على ذلك .

أما الوكالات العالمية ، فاننا لا نستخدم أخبارها على نشرتنا باعتبار أن هذه الوكالات معروفة ولها مصادرها ومشتركوها الذين تقوم بتوزيع أخبارها عليهم .

● كيف يتم توزيع نشرات الوكالة ؟

يجيب مدير وكالة الأنباء القطرية بقوله :

ـ يتم توزيع نشرة الوكالة سواء بالعربية أو الانجليزية عن طريق خطوط مباشرة مع المشتركين داخل دولة قطر وخارجها عبر الأقمار الصناعية وكذلك هناك ارسال عن طريق شبكة وكالة أنباء الشرق الأوسط لمدة ثلاث ساعات يومياً . ويبلغ عدد أخبار الوكالة القطرية حوالي ١٣٠ خبراً يومياً .

وترسل بالبريد العاجل النشرات المطبوعة اليومية باللغتين العربية والانجليزية إلى السفارات القطرية بالخارج وإلى عدد من المشتركين من هيئات ومؤسسات صحفية .

وإلى جانب النشرات اليومية المرسلة إلى المشتركين عبر الخطوط المباشرة ، كذلك هناك نشرة اقتصادية تذاع أسبوعياً بشكل مؤقت وستصبح عن قريب يوميه .

تعرية الأخبار المدسوسة

● « الأخبار لها قابلية للغش ، ويمكن عرضها بكثير من التلوين والمبالغة بالحذف أو الاضافة وخصوصاً إذا كانت قادمة من الجهـات ذات التوجه الاستعماري » ..

فما هي الاجراءات التي اتخذتهـــا وكالة الأنبـــاء القطرية لتعريتها والتصدي لها ؟

ـ لا تستخدم الوكالة هذه الأخبار على شبكتها الخاصة وتقوم بالرد على تلك الأخبار المدسوسة لتعريتها ببث أخبار موثوقة من مصادرها الحقيقية بما يدحض تلك الأخبار المدسوسة أو الملفقة ، وبنقل صورة صادقة لما يجري على الساحتين العربية والعالمية .

● ●

● الوكالات العالمية الخمس تمارس احتكاراً إعلامياً وفكرياً بعيد المدى على عقول مئات الملايين الذين يتلقون أخبارها من خلال الصحف والاذاعات وغيرها .. فهل يوجد هذا التأثير الاحتكاري وبسط النفوذ أيضاً في تعاملها مع وكالات الأنباء الاقليمية الصغيرة ؟؟

ـ تقوم فعلا وكالات الأنباء العالمية الكبرى بدور كبير في فرض الأنباء التي تخدم مصالح دولها بصرف النظر عن تحري الصدق والأمانة وهدفها الوحيد هو بث وجهة نظرها التي تكون في أغلب الأحيان وجهة نظر متحيزة لهذه المصالح .. فالوكالات الخمس الكبرى تحتكر فيما بينها نصيب الأسد من الموارد المادية والطاقات البشرية

وبينما يكون نصيب اصدار الوكالات العالمية حوالي ٨٠٪ من تدفق الأخبار العالمية إلا أنها لا تكرس لأنباء البلاد النامية إلا نسبة تتراوح بين ٢٠٪ أو ٣٠٪ من تغطيتها الاعلامية على الرغم من استحواذ البلاد النامية على ما يقرب من ⅔ البشرية . ومقياساً لهذا الحديث ، فان وسائل الاعلام في البلاد المتقدمة ولا سيما في الغرب لا تهتم بمشكلات البلاد النامية بل تصنفها كدول مستهلكة للمعلومات التي تبيعها إياها كأية سلعة . وابلغ دليل على ذلك أن وكالات الأنباء العالمية تنتهج وجهة نظر استعمارية صهيونية في تغطية أخبار القضية الفلسطينية وموضوع العلاقة بين الدول الصناعية الكبرى والدول النامية ومشكلة الطاقة وأسعار النفط وغيرها من القضايا العالمية السياسية . حيث نجد أن أخبار الوكالات العالمية مصوغة حسب وجهة نظرها وحاملة رأيها بين سطور الخبر أو في طريقة تحريره لذلك تتعامل وكالة الأنباء القطرية مع هذه الوكالات من منطلق الحذر وعدم السماح لها مطلقاً بممارسة أي احتكار إعلامي أو فكري عليها . وتعتمد الوكالة القطرية فقط على الأنباء الدقيقة الصادقة من مصادرها الخاصة بها

التعليق والتفسير والتحليل

● « وظيفة وكالات الانباء يجب الا تتوقف عند نشر الاخبار كمعلومات مجردة وانما علبها واجب آخر هو تفسير هذه الاخبـــار ما دامت تخاطب الملايين »

ما رايك في هذه العبارة وهل توجد في الوكالة اقسـام متخصصـة للتفسـير والتعليق والتحليل الاخباري ؟

ـ تقوم وكالة الانباء القطرية باعداد نشرتها الاخبارية اليومية بحيث تكون واضحة تماما لا لبس فيها ولا إبهام معتمدة في ذلك على معلومات إضافية تزيد من وضوح الخبر وتدعيمه بحيث يعطي فكرة واضحة وشاملة تغطي جميع النواحي الفنية في تحرير الخبر واهمها الاجابة التقليدية على أدوات الاستفهام من وأين ومتى ولماذا وكيف معتمدة في ذلك على اقسامها المتخصصة واهمها قسم الابحاث والدراسات الذي يتابع الأحداث الدولية الهامة وبالأخص الاحداث العربية ويقوم بتحليلها وتفسيرها والتعليق عليها وذلك عن طريق ثلاث وسائل أولاها البث المباشر على شبكة الوكالة الخاصة وثانيها النشرة المطبوعة بنسختيها الانجليزية والعربية والثالثة اعداد كتب وثائقية تضم أهم الوقائع الخاصة بالمؤتمرات الخليجية الهامة كمؤتمرات القمة الخليجية العربية وغيرها .. بحيث يستفيد رجال الفكرة واجهزة الاعلام والصحافة والمتخصصون من هذه الكتب .

● هل تقوم الوكالة باعداد بحوث أو دراسات أو وثائق لمناسبات معينة أو قضايا معينة ؟

ـ تقوم الوكالة باعداد كتب وثائقية تسجل الأحداث التي بالخليج العربي والوطن العربي منها كتاب قضية الشرق الأوسط ، وزيارة الرئيس السادات لاسرائيل وتم اصدار أربعة أجزاء منها حتى الآن .

وهناك كتاب أم القرى وقد تناول مؤتمرات القمة الاسلامية الثلاثة : مؤتمر القمة الذي عقد بالهند ـ والثاني الذي كان بالمغرب ـ والثالث وهو الذي تم بمكة المكرمة ..

وهناك كتابان صدرا حتى الآن والكتاب الثالث تحت الاعداد عن « وثائق مجلس التعاون الخليجي » ويشتمل على احداث المنطقة من اجتماعات ومؤتمرات واتفاقيات تخص دول المجلس الست ، وهو عبارة عن تسجيل وثائقي لنشاطات دول المجلس في ظل التعاون والتكامل الخليجي .

وقد صدر مؤخرا كتـــاب وثائقي مهم عن الغزو الاسرائيلي للبنان ، ومجزرة صبرا وشاتيلا . وهو كتاب يسجل الجرائم البشعة لاسرائيل في المنطقة العربية وبالذات في بيروت والجنوب اللبناني والجرائم القذرة التي ارتكبتها اسرائيل هناك .

الاعلام المحلي

● ما هي علاقة وكالة الأنباء القطرية بالصحافة والاذاعة المحلية ؟

اكد مدير وكالة الأنباء القطرية على تشابك وامتداد هذه العلاقة عندما قال :

ـ توجد علاقة وثيقة بين وكالة الانباء القطرية والصحافة والاذاعة المحلية والتلفزيون القطري منذ انشاء الوكالة عام ١٩٧٥ وحتى الآن . حيث تقدم الوكالة لها أعلى مستوى من الخدمة الصحفية في مقدمتها الأنباء الدقيقة الصادقة المستقاة من مصادر موثوقة في داخل وخارج دولة قطر .

وتزود الوكالة أيضا جميع وسائل الاعلام القطري من صحافة يومية ومجلات اسبوعية وشهرية والاذاعة والتليفزيون بالخدمة الصحفية الاضافية التى تشمل التعليقـــات والدراسات واستخلاص الرأي العام في الداخل والخارج كما تزودها بالصور الفوتوغرافية السريعة للاحداث العالمية في مختلف دول العالم .

● ما مدى علاقة وكالة الأنباء القطرية باتحاد وكالات الأنباء العربية ؟

ـ هناك علاقة ودية متينة بين وكالة الأنباء القطرية واتحاد وكالات الأنباء العربية وعن طريق هذا الاتحاد تتعاون الوكالات العربية فيما بينها وتعقد الاجتماعات التي تدرس فيها الوسائل وسبل دعم هذا التعاون .فبناء على دعوة الجامعة العربية عقدت معظم الوكالات العربية اتفاقات اخبارية فيما بينها وذلك لتنسيق التعاون والتبادل الاخباري والزيارات والخبرات الصحفية والفنية وتقديم المنح الدراسية من صحفية وفنية للوكالات العربية الأخرى التى ما زالت قدراتها الصحفية والفنية تحتاج الى تدعيم لتنهض بمستواها الاخباري وتؤدي دورها ورسالتها الاعلامية على اكمل وجه .

والوكالة القطرية تنسق مع الوكالات العربية الشقيقة ـ من خلال الاتحاد ـ في كيفية التصدي للاعلام الغربي المغرض والذي يعمل على احتكار الأنباء الواردة من الدول النامية ودول الشرق الأوسط .

واعتقد أن نشاط الوكالة القطرية خير دليل على دورها الفعال والايجابي في خدمة القضايا العربية المشتركة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

● العاملون في وكالات الأنباء .. لهم مواصفات دقيقة تتيح لهم فك رموز توجهات الأخبار المختلفة .. فماذا اعدت لهم وكالة الأنباء القطرية ؟

ـ سعت الوكالة إلى توفير الاستقرار النفسي للموظف خاصة وان عمل الوكالات يحتاج الى تفكير ذهني وتركيز جيد في معالجة جميع الأخبار حتى لا يخرج الخبر بشكل رديء شكلا ومضمونا ، والسرعة في انجاز الأخبار وتقديمها الى الرأي العام .

نحن نعطي أهمية للخبر واهمية للوكالة نفسها .. فلابد من توفير المناخ المناسب لعمـل الصحفي وتلبية طلبـــاته بحيث يعمل وهو مرتاح الذهن والاعصـــــاب .

● هل توجد إتفاقيات تبادل بينكم وبين بعض الوكالات العالمية ؟

نفى الاستاذ علي سعيد الكواري وجود هذه الاتفاقيات واضاف :

ـ ليس هناك اتفاقيات تبادل مع الوكالات العالمية ولكن هناك تعاون فقط في مجال الأنباء واتفاقيات التبادل متواجدة بيننا وبين الوكالات الوطنية الشبيهة بوكالة الأنباء القطرية .

وهناك مراسلون لبعض الوكالات العالمية تقدم لهم وكالة الأنباء القطرية التسهيلات التي تكفل لهم إرسال الأنباء والصور الفوتوغرافية الى وكالاتهم ولهم حرية إختيار الأنباء التي يريدونها .

مريم آل سعد



نهاية العصر الذهبي للغوص وتجارة اللؤلؤ!

بقلم: أحمد العناني



لقطتان : الأولى لطاقم مركب الغوص اثناء رحلة البحث عن اللؤلؤ .. والثانية لحبات اللؤلؤ التى كانت المصدر المباشر لحياة أكثر من تسعين بالمائة من سكان قطر قبل عام ١٩١٣ !

على مدى التاريخ الحديث لقطر خلال القرنين الماضيين ربما كان عام ١٩١٣ هو اهم الاعوام المئتين واحفلها بالأحداث ، واجدرها بان يكون عام التحول الحقيقى الحاسم لا ينافسه فى ذلك إلا عام ١٨٦٨ الذى شهد ظهور قطر ككيان اقليمى متميز ، وعام ١٩٤٩ الذى تم فى نهايته تصدير اول شحنة من البترول القطرى ، وعام ١٩٧١ الذى تخلصت فيه البلاد من سائر قيود



المعاهدة المانعة التى وقعت عام ١٩١٨ فاخذت زمام امرها بيدها ، ودخلت عصر الانجاز الرائع فى مختلف المجالات الحياتية .

إن عام ١٩١٣ هو العام السابق لقيام الحرب العالمية الاولى بسنة واحدة ، وفيه توفى زعيم قطر ومؤسس كيانها المستقل المغفور له الشيخ قاسم بن محمد ال ثانى ، وفيه ايضاً وقع زعماء تركيا الذين كانوا خلعوا السلطان عبد الحميد ما عرف باسم الميثاق الانجلو ـ تركى ، وهو ميثاق وقع بالاحرف الاولى فقط وحالت الحرب العظمى التى دخلتها تركيا الى جانب معسكر الوسط الالمانى ـ النمساوى ضد بريطانيا وحلفائها دون توقيعه توقيعاً كاملا ومع ذلك فان بريطانيا التى كان الميثاق فى صالحها مضت فى تنفيذه دون تردد . وقد حدد الميثاق المذكور ، بموجب «الخط الازرق» المشهور ، حدود ما سمي بامارة نجد اعتباراً من نقطة تقع على مسافة عشرة أميال من جنوبى العقير ، وامتداداً بخط مستقيم الى الربع الخالى جنوباً .

وفى هذا العام نفسه الذى تولى فيه الشيخ عبد الله بن قاسم مقاليد الحكم فى مكان والده قام الملك (الأمير عندئذ) عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ال

نهاية العصر الذهبي للغوص وتجارة اللؤلؤ

سعود باجتياح إقليم الإحساء وطرد الحاميات التركية منه بعد إقامة لها فيه دامت من عصر باشوية مدحت باشا المشهور فى بغداد (١٨٧١) الى ١٩١٣ .

البحر واللؤلؤ

لقد كان مجرد جلوس الشيخ عبد الله فى مكان والده المتوفى ينطوى بحد ذاته على خطر كبير لضخامة الفراغ الذى تركه ذلك الرجل الذى كان اعظم شخصية فى المنطقة باسرها ، واشدها وقاراً وهيبة وعزيمة ... لكن ذلك لم يكن هو التحدى الوحيد ، فقد انطوى تغير الأوضاع فى الاحساء الى ظهور مصاعب قبلية مستجدة .. لكن كل شيء كان يتضاءل امام ركود اسواق اللؤلؤ فى الهند والقارة الأوروبية على السواء .. وهو ركود سرعان ما افضى الى جمود مطلق بل وتوقف تام لكل انواع المتاجرة باللؤلؤ .. لقد كان واضحاً من تطور الصراع الدولى فى البلقان ان حرباً هائلة كانت ستندلع حتماً ، وقد اندلعت بالفعل صيف عام ١٩١٤ ، ومعروف ان الحروب وتجارة اللؤلؤ لا يلتقيان ، فاللؤلؤ بضاعة سلم وترف ومباهاة فى الصالونات والحفلات ، وهى امور لا تترك الحروب الكبرى لها مجالا .. إن البضائع التى تشغل اذهان الناس فى الحروب تكاد تقتصر على المواد الغذائية .. بل إن التوترات الدولية التى سبقت تلك الحرب قد ادت الى تراخ شديد فى اسواق اللؤلؤ فى البحرين وبومباى وباريس ولندن على السواء ، ولدينا مجموعة ملحوظة من المراسلات فيما بين الشيخ قاسم بن محمد الذى احتمل خسارة هائلة بلغت بضعة ملايين من الروبيات فى وقت كانت فيه الروبية الهندية تعادل بقيمتها الشرائية اكثر من ثلاثين ضعفاً مما هى عليه الآن ، وبين مجموعة من تجار اللؤلؤ كالسيد محمد عبد اللطيف المانع وغيره ، وهى رسائل تشير الى شدة حساسية السوق حيال الأوضاع الدولية ، بحيث كان الشيخ قاسم يطلب باستمرار من هؤلاء الوكلاء وغيرهم تقارير عن الأوضاع السياسية الدولية وتطوراتها ..

وايما كان الحال فان وفاة الشيخ قاسم جاءت قبل التوقف التام للسوق ، ففى بداية عام الحرب ١٩١٤ كان القماش «اللؤلؤ» يتكدس لدى تجاره فى البحرين وبومباى لتوقف الطلب عليه ...

لقد كان الأمر مأساة رهيبة بكل معنى الكلمة ، وكان بالنسبة للقطريين بخاصة مصيبة تقصم الظهر فقد كان اللؤلؤ هو المصدر المباشر لحياة اكثر من تسعين بالمئة من سكان قطر الذين كانوا يقضون من اعمارهم فوق ظهور السفن اكثر بكثير مما يقضون فى البر . لقد كان للقطريين حوالى الف سفينة ومركب يعمل سوادها الغالب معظم العام فى المغاصات ولك أن تتصور مدى الفجيعة فى كل بيت قطرى حين يمتنع بيع حصاد الموسم كله من اللؤلؤ ، فقد كان الناس ينتظرون العام كله لاستلام ثمن اللؤلؤ لسداد ديون الشتاء ولشراء احتياجات الطعام والملابس .

ولكن الحاجة للحياة هى اشد إلحاحاً من أن يقبل الناس ذلك الواقع المرير بمجرد التسليم والموت جوعاً .. فقد كان اكثر الناس ينطلقون للعمل فى تجارة السلاح ، وهى تجارة كان الانجليز المهيمنون على البحر يحظرونها حظراً تاماً إلا بترخيص منهم لا يكادون يعطونه احداً ... لكن قطر كانت هى والإحساء الموقعين الوحيدين الناجيين من هيمنة الانجليز الأمر الذى كان يجعل من قطر السوق الوحيدة المكشوفة لتلك المتاجرات . ولعله بسبب تلك الميزة التى انفردت بها قطر أن الانجليز حرصوا فى مطلع الحرب العالمية الأولى على طرد الحامية التركية من قلعة العسكر فى «البِدْع» ابتغاء مد نفوذهم الى قطر والهيمنة بالتالى على تجارة السلاح فى سائر منطقة الخليج . وبالفعل فقد انزلوا قواتهم من البحر فى الدوحة عام ١٩١٥ . وبمساعدة من الشيخ عبد الله بن قاسم والقطريين تمكنت الحامية التركية من الانسحاب بسلام ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ ضغط الانجليز للحصول على معاهدة مانعة مع قطر على غرار سائر المحميات فى المنطقة لكن الشيخ عبد الله استمسك بثبات بممانعته السماح لأى أجنبى بالنزول فى قطر أو السماح حتى لوكيل سياسى بريطانى بالوجود فى البلد . ولدى موافقة بيرسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى بوشهر بارفاق رسالة منه فى صلب المعاهدة . يتعهد فيها بقبول مبدأ وقف العمل بالبنود الخاصة بالرعايا الانجليز فى قطر فقد تم توقيع تلك المعاهدة فى نوفمبر عام ١٩١٨ . ولم تف بريطانيا بالتزاماتها بتزويد الشيخ بكمية السلاح التى نصت عليها المعاهدة لقاء حظر تجارة السلاح القطرية كما رفض الانجليز كل التزام صريح بالدفاع عن الحدود البرية القطرية لأسباب كشفت عنها ظروف الثلاثينات من هذا القرن .

وأدى تدخل الانجليز فى حرية القطريين بالمتاجرة بالسلاح الى تفاقم الأزمة الاقتصادية فى البلد

● ●

ولم تنفرج ازمة اللؤلؤ إلا بعد حوالى ثلاث سنوات من بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فى نهايه عام ١٩١٨ وخلال هذه الفترة الطويلة كانت قطر قد خسرت الكثير من سفنها ومراكبها كما ارتحل عن البلاد عدد من سكانها نتيجة الضائقة الاقتصادية ... ولم تعد أحوال الغوص الى وضعها المزدهر قبل عام ١٩١٣ فان سجلات المقيمية البريطانية في بوشهر تشير إلى ازمة اللؤلؤ اعتباراً من عام ١٩٢٨ في نطاق الأزمة الاقتصادية الدولية وظلت أحوال السوق العالمية مضطربة إلى أن دخل السوق اللؤلؤالصناعي الياباني أوائل الثلاثينيات ثم تكرر التازم الدولي منذ منتصف الثلاثينيات وما لبثت الحرب العالمية الثانية أن وقعت عام ١٩٣٩ فكان ذلك ختام حياة السوق اللؤلؤية .

ويجب اعتبار عام ١٩١٣ من منظور التاريخ الاقتصادى والاجتماعى هو عام التحول الحاسم في قطر الذي ظل يتواصل إلى أوائل الثلاثينيات مغيراً صبغة البلد من برمائي ذي اقتصاد قائم على الغوص وحياة جوهرها قبلي تقليدي ، إلى حياة مستجدة يشكل دخول الاجور السريعة واعمال التجارة والنقل البحري فيها عصب الحياة الاقتصادية . والواقع أن انتقال الناس من المغاصات إلى حياة أخرى قد بدأ

فى ذلك الوقت .. لقد وجد شيخ قطر الجديد عام ١٩١٣ أمامه مشكلة تحمل الكثير من العبء الاجتماعي والاقتصادي الناجم عن انهيار صناعة الغوص واللؤلؤ. ويظهر ان الوضع المالي لوالده الشيخ قاسم كان معظلم الوقت افضل من وضعـــه بكثير .

الحقيقة اننا لحسن الحظ نملك وصية الشيخ قاسم مكتوبة بيده وهى تشمل تركة جيدة بكل المقاييس ، لكنها بمجموعها لا ترقى الى ثلث الخسارة الكبرى التى تعرضت لها تجارة الشيخ فى عام واحد من أوائل القرن الحالى فمن اين كان يمكن ان تاتى الثروة الى الشيخ عبد الله بن قاسم لكى يواجه مئات الأسر التى انكشف حالها فى الأوضاع الجديدة ...

لقد كان الشيخ الراحل قاسم أشبه بجدار ضخم يستند له الناس فى قطر حيـــال كل مشكلة تعصف بهم ... وكان الرجل هليئا بكل معنى الكلمة . لقد كان يعرف ظروفه حق المعرفة ، وعلى الرغم من حقيقة زهده وترحيبه بكل فرصة مواتية للتوجه الى الصحراء او اى من معتزلاته الكثيرة التى كان ياوي اليها كلما تازمت الأمور فى البدع كالوسيل ومسيمير ، إلا انه كان يقدر المال حق قدره فى دفع الأزمات واستمالة القبائل وسداد حاجات الناس ، لكنه والحق يقال لم يتعرض طوال حياته لأزمة من نوع الأزمات التى تعرض لها الشيخ عبد الله فى المجال الاقتصادى . صحيح ان فترات من الكساد وتخلخل الأسعار كانت تعترى السوق أما ان يتوقف كل شيء فذلك ما لم يحدث فى عهده على الاطلاق ، لذلك كان المال الاحتياطى الذى يدخره كافيا فى جميع الحالات ، وما كذلك كان الوضع بالنسبة لولده عبد الله .

واقع الأزمة

وقد كان من ابرز الفروق بين مفهوم قطر المعاصرة وقطر عام ١٩١٣ هو عدم توفر ميناء مواتية لرسو السفن التجارية الكبيرة فى قطر . لقد كان على السفن ان تقف الى مسافات متطاولة فى عرض البحر ثم تتولى القوارب الصغيرة نقل محتوياتها ، وبالنظر لهذه الصعوبة وللضيق المتناهى الصغير للسوق المحلية القطرية فقد كان على القطريين الاعتماد فى مشترياتهم على دبي او البحرين ، وكان هذا من جملة العوامل المشجعة للبحث عن وسيلة للرزق خارج البلاد ولو الى حين .

وخلال هذه الظروف بالذات ارتحل كثيرون من القطريين الى خارج البلاد ولاسيما فى البحرين والامارات وربما لهاجر ابعد من ذلك ، بينما تحدى الكثيرون كل التحذيرات الموجهة لهم بالتوقف عن تجـــارة السلاح ، وظلوا يمارســـون هذه التجارة فى وجه مخاطر جسيمة للغاية . لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى اضعف كثيراً عمليات توريد السلاح الى مسقط التى كان المتعاملون المحليون بالأسلحة يغشونها لشراء ما يشترونه .

وهكذا يمكن القول بأن اول درس قاس للقطريين حيال توقف مواردهم الاقتصادية وما يعنيه ذلك فى حياتهم من الترحل هو ما حصل عام ١٩١٣ والأعوام التى تلته .

ومن بالغ الأسف اننا لا نملك سوى أوراق قليلة جدا فى وصف المشاق الجسيمة التى نجمت عن تلك الحالة المؤسفة . إن ما بين أيدينا بعض مراسلات بين الشيخ عبد الله وبين التاجر البحرينى يوسف كانو وفيها نرى الشيخ يشكو بلهجة المتصبر الذى يعالج كتمان الامه النفسية بمشقة هائلة ، من إلحاح بعض أقربائه فى طلب مال منه ، وهم يجهلون ما يعانيه هو صامتاً بينما يحسبون هم أن لديه ما يخفيه عنهم وهو أمر غير صحيح بالفعل ...

على انه إذا ما أعيا علينا تقديم صورة واضحة لتلك الأحوال المفجعة فان ذلك لا يحول دون تصور ما يمكن ان يكون عليه الحال ، وذلك بالمقارنة فى القياس على الأحوال التى سارت خلال مجاعة الحرب العالمية الثانية حين هبط عدد السكان الى أقل من النصف من جراء الهجرة والمجاعة معاً ، وذلك بالرغم من أن الشيخ عبد الله خلال الحرب الثانية كان يتقاضى من شركة الامتياز البريطانية بعض المال على هيئة جعل نص عليه فى بنود امتياز البترول الأمر الذى كان يجعل مركز الشيخ أهون مما عاناه فى الحرب الأولى ...

لقد كان وقع الأزمة أشد ما يكون فى الدوحة والوكرة والخور حيث كانت هذه المواقع المستقرة تعتمد أساساً على سوق اللؤلؤ . أما قبائل قطر البدوية فانها كانت تتنقل بحرية ناحية الاحساء وتستطيع أن تعيش على الحد الأدنى من عطاء ماشيتها وما تحصل عليه من التمور . ومع ذلك فانه يستحيل الجزم بأن تلك القبائل لم تعان هى الأخرى معاناة شديدة نتيجة لضمور موارد الحياة فى مدن الساحل وقراه ...

التحدى الكبير

وهكذا نرى أن عام ١٩١٣ قد أغلق العصر الذهبى للغوص وتجارة اللؤلؤ كما انتهت فيه حياة الرجل العظيم الذى كان رائد ذلك العصر وبطله كما انه جاء باعتراف دولى من تركيا وبريطانيا بقيام دولة قطر ككيان سياسى إقليمى برياسة أسرة آل ثانى ، كما وجهت بريطانيا رسالة لتاكيد تفاهمها مع الملك (الأمير عندئذ) عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بتاريخ العشرين من ديسمبر عام ١٩١٣ على الاعتراف نهائياً بهذا الكيان السياسى الاقليمى وهو ما أكد لاحقاً فى معاهدة العقير بين سير بيرسى كوكس ممثلا لبريطانيا وبين الأمير عبد العزيز عام ١٩١٥ للميلاد .

على أن ذلك العام نفسه أبرز للمرة الأولى التحدى الكبير الذى واجهته قطر قروناً عديدة باعتمادها الضخم على مورد حياتى واحد ، وقد شاءت الأقدار أن يتكرر التحدى خلال الحرب العالمية الثانية بالرغم من ظهور البترول أوائل تلك الحرب. لقد أدى تكرر تلك المأساة الى هبوط عدد السكان فى شبه الجزيرة القطرية الى حوالى ثلث ما كان عليه أيام الشيخ قاسم ابن محمد .

من هنا يبدو الجهد الحثيث لقطر المعاصرة بزعامة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى الأمير المفدى فى تنويع مصادر الدخل القطرى فى حقيقة ابعاده وخطورته ، ولقد اردت ايضاً بهذا المقال أن أبرز بعض ملامح الحياة القديمة ليس بالنسبة لقطر وحدها ولكن لسائر دول المنطقة ، كما أريد فى الواقع أن الفت نظر شباب الخليج بعامة ، وقطر بخاصة الى الأهمية الكبرى لاقتدارهم الذاتى على ادارة سائر الصناعات والاستثمارات المنوعة لمصادر الدخل الخليجى ، والله الموفق لسبيل الرشاد ..

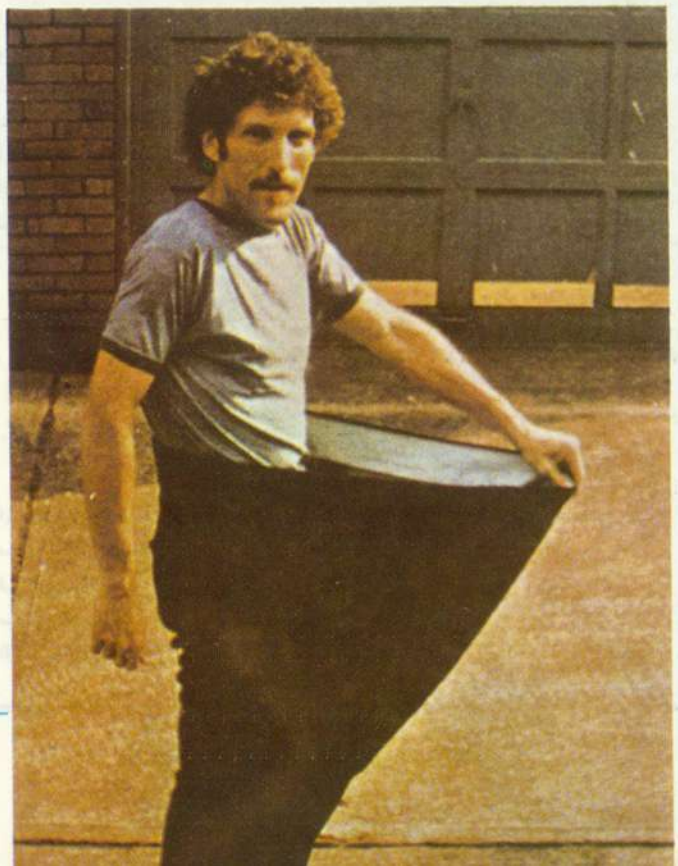
أحمد العنانى

لقطات من الكون المثير

حتى الطيور تمرح وترفّه عن نفسها

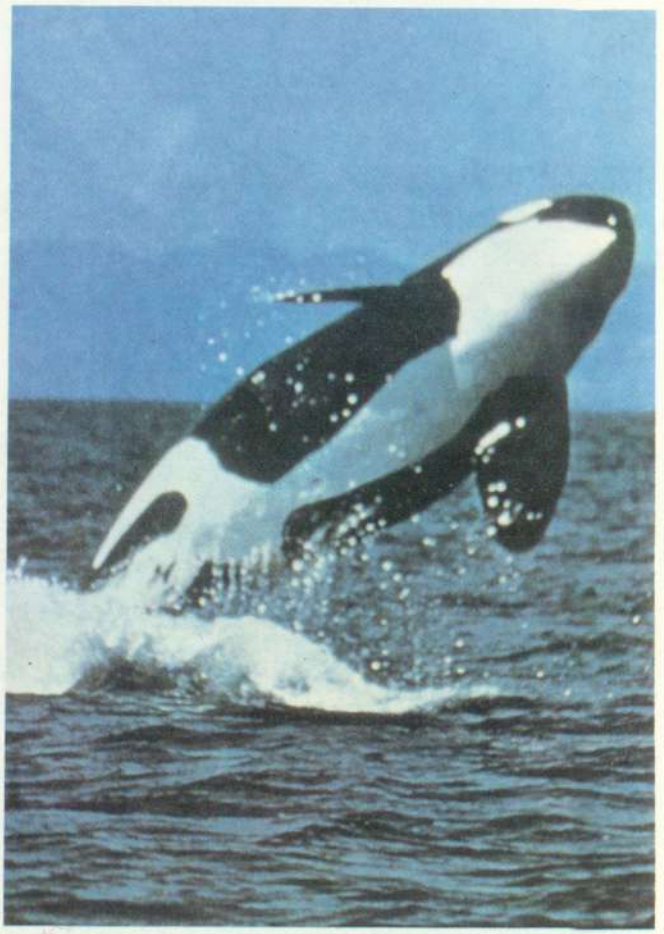
كالبشر الذين يستمتعون بوقت فراغهم ، ويثبتون جدارتهم فى التصويب برصاصاتهم على أهداف تندفع الى الهواء ، كما هو الحال فى نوادى الصيد مثلا ، يقوم هذا الطائر الأفريقى المعروف باسم «السكرتير» بتجهيز ربطة من العشب ، وياخذها بين مخالبه ، ويرتفع بها الى أعلى ، ثم يسقطها ، ويندفع وراءها فى حركات بهلوانية مثيرة ، لينقض عليها بمنقاره أو مخالبه ، ثم يدعها لتسقط ، حتى اذا ابتعدت عنه بمسافة معقولة ، هوى مسرعا خلفها ، وتتكرر منه هذه الحركات الغريبة التى لا يعرف أحد لها تفسيراً .. البعض يقول ان الطير يمرح فى وقت فراغه ، وهو مرح مفيد على أية حال ، إذ يبدو أن الطير تتقن بذلك تدريباتها على الصيد فى الهواء !





ليس معتوهاً !

ماذا يريد هذا الشاب أن يقول لنا من خلال هذا العرض الغريب ؟ .. الواقع انه يستعرض ثوبه القديم ، فلقد كان هذا البنطلون مقاسه الحقيقى قبل أن ينقص وزنه من ٢١٦ كيلوجراما الى ٥٩ كيلوجراما ـ كما نراه الآن ، أى فقد من وزنه ١٥٧ كيلوجراما فى غضون ثمانية أشهر لا غير ، فلقد عاش على طعام تتراوح سعراته الحرارية ما بين ٣٠٠ ـ ٦٠٠ سعر حرارى يومياً (الانسان العادى يحتاج ما بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ سعر حرارى يومياً) .. الصورة فى كتاب جينيس للأرقام القياسية .



طـوربيـد .. بحـر/جـوّ

كأنما هو ذاك ، لأن هذا الحوت (طوله حوالي عشرة امتار) ينطلق فجاة من الماء الى الهواء كقذيفة ضخمة ، لكنه سرعان ما يعود الى الماء ، وقد يكرر نفس الحركة ، ولقد أرعب هذا السلوك الناس ، وخاصة البحارة ، فكانوا أن أطلقوا عليه اسم «الحوت القاتل» ، ولكن معظم العلماء يميلون الى تبرئته من هذه التهمة الجائرة ، إذ لم يثبت أنه متعطش لدماء البشر او لشحمهم ولحمهم ، كما تقول الحكايات ، ولا أحد يعرف لماذا يقوم الحوت بهذا الانطلاق الفجائي فى الهواء ، خاصة وأنه يستهلك فيه طاقة هائلة ، لكن هناك آراء تشير الى أن الحوت قد يستشعر الخطر ، فيندفع ليهرب ، أو ليثير حالة من الرعب على من حوله ، ويقال أيضاً انه نوع من استعراض العضلات اثناء فصل التزاوج ، وهو الرأى الأرجح ، والله أعلم !

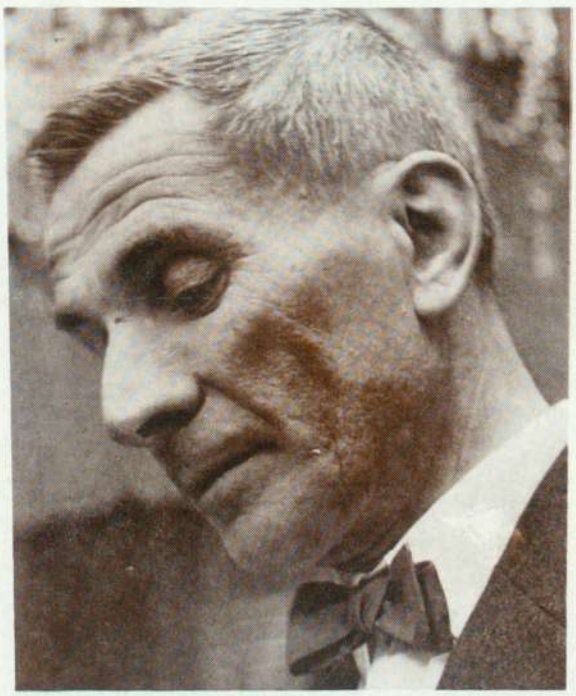


حفّـــــارحمـيّـــ !

يبدو أن الحياة كانت غنية للغاية فى أفكارها ، وبحيث لم تترك فكرة إلا وطرقتها ، فهذا «الدبور» الذى يقف على فرع نبات يمثل لنا فكرة الحفار الذى نبحث به عن البترول فى باطن الأرض ، لكن هذه الأنثى تبحث عن شىء آخر مختلف ، إذ لديها حاسة كيميائية مذهلة ، بحيث تستطيع أن ترصد أية دودة مختفية داخل نسيج النبات ، وبعد تحديد الموقع بدقة تامة ، تأخذ وضع الاستعداد ، وتثبت أقدامها على النبات ، وتوجه «ابرة» الحقن الى جسم الدودة فى مخبئها (الجزء الأسود المستطيل بين أرجلها والقادم من البطن الممتلئة) وتحقن عدداً من بويضاتها ، لتفقس على هيئة يرقات ، فتتغذى على الضحية ، ولن تتركها إلا جلداً خاوياً ، ورغم ما فى هذه العملية من قسوة ، إلا أنها تنطوى على رحمة ، إذ تنقذ النباتات من تدمير تلك الديدان المؤذية ، وهكذا لا يفل الأذى إلا الأذى ، كما لا يفل الحديد إلا الحديد .

ذكريات أدبيّة مع :

الروائي الذي تسلق جبال الألب



الروائى والقاص والرسام الايطالى « دينو بوتساتى »

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

حين وصلت الى ميلانو لأول مرة ، فى اول تشرين الثانى عام ١٩٦٠ ، كان همى ان اعرف اكبر عدد ممكن من كبار الكتاب والشعراء الايطاليين ، وأن أزورهم فى بيوتهم او فى مكاتب عملهم ، لاعقد معهم احاديث أدبية ، ولأوطد معهم علاقات صداقة شخصية . وقد تعرفت فعلا بعدد غير قليل منهم خلال الفترة التى قضيتها فى ميلانو ، وهى سبعة عشر يوماً .

من أطرف الشخصيات الأدبية التى عرفتها هناك ، الكاتب القصصى والروائى ، والرسام ، ومتسلق جبال الالب ، «دينو بوتساتى» .

بحثت عن اسم «بوتساتى» فى دليل الهاتف ، فوجدته ، واتصلت به ، فرد علي صوت فى الطرف الآخر من الخط يقول : «برونتو» – وهى كلمة ايطالية تقابل «هالو»

فقلت : البروفسور دينو بوتساتى ؟

فرد علي الصوت بلهجة جادة وغير ودية : انا لست بروفسوراً ...

فسالت من جديد : الدكتور بوتساتى ؟

فعاد الصوت يقول باللهجة الجادة عينها : ولست دكتوراً ...

فابتسمت فى سرى .

وعدت اسال من جديد : – السيد بوتساتى ؟

فاجاب الصوت اقل حدة هذه المرة : نعم ، انا السيد بوتساتى «حاف» ، دون القاب اخرى ...

فقلت : معذرة اذا كان فى تلقيبى إياك بالبروفسور ، او الدكتور اى اساءة ؛ فانا ما قصدت الى شيء من ذلك .

فقال مطمئناً : لا عليك من ذلك ؛ فلعلك اعتدت ان تعرف ان كل الايطاليين يحبون ان يدعوا بلقب (بروفسور ، او دكتور ، او كومنداتور ...) هل لي ان اعرف من المتكلم؟

فقلت له اننى كاتب عربى من الأردن ، واننى هنا لكى اتعرف بالكتاب الايطاليين ، وبالأدب الايطالى المعاصر ، واننى ارغب فى لقائه ، إذا لم يكن لديه مانع .

فرحب بى ، واعطانى موعداً : الساعة العاشرة من صباح الغد فى مكتبه فى رئاسة تحرير جريدة (كورييرى ديلا سيرا) . وذكر لي اسم الشارع الذى تقع فيه الادارة ورقم العمارة التى فيها الجريدة ؛ وهى بجوار دار الأوبرا الشهيرة (لا سكالا) .

هكذا كان اتصالى الهاتفى الأول مع

بوتساتى غريباً ، ومثيراً للفضول .

وفى صباح اليوم التالى ذهبت الى (شارع سولفرينو ، رقم ٢٨) ، وسالت عن دينو بوتساتى ، فخرج لي شاب لطيف : كان هو الشاعر الشاب البريكو سالا . فقدم الي نفسه ، وقال ان صديقه «انتسو فابيانى» قد حدثه عنى مساء اليوم السابق .

ألا يبدو هذا غريباً ؟

وفعلا كنت فى مساء اليوم السابق عند «فابيانى» ، فى مكتبه فى دار روسكونى للنشر ، ووعدنى بان يعقد اجتماعاً فى منزله ، يدعو اليه عدداً من اصدقائه الشعراء الشباب لكى يقدمنى اليهم ، ويقدمهم إلي .

من حديثى مع «البريكو سالا» عرفت انه شاعر ، ومحرر فى جريدة (كوريير دى ديلا سيرا) . وتفضل فاهدى إلي نسخة من ديوان شعرى له ، عنوانه «نقوش واغان» . ثم رافقنى الى مكتب «بوتساتى» .

استقبلني «بوتساتي» مرحباً ببشاشة لمعرفته انني كاتب عربي ، وانني قد جئت من بلادي البعيدة لأعرف الكتاب والشعراء الايطاليين ، وأطلع على أدبهم ، ثم أحاول أن أعرف القراء العرب باشياء من الأدب الايطالي المعاصر .

وسأل بوتساتى : القراء العرب فى أى بلد ؟

ـ في كل البلاد العربية فى آسيا وأفريقيا الشمالية .

ـ ولكن أنت ، من أى بلد عربى ؟ معذرة عن السؤال ؟

ـ انا من الاردن .

ـ من الأردن ؟ ولا تكتب للأردنيين وحدهم ، كما أكتب انا للايطاليين وحدهم ؟

فابتسمت ، وقلت : كل العرب فى كل اقطارهم يكتبون ويقرأون اللغة عينها ، والأدب نفسه ، على الرغم من أنهم يتكلمون فيما بينهم مئات اللهجات ، التى قد لا يفهمها الآخرون بين قُطر وقُطر ، أو قد يفهمونها بصعوبة ، تماماً كما هى الحال فى إيطاليا : فابن روما قد لا يفهم شيئاً من لهجة ابن بولونيا ، أو ابن فلورنسا ، أو ابن البندقية ، مثلا ، ولكنهم جميعاً يفهمون الايطالية الأدبية .

فسأل «بوتساتى» بلهجة فيها استغراب كثير : ألا يبدو هذا غريباً ؟

فأجبت : قد يبدو هذا غريباً لغير العربى ، ولكنه ليس غريباً علينا نحن العرب الذين يكتبون ويقراون اللغة الفصحى الوحيدة منذ أجيال لا حصر لها .

فقال : هذا حقاً مثير للاستغراب . ألا يبدو لك الأمر كذلك ؟

استغرق اللقاء نحو نصف ساعة فقط ، وحدثنى بوتساتى عن أعماله الأدبية : عن روايته «صحراء التتر» ، وعن روايته الأخرى «الرسم الكبير» . وقال لي انه ولد فى (بيللونو) عام ١٩٠٦ ، وانه درس الحقوق فى جامعة (بافيا) ، ولكنه بدلا من المحاماة فضل العمل فى الصحافة ، وانقطع لها منذ عام ١٩٢٨ ، حين التحق بجريدة (كورييرى ديلا سيرا ـ أى بريد المساء) ، وقد كتب عدداً غير قليل من الروايات والأقاصيص الطويلة والقصيرة .

وذكر لي بوتساتى انه رسام كذلك ، وانه اقام عدة معارض لرسومه . ووعدنى بان يهدى إلي فى مكان إقامتى فى روما بعض مؤلفاته . وفعلا ، عندما عدت الى روما بعد ذلك ، وجدت فى منزل الطلاب الذى كنت أقيم فيه ، روايتى بوتساتى : «صحراء التتر» و «الرسم الكبير» ، ومعهما روايته الأولى «برنابو ابن الجبال» .

ومثل بقية الأدباء الايطاليين الذين عرفتهم ، اتصلت المراسلة بعد ذلك بين بوتساتى وبينى .

فى احدى المرات ، فى ٢٢ حزيران ١٩٧٠ ، كتبت اليه أطلب الاذن بترجمة اقصوصتين له الى اللغة العربية ، هما (الجرذان ـ والمعطف) ، وذكرت له ان روايته «صحراء التتر» قد ظهرت باللغة العربية فى مصر ، وسألته ان كان لديه علم بذلك .

ورد علي بوتساتى بتاريخ ٢٩ حزيران نفسه برسالة أعتبرها ذات أهمية خاصة ، لأنها غير اعتيادية . وهذه ترجمة الرسالة .

النقود فى بطاقة معايدة

عزيزى السيد عيسى الناعورى :

«أشكرك على رسالتك اللطيفة . اننى بكل سرور آذن لك بترجمة اقصوصتى (الجرذان ـ والمعطف) الى اللغة العربية . إلا انه من المستحسن ان تنبه ناشرى الى ذلك ، وعنوانه (شارع بيانكا دى سافويا ، رقم ٢٠ ـ ميلانو) » .

ثم يضيف بوتساتى فى الرسالة قائلا :

«لم أكن أعلم أن «صحراء التتر» قد ترجمت الى العربية . وبهذه المناسبة ، إن لم يكن فى طلبى ازعاج لك ، هل فى وسعك أن تزودنى بنسخة من الترجمة ؟» .

(ولقد زودته فعلا بالنسخة الوحيدة الموجودة منها لدى ، ولم استطع أن اعثر على غيرها) .

ويضيف بوتساتى بعد ذلك قائلا :

«والآن ، شىء مثير للغرابة : اننى لا أستخدم حافظة نقود فى العادة ، بل احتفظ بنقودي مئنية داخل أربع بطاقات أو خمس ، من البطاقات التى تصل الي من بعض الأصدقاء . ومن الطبيعى أن أرانى ، من حين الى آخر ، مضطراً الى تغيير هذه البطاقات بسبب التلف .

حسناً . لا أدرى لماذا ، ربما لأننى أرى ذلك من حسن الفال ، ودون قصد ، منذ عيد الميلاد عام ١٩٦٤ احتفظ بنقودى داخل حافظة مزعومة من بطاقة معايدة جاءتنى منك . وقد اصفرت ، بطبيعة الحال واهترأت . ومن يدرى الى متى سأظل أحتفظ بها ...» .

هذا الجزء الأخير من الرسالة هو الذى أعتبره شيئاً نادراً وغريباً ، فى الواقع ، وله ، لأجل ذلك ، أهميته الخاصة لدي .

ويختتم بوتساتى الرسالة بتوقيعه وعنوانه :

«دينو بوتساتى ـ شارع فيتوريو فنتو ، رقم ٢٤ ـ ميلانو» .

ولم تكن هذه حتماً آخر رسالة تلقيتها من بوتساتى .

وحين علمت أن بوتساتى قد غاب فى ٢٨ كانون الثانى عام ١٩٧٢ ، حزنت عليه حزناً شديداً ، ورثيته بمقال مصور ، استغرق صفحة كاملة من احدى الجرائد الأردنية اليومية ، صدرت يوم الثلاثاء ١٩ نيسان ١٩٧٢ ، وأرسلت نسخة منها الى أرملة بوتساتى ، السيدة المرينا بوتساتى .

النمر

أقوى وأجمل القطط المفترسة

بقلم: محمد أدهم أديب





النمر البنجالى وسط الاحراش

يعتبر النمر أقوى وأشرس وأعنف القطط الضخمة التى تعيش فى الغابات والبرارى الآسيوية وغابات وجبال أمريكا الجنوبية على الاطلاق .. وهو سيد هذه القطط الضخمة بعد الأسد بلا منازع .

والنمر حيوان ثديي ضخم يرجعه علماء الحيوان الى القطط الكبيرة الحجم .. شانه بهذا كشان الأسد والفهد والبوما والببر واللبوة .. وغيرهم ..

وهذه القطط الكبيرة الحجم المذكورة تنتمى بدورها الى الفصيلة السنورية ، التى تنتمى اليها الكلاب والثعالب والذئاب والدببة والضباع وبعض الحيوانات الأخرى ، اضافة الى القطط الكبيرة والصغيرة ..

والفصيلة السنورية أيضاً تنتمى الى رتبة أكلة اللحوم التى تنتمى الى طائفة الثدييات .. والثدييات تنضوى تحت قسم الفقاريات .

والنمر بعكس الأسد تماماً فهو غير اجتماعى ويعيش بشكل انعزالى عجيب يستغرب له العلماء كثيراً .

كما يعد النمر من أمكر القطط الضخمة وأكثرها مهارة فى الصيد .

الصفات الرئيسية

يعد النمر من أجمل الحيوانات بعد الأسد على الرغم من شراسته الشديدة ، ويصل طوله الى أكثر من ثلاثة أمتار وذيله ممدود .. والى أكثر من مترين ونصف باستثناء ذيله .

ويبلغ وزنه فى معظم الأحيان حوالى (٢٢٠) كغ .. ولكن قد يزيد وزنه فى بعض الأحيان فيصل الى (٣٠٠) كغ .

ويتناول النمر فى اليوم أكثر من ثلاث وجبات .. يصل وزن كل وجبة الى أكثر من (٥٠) كغ وفى بعض الأحيان الى ٧٥ كغ .

ويصل ارتفاع النمر عن الأرض الى متر و ٢٠ سم .. وأحياناً يصل ارتفاعه الى (١) متر و (٤٠) سم .

ويعيش النمر عمراً قصيراً يصل الى (١٥ سنة) فى الحالات العادية و (١٧) سنة فى الحالات المتوسطة و (٢٢) سنة فى الحالات القصوى القليلة .

ويستطيع النمر أن يقفز قفزات طويلة وعديدة تصل كل قفزة أحياناً الى أكثر من (٦) أمتار ، وعددها الى أكثر من (٥) قفزات فى الثانية .

ولانثى النمر أربعة أثداء صدرية وأخرى بطنية .. ويتميز بانه يملك أنياباً طويلة وكبيرة وصلبة وحادة ومقوسة من الأمام ، وانه يمتلك أضراساً قوية حادة لها رؤوس مدببة تساعده فى طحن الفريسة ،



لقطة توضح شراسة وعنف النمر المنتشر فى ادغال التبت ومنغوليا

أما القواطع فهى صغيرة الحجم .

وجلد النمر بنى اللون مخطط او منقط باللون الأبيض والأسود .

أنواع النمر

وللنمر أنواع كثيرة تنتشر فى كل أنحاء العالم أهمها النمور الآسيوية التى تتميز بكثرتها .

ويبلغ عدد النمور حالياً حوالى (٨٠٠٠) نمر بعد أن كان عددها يصل الى (٤٥٠٠٠) نمر . أى أن النمور تنقرض شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام .

ومن المؤكد اننا سنجد فى يوم من الأيام أن النمور قد انقرضت تماماً من الغابات الآسيوية والافريقية .. والأوروبية والأمريكية ، ولم يبق منها أى نوع فأصبحت أثراً بعد عين .

ويمكننا أن نقسم النمور الآسيوية الى :

● النمر السيبيرى : وهو من النمور الكبيرة الحجم .. يعيش فى الاتحاد السوفيتى بشكل عام وسيبريا بشكل خاص .. وهو يتحمل الجو القاسي الذى يتصف بالبرودة الشديدة شتاء والحرارة العالية صيفاً .. بالرغم من أنه لا يحب الحرارة العالية كثيراً .

النمر

أقوى وأجمل القطط المفترسة

ويعيش هذا النمر عادة فى السهول والجبال التى لا يزيد ارتفاعها عن (٢٠٠٠) متر فوق سطح البحر .

● النمر الصينى : وهو من أندر انواع النمور .. ينتشر أكثر ما ينتشر فى الصين والتبت ومنغوليا .. وهو يكاد أن ينقرض بسبب هجوم الانسان المتكرر عليه .

● النمر الهندوصينى : وينتشر فى انحاء كثيرة من آسيا مثل تايلند ولاوس وفيتنام وبورما وكمبوديا وسيام وجزء من الصين .

● النمر البنغالى : ويعيش فى الهند وباكستان وايران وبلاد الافغان .

● النمر الجاوى : ويوجد فى جزيرة جاوا وسومطرة ، كما يوجد بشكل ضئيل جداً فى بورنيو وبعض جزر الهند الشرقية . وهناك انواع آسيوية أخرى من النمور .. منها النمر السومطرى والنمر المنغولى والنمر البالى والنمر القزوينى والنمر السيامى .

ومن أهم انواع النمور الافريقية : نمر الكنغو .. ونمر روديسية والنمر النيجري .. ونمر انغولا .

● ومن أهم انواع النمور الامريكية : النمر الأمريكى .. والنمر المكسيكى ونمر الامازون

● ومن أهم انواع النمور الاوروبية : نمر سيبريا .. والنمر الانكليزى .

حياته الخاصة

وللنمر حياة خاصة به ، شانه بهذا شان الحيوانات الاخرى الفقارية واللافقارية .

فيعد النمر كبيراً ناضجاً بحيث يمكنه أن يتزوج .. عندما يصبح فى السنة الرابعة من عمره .

وتنجب الانثى فى كل مرة أكثر من خمسة أشبال ، تظل أعينهم مقفلة لا ترى طوال مدة (١٥) يوماً .

ويبلغ وزن النمر عادة عند ولادته حوالى (١) كغ .. وقد يصل وزنه الى (١,٥) كغ .

ويظل النمر خاضعاً لاوامر والديه حتى يبلغ سن الزواج .

وفى خلال هذه الفترة يخرج الشبل مع والده وهو فى السنة الاولى من عمره ليتعلم . وبعد مرور عام آخر يزاول الشبل الصيد بنفسه .

ثم يتزوج عندما يبلغ عمره (٤) سنوات

ويخرج النمر عادة للصيد فى الليل بحيث تكون الفرائس نائمة فيسهل اصطيادها . وهو إذا اضطر الى الصيد فى النهار فانه يكمن قرب الأنهار والسواقى بانتظار اى كائن كان يريد الشرب من ماء النهر . حتى لو كان هذا الكائن اكبر منه . خاصة إذا كان النمر جائعاً جداً .

الحياة العامة

يعيش النمر على أكل كافة أنواع الحيوانات المتوافرة .. فهو لا يتجاسر عن اقتناص اى حيوان كان . سواء أكان ذلك الحيوان كبيراً أم صغيراً ـ كما أسلفنا سابقاً ..

ويهاجم النمر فى بعض الاحيان الانسان إذا وجد .. خاصة اذا كان هذا النمر فى أقصى حالات الجوع .

كذلك يهاجم النمر الخنازير المتوحشة والغزلان والأسماك والابقار والايائل .

كما يهاجم النمر الدببة وصغار الفيلة .

ويستطيع النمر السباحة بشكل ممتاز بحيث انه يصطاد فريسته فى معظم الأحيان بواسطة السباحة .

ويعتقد البعض أن النمر يستطيع تسلق الأشجار بمرونة وسهولة .. ولكن الحقيقة انه يقفز قفزة واحدة تمكنه من أن يصل الى أقرب الأغصان المتينة المتواجدة فى أسفل الشجرة .. فيختفى وراء أوراقها .

وعندما يغضب النمر فانه يطلق أصواتاً حادة تثير الرعب والفزع تسمى بالزئير .. وهو يطلقها ايضاً عندما يخاف .

ومما يعرف عن النمر انه لا يتخلى عن مسقط رأسه أبداً .. فهو وإن بعد فلا يبعد كثيراً عن المكان الذى ولد فيه .

ومن طريف ما يذكر عن النمر انه يحدث فى بعض الاحيان فى حدائق الحيوان أن يتزوج نمر من أسد فياتى مولود غريب صفاته تجمع بين صفات النمر والأسد ويسمى اما (تايجونز) أو (ليجرز) .

جسم النمر

ويمتاز النمر عن غيره من الحيوانات بانه يملك انياباً كبيرة وحادة مقوسة من الامام بحيث يستطيع ان يغرزها فى جسم الفريسة التى يصطادها فيقطعها إرباً إرباً .

كما يملك النمر ايضاً عموداً فقارياً طويلا يضم اليه هيكلا عظمياً ضخماً .

وللنمر أضراس حادة قاطعة ومدببة يقوم عن طريقها بتقطيع جسم الفريسة وطحنها ليسهل هضمها .

وللنمر ايضاً قواطع صغيرة وأصابع خمس تحتوى على مخالب حادة تكون منكمشة فى الحالات العادية وبارزة فى الأوقات الخطرة التى يكون فيها النمر إما مهاجماً أو مدافعاً .

اما الأنثى فان فترة الحمل عندها تدوم الى أكثر من (١٠٠) يوم وهى تنجب فى كل ولادة من (٣) ـ (٦) أشبال واحياناً أكثر . وتستطيع الأنثى أن تنجب من زوجها طوال حياتها أكثر من عشر مرات .

وللنمر عدة ميزات هامة .. فاولا وقبل كل شىء ينفرد النمر بكونه من أهم الحيوانات الانعزالية التى لا تتصف بالاجتماعية (مثل الحيوانات الأخرى كالأسد والذئب اللذين يتصفا بانهما من أكثر الحيوانات حباً للاجتماعية) .

وأهم فائدة فى جسم النمر هو جلده الجميل المخطط الذى يعد من أغلى أنواع الجلود فى العالم (ولهذا السبب تعرضت النمور منذ الأزمنة القديمة لحملات صيد واسعة وكثيرة من قبل التجار والصيادين والاغنياء ـ وخاصة فى الهند ـ مما أدى الى انخفاض كبير فى عددها .. وقد أشرنا الى هذا من قبل) .

ومما يذكر أن الصينيين كانوا فى قديم الزمان يقدسون النمر ويخافونه ويعتبرونه وسيط القوى الالهية الخارقة فى الأرض والحياة .

واليوم كثيراً ما نشاهد النمور فى السيرك وهى تقفز فوق الحبال أو تدخل فى اطارات النار أو تؤدى أدواراً مخيفة مع الأسود والمدربين .

وتحاول الدول التى تعيش فى غاباتها النمور اليوم قدر المستطاع الحفاظ على هذه الحيوانات الشرسة .. وذلك منعاً من انقراضها ..

ثم لا يبقى إلا أن أقول أن النمور تظل أجمل القطط المفترسة بعد الأسد .. بل بعضها يتجاوز جماله جمال الأسد .

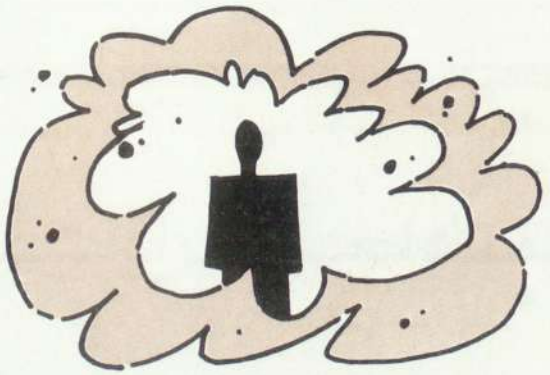
والنمر الأبيض المخطط باللون الأسود هو من أندر وأجمل أنواع النمور .. وقلما نجد نمراً من هذا النوع .

ويظل منظر النمر بشكل عام مبعثاً للخوف والرهبة والقوة والشموخ والشراسة .. وقد حق للصينيين أن يعتبروه وسيطاً للقوى العظيمة الخارقة .

محمد أدهم أديب

رماد الياسمين

شعر: فتحي سعيد



عبَر الصيفُ ..
فمرَّت ريحُهُ الجرداءُ دُونى
فاعْبُريها .. واعْبُرِينى !

• •

إن نأَى قلبى ..
خذيهِ واحتوِينى ..
أودَنَا دربى ..
فقومِى .. واسبقينى
أو سجَى ليْلِى ..
نَريه .. واتْبَعِينى . !
وإذا بُحْتُ فَدَارِينى .. دَفِينى
واذا غلَّقتُ بابِى ..
فاطْرُقِينى ..
وإذا عرَّيْتُ مَابِى ..
فاسْتُرِينى ..
قبل بَيْنى .. قرِّبِينِي
ربما أعرف شكّى من يقينى
وشمَالى .. من يَمينى
واغفرِينى . !

• •

أيها الوجْـهُ الذى غَابَ طويلاً ..
عن عُيـــــونى
أيها الوترُ الهاربُ من ليلِ لحونى ..
خشبُ العود الذي يشجيـكَ ... ،
لم يدْرِ أنيني ..
فاعْزِفِينِي .. !

• •

أورقَ الكرمُ على عرشِ الجبينِ
وغفا العنقودُ فى الصدرِ الحزينِ
طفلنا جاوزَ « حد الأربعين . ! »
فارحميـه وارحمينى ..
أدركينى !

• •

مر دهرٌ لَمْ تكونى ..
لم يعد باقٍ سوى ظلِّ السنينِ ..
وشتاءٍ شاحِبِ الأوراقِ .. ،
ظمآن الحنينِ ..
وخريفٍ .. مِن رَمادِ الياسَمِينِ . !

• •

فَدَعِينى ...
موجـةً تطفُو على نهر جُنُونى
نجمةً .. تركضُ فى صيفِ ظنونى ..
واذكُرِينى ..

الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا

لماذا تجاهلناها؟

بقلم : عبد القادر سيلا

من نافلة القول الاشارة الى أن لقاء وحوار الثقافات يتمخض عنهما حصاد فكرى طائل خصوصاً في عصر لم يعد فيه الانزواء و « النرجسية » مقبولا فى العلاقات الدولية . فقداصبحتمختلف الشعوب تعى موضوعياً أن عالم الغد لن يفسح المجال إلا لحضارات عالمية متفتحة . أضف الى أن المجتمع الدولى اليوم ، لتعقده ، يستدعى لقاءات عالمية من أجل الحوار بين تجارب الأمم ، حوار من شأنه أن يحرر الأفكار من عقالها ويهيىء الفرص لالتقاء العبقريات .

تفرض الظروف والملابسات الدولية على العرب والأفارقة أن يبحثوا سوياً عن أسس ووسائل لتنمية التعاون بينهم وبالأخص فى مجال التبادل الثقافى ويشرعوا عملياً فى تنفيذ ما قد يتفقون عليه فى هذا الميدان حتى يتداركوا ما فوتته عليهم حقب الاستعمار لاسيما وقد تغيرت الظروف التى عاقت سابقاً من استمرار العلاقات الطبيعية بين الجانبين .

يعتز كل جانب من طرفى هذا الحوار بماض عريض وغنى متلون الجوانب ، وتتوفر لديهما إمكانيات بشرية هائلة وتتشابه مصالحهما السياسية والاقتصادية . ونتيجة لذلك لاينقص الجانبين إلا التفكير الخلاق والارادة السياسية المتبعة لاخراج التعاون بين هذين الكيانين الثقافيين إلى حيز الوجود .

على أن هذا الحوار الموضوعى المقترح هنا لا يجوز أن يتشرنق فى زاوية منعزلة ، وإنما يطمح فى فتح مجال أوسع للثقافة العربية الاسلامية والافريقية لتطل على الحضارة العالمية للأخذ والعطاء . وسيكون للثقافة الاسلامية العربية بطبيعة الحال ، مركز الصدارة بالنسبة لبعض الدول الافريقية المسلمة حيث يصعب تصور لغة عربية مجردة أو بعيدة عن الدين الاسلامي،لا غرو فى ذلك ، لأن هذا الاخير هو الذى ذلل لها الصعاب وساعدها فى تلك المناطق واوجد لها اسساً تستطيع أن تستفيد منها فى دول مثل السنغال وشمال نيجيريا ، فى حين يتطلب الحوار الثقافى بين العرب وبعض دول القارة جهوداً اكبر وتجلداً أطول لأسباب تعود إلى اعتبارات دينية وتاريخية وايديلوجية ..

هذا ، ومن الاهمية بمكان التاكيد هنا على اسبقية لقاء الثقافة الاسلامية العربية بافريقيا بعدة قرون للقاء هذه القارة باوربا .

فقد تغلغلت الثقافة الاسلامية فى تراث عدد من شعوب افريقيا السوداء حيث نشط التبادل ونمت الروابط من أنواع مختلفة وتكثفت الاحتكاكات بين الشعبين . وبفضل انتشار الفكر والفن والأخلاق والكتابة العربية وتطور استعمال الحروف العربية فى افريقيا استوعب نفر غير قليل

من الافريقيين الثقافتين . كان قيام الاهالى الأفارقة أنفسهم بعبء نشر هذه الثقافة عاملا حاسماً فى عملية اندماجها فى المجتمع الافريقى المسلم ، لأن وظيفة اللغة العربية ، حاملة القيم الثقافية ، تتجاوز نطاق العلوم البحتة والآداب والفنون الجميلة شأن اللغات الحية العالمية . فالى جانب تلك الوظائف تنهض العربية بمهمة أخرى لا تقل شانا عن مهام اللغات الدنيوية للدلالات المختلفة ، وهى إقامة للمعتقد الدينى فى نفوس أصحابه على أساس دلالات ألفاظها وموحيات معانيها ، فهى لغة القرآن ومن خلالها ينظر المسلم ـ أيا كان أصله أو جنسه ـ إلى كتاب الله كلغة للحضارة الاسلامية الأولى ولغة التقدم الهائل الذى كان قد حققه المسلمون فى القرون الوسطى تحت ظلال الاسلام .

ولم تنتشر اللغة العربية يوماً من الايام بتأثير السيادة العربية ولا بفضل قوة مادية كانت بيد الحكومات العربية ، شان انتشار الفرنسية والانجليزية بتأثيرات الامبراطوريات الاستعمارية لتلك الدول ، بل انتشرت اللغة العربية تحت حماية الاسلام . بفعل تضافر جهود كل المسلمين تطورت لغة القرآن تطوراً لم يسبق له نظير .

غير أن حدثاً تاريخياً مشئوماً تدخل لوقف السير الطبيعى للغة العربية فى أقطار عدة من افريقيا السوداء المسلمة .

فقد بذلت الادارة الأجنبية الاستعمارية جهوداً مكثفة ، إبان سيطرتها على تلك الأقطار الافريقية ، لتقليص العلاقات الثقافية بين العرب والافريقيين بهدف الحيلولة دون تسرب عدوى الأفكار الواردة من العالم العربى الاسلامى . ولم يفوت الاستعمار فرصة سنحت له إلا واستغلها من أجل التقليل من اللقاءات بين افريقيا والعالم الخارجى بصفة عامة والعالم العربى بصفة أخص مما ساهم على تقهقر اللغة العربية فى منطقة افريقيا المسلمة . ومن المعلوم أن الادارة الاستعمارية شجعت الاجراءات الهادفة الى عزل الكوادر الاسلامية المحلية عن كل تيار اسلامى أو عربى . بيد أن تلك المساعى باءت بالفشل إذ على الرغم من أن اللقاءات بين الجانبين ظلت محدودة فان أذهان عدد كبير من الأفارقة تفتقت للثقافة الاسلامية .

انكماش أفريقيا

وعندما ارتقى معظم البلدان الافريقية إلى مصاف الأمم المستقلة ، كانت قياداتها بيد أفراد متأثرين بالثقافة الغربية ، فلم يكترث هؤلاء كثيراً بالحوار العربى الافريقى الذى كان غريباً عنهم وبالتالى جديداً عليهم بحكم تكوينهم الثقافى الأوربى وباعتبار علاقاتهم السياسية والاقتصادية المتواصلة مع الغرب ، مما أدى الى انكماش افريقيا على نفسها تجتر تاريخاً مليئاً بذكريات مؤلمة ، وتبعاً لذلك بقيت أجواء العلاقات الثقافية بين الأفارقة والعرب ملبدة بسحب من الحذر والفتور . وكان ذلك من العوامل التى أحدثت ثلمة بين الجانبين تسللت منها الصهيونية لتربط علاقات ديبلوماسية واقتصادية مع عدد من دول القارة السوداء فى بداية الستينات .

على أنه ما فتئت العلاقات العربية الافريقية أن شهدت تطوراً سريعاً : تعددت اللقاءات بين الطرفين فى كل المستويات

وتوطدت الروابط بتوثق التعاون سواء فى مستوى العلاقات العامة أو فى مستوى العلاقات الثنائية . وأخذ التبادل واجهة جديدة ينمو يوماً بعد يوم ونشطت الزيارات للاتجاهين التى تهدف الى الوقوف على امكانيات ومجالات التعاون ،

ونقل العرب رؤوس أموال طائلة الى حكومات افريقية لمساعدتها ، واستفادت منظمات اسلامية افريقية من تأييد بلدان عربية كثيرة ، وتأسست بنوك مشتركة بين الجانبين ـ من ذلك البنك السنغالى ، الكويتى بداكار ـ وتمت اجتماعات رسمية بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية .

بيد أن ما يعنينا هنا فى هذه العجالة هو اثارة أهمية الحوار الثقافى بين هاتين المنطقتين اللتين تتكافلان فى أكثر من ميدان والاشارة الى أن تحقيقه تكتنفه صعوبات جمة نظراً للظروف التاريخية الدقيقة التى تجتازها العلاقات الدولية . هذا الحوار ، كما نتصوره لا يحسن أن يكون مجرد عواطف جياشة عابرة ولا شكل اتفاقيات ثقافية تصاغ فى إطار زيارات رسمية ثم تظل حبراً على ورق .

كيف نتصور هذا الحوار الثقافي ؟

ينبغى أن يكون التفكير الموضوعى الصريح الاطار والدافع والاساس لأى حوار ثقافى بين العالم العربى الاسلامى وافريقيا . فتعاون أساسه الثقة والاحترام المتبادل للهويات الثقافية للأطراف كفيل بأن يؤدى الى نتائج مثمرة . لأن تداخل الأمم المتزايد والتضامن الناتج عنه جعل حوار الثقافات أمراً مستعجلا وضرورياً .

ففى الوقت الذى تزداد فيه علاقة افريقيا بالعالم العربى متانة وكثافة ، خصوصاً فى مجال التبادل الاقتصادى فان فتح حوار ثقافى بينهما يصبح مطلباً ملحاً . علماً أن تحليل هذا المشروع ليس بالأمر اليسير لخضوعه لظروف اقليمية وعالمية فى تميع دائم ولأنه يبطن جيوباً تساهم فى استعصاء دراسته بشكل شامل ووافٍ .

وليس فى هذه السطور مكان يخصص للحديث عن كل حالة على حدة ، مع الاعتراف أن بعض الحالات فى بلدان معينة تكتسب دراستها أهمية قصوى لاستكمال تصوراتنا للعلاقات العربية الافريقية فى دنيا التبادل الثقافى . فغايتنا لا تعدو أن تكون محاولة متواضعة لاثارة الوسائل التى يمكن أن ترد إلى العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة حركيتها وصياغتها فى قالب الدوام التاريخى الذى يميزها مع عدم اهمال المشاكل التى تحتضنها .

تبرز فى إطار هذا الحوار مواقف متمايزة :

يتميز أولها بالتقريظ المفرط والحماس للروابط الثقافية بين افريقيا والعالم الاسلامى العربى ، ويولى اهتماماً خاصاً للتضامن والتآخى بين الجانبين ويخفى بحسن نية الاختلافات والتعارضات ، ويبتعد من كل تمحيص موضوعى لثنايا

الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا

لماذا تجاهلناها؟

تلك العلاقات . لاشك أن هذا الاتجاه على صواب حينما يعطى أهمية للعطاء الايجابى للحضارة العربية نحو الحضارة الافريقية عبر قرون عديدة ، لكنه يكاد يهمل دور الثقافة الافريقية . لا ينكر أحد مساهمة الثقافة العربية الاسلامية فى افريقيا كلها كما أن عطاءات الثقافة الافريقية تستحق كل تلميح . وكان الاسلام قد اتخذ فى القارة السوداء موقف العطاء والقبول والانفتاح والحركية أمام الثقافات الافريقية التى التقى بها ، دون أن يفضى ذلك الى تغيير من أسسه أو تشويه لحقيقته . وقد تم هذا اللقاء بفضل شبكات التبادل والنفوذ ذى الاتجاهين والاحتكاكات الاجتماعية الدائمة بين الطرفين .

أما ثانى المواقف فيهتم بالدرجة الأولى باحصاء نقاط التباين بين طرفى الحوار وإبراز مواطن الخلافات وتغذية سوء التفاهم وافتعال جدل عقيم .. ويسعى هذا التيار الى بث المشاحنات وزرع الوسوسة فى الرأى العام السياسى الافريقى ونبش النزاعات عن طريق اشاعة الأكاذيب .

ويستغل أنصار هذا الاتجاه ذكريات تاريخ مشترك كان فى بعض فتراته مؤلما وعنيفا، بهذه الشاكلة تدخل العلاقات العربية الافريقية فى عاصفة من خلافات خطيرة . ولعل من خاصية هذا الموقف الثانى أنه يضيق من دائرة العالم العربى حتى لا يشمل سوى الدول العربية المنتجة للبترول وهو لذلك يجهل أو يتجاهل الواقع التاريخى الراهن ليس للعالم العربى فحسب بل للعالم أجمع .

ويقابل الاتجاهين السابقين اتجاه ثالث : ويتميز هذا الأخير بالتعميم مهملا التنوع والتعقيد الناتجين عن تباين الطرفين جغرافيا ولغويا .. ويعتبر هذا التيار العالم العربى والافريقى ككيانين مختلفين ثقافيا ولا تربطهما أية علاقة .. ولا يخفى على أحد خطل هذا التقسيم الساذج لأنه يغفل كل تاريخ للتأثير المتبادل والحركية الاجتماعية والتبادل التجارى والامتزاج البيولوجى حيث أصبحت الحدود بين « الافريقية » والعروبة جد فائقة وغير ذات إطار متصلب . ويتجلى هذا الامتزاج فى أحلى صوره فى شرق السودان وجنوب موريتانيا وشمال السنغال .

هذه التقسيمات الثلاثة التى مررنا بها آنفا لا تعدو أن تكون مجرد تقسيم تكاديمى لا تعكس بالضرورة الحقائق المعاشة حاليا .

أساس هذا التعاون

لابد أن تدخل مساهمة الثقافة العربية الاسلامية فى افريقية فى اطار برنامج عام للتنمية حتى لا تبقى اللغة العربية غائبة عن النشاطات الخلاقة . لهذا تستحق التربية الاسلامية والعمل الثقافى العربى اهتماما خاصا فى المناطق المسلمة من القارة الافريقية . وفى هذا المجال ، يظل تحديد وظيفة اللغة العربية على الخريطة الثقافية لافريقيا ذا أهمية قصوى بتنسيقها مع اللغات المحلية خوفا من أن تتخصص العربية بميدان الدين كما هو الحال اليوم ، خصوصا فى الأوساط الريفية . فطالما وصفت هذه اللغة بالعتاقة والتقليدية والمحافظة بحكم اتصالها المباشر بالأوساط الدينية فى مناطق كثيرة من افريقيا المسلمة ، والحال أن تعليم اللغة العربية الذى يوضع فى قالب سياسة لغوية وثقافية عامة ومدروسة باستشارة المعنيين أنفسهم وباعطاء اعتبارات للتنوعات القومية والاقليمية سيجعل من اللغة العربية أداة انفتاح وتقدم للانسان الافريقى .

ومن المهم أن يكون اصلاح تعليم العربية فى الدول الافريقية التى أدخلته فى مدارسها ـ النيجر والسنغال ـ فى تناسق مع السياسة الثقافية الوطنية لتلك الدول ، بدلا من أن يصبح نشاطا موازيا ومنافسا قد يثير التحفظ والحذر ، وستساهم المدرسة القرآنية المنتشرة فى ربوع افريقيا المسلمة ، اذا ما تم توجيهها ، فى محو الأمية والقضاء على التخلف الفكرى ، وسيكون فى مستطاعها اذا ما اندمجت فى برنامج للتنمية عام أن تصبح ملتقى بين القديم والجديد والزمنى والروحى وتؤدى الى مساهمة فعلية فى التكوين الفنى الضرورى لتقدم المجتمعات الريفية التى لا تخفى عداءها للمدرسة الحديثة العلمانية .

ولن نختتم دون أن نلح على أن يكون محور الحوار بين افريقيا ، التى لا تزال تبحث عن هوية ثقافية قومية متميزة ، وبين العالم العربى الاسلامى ، الذى يجد من ورائه تراثا ثقافيا ثريا ، التعارف والاطلاع المتبادلين ، حتى تزول الصور المشوهة التى تمثل خطا كلا الجانبين . وفى هذا المضمار ستلعب المؤسسات المتخصصة والوسائل الاعلامية المتوفرة من لدن الطرفين دورا طليعيا . ولا يجوز أن تكون معرفة القارة السوداء أو العالم العربى أو شعوبهما حِمَى لا يرتاده إلا المتخصصون .

عبد القادر سيلا

كتاب مجمع الأحياء للعقاد

بقلم فاضل خلف

في مطلع عام ١٩٥٦ ، قابلت المرحوم ، عباس محمود العقاد ، في مكتبة الانجلو المصرية ، في القاهرة بعد مكالمة تليفونية كان المراد منها مقابلة العقاد في بيته ، ولكن المقابلة تمت في المكتبة المذكورة ، لأن الموعد الذي اقترحه كان في بيته ، وفي ندوته الأسبوعية يوم الجمعة ، إلا أن موعد سفري من القاهرة قبل يوم الجمعة ، حل دون ذلك ، فكان اللقاء في يوم الثلاثاء في المكتبة .. وكان ذلك اللقاء أحد اللقاءات التي لا تنسى ..

ولكن كيف تم أول لقاء بيني وبين العقاد في دروب الأدب ؟

كان ذلك في أواخر عام ١٩٤٤ ، حين زرت «مكتبة التلميذ» ، لآخذ نسختي من مجلة «الرسالة» فوجدت في واجهة المكتبة بعض الكتب الجديدة ، استوقفني منها كتابان ، أمريكا الضاحكة لمصطفى أمين ، و «مجمع الأحياء» لعباس محمود العقاد .

واقتنيت الكتابين .

أما كتاب أمريكا الضاحكة ، فقد كان كتاباً وضعه صحفي «رائد» في عالم الصحافة العربية وقد جاء في مجموعه كتاباً للتسلية ، بأسلوب شائق ، يغري هاوي الأدب بتتبع فصوله ومسايرة صفحاته ، بلذة وشوق ... ثم فرقت بيني وبينه الأيام ، فلم أعثر على نسخة ثانية منه ، حتى كتابة هذه السطور وان كان بي شوق ملح للعثور عليه ، بعد كل هذه الأعوام التي بلغت سبعة وثلاثين .. وهو في الواقع شوق يتوثب في الأعماق لأيام الشباب ، قبل أن يكون شوقاً للكتاب نفسه ، فلتلك الأيام الخوالي ، منزلة في النفس ، يخفق القلب لذكرها ، ويلتهف كلما سمع عنها نبأ أو أحس منها حركة ..

وأما كتاب «مجمع الأحياء» ، فقد فرقت بيني وبينه الأيام ، كذلك ، إلا أن كتب العقاد توجد في كل مكان ، وتلتقي في كل ربع .. فهي كالطيور المهاجرة تنتقل من بلاد الى بلاد بصورة مستمرة وتتكاثر في المدائن العربية ، بكيفية عجيبة .. بفضل دور النشر الكثيرة ، التي توزع هذا النسل المبارك ، مشرقاً ومغرباً ، ولاسيما في لبنان أعاد الله الانس الى ربوعها وجعلها اشعاعاً للفكر والنور مرة أخرى ، وأبعد عنها هذا الكابوس المخيف الذي جثم على فراديسها فتفرق الشمل ، وعم الدمار ، وانفرط عقد الحب .. وكان ما كان مما لست أذكره ، تجنباً لاثارة الالم والأحزان .

نرجع الى العقاد .. والى كتابه «مجمع الأحياء» ، الذي فرق الزمن بيني وبينه ، وكان حنيني اليه لا يقل عن حنيني الى زميله «أمريكا الضاحكة» لمصطفى أمين . حتى وجدت نسخة منه منذ أيام ، بعد أن طبعته المكتبة العصرية في لبنان ، مع جملة من كتب العقاد الأخرى .. و «مجمع الأحياء» ، يختلف عن «أمريكا الضاحكة» ، فهو كتاب فلسفي عميق ، بينه وبين التسلية من البون ، ما بين الكاتبين نفسيهما من اختلاف في المزاج ، وفي الأسلوب ، وفي المكانة ..

وكنت عندما اقتنيت «مجمع الأحياء» لأول مرة في أواخر عام ١٩٤٤ ، أو مطالع عام ١٩٤٥ حفظت مقاطع من بعض فصوله ، وصرت أرددها بعد ذلك بيني وبين نفسي ، معجباً بالفخامة في أسلوبها ، مثل قوله في فصل الغاب :

«أين أنا ؟ وماذا أرى ؟ ومن ذا جاء بي الى هنا .. ويقظة هذه أم حلم في الكرى ؟ أم جاء بي الى هذه الأرض النائية متصرف فعال لما يريد ، أحب أن ينزل في روعي ، أن الدنيا ليست كلها قصوراً باذخة ، وأرائك شامخة ، ومعامل وأسواقاً ، ومحابر وأوراقاً ، ومحافل وجحافل ، ومساهر ومساخر ، ودرهماً ودينارا ، وفضة ونضاراً» .

لقد قرأت هذا الكتاب عدة مرات ، وحفظت منه مقاطع كما قلت ، فترك في نفسي أعمق الأثر عن العقاد وأدبه ، وعن فنه وأسلوبه ، ومعروف عن العقاد أن كتابته ليست سهلة المنال لهواة الأدب ، بل هي على العكس صعبة قد تصل أحياناً الى درجة عسر في الهضم ، فلا تفهم إلا بعد اعادة في القراءة ، وتأمل في المطالعة .. ولكنني اقتحمت محراب العقاد في أصعب كتبه الفلسفية ، وأنا دون العشرين ، وحاولت بكل ما أوتيت من قوة وعزم واصرار ، أن أفهم مرامه في فصول ذلك الكتاب ، حتى حفظت كثيراً من عباراته غيباً ، فكان هذا الكتاب بعد ذلك ، عاملاً فعالاً لمعرفة العقاد في سائر كتبه ، التي قرأتها وأحببتها كما أحببت العقاد نفسه .. فقررت أن أجتمع به في



عباس العقاد .. كان كتابه «مجمع الأحيـــاء» من الكتب الفلسفية العميقة !

كتاب
مجمع الأحياء للعقاد

أول فرصة سانحة هياتها زيارتى الى القاهرة فى مطالع عام ١٩٥٦ .. فتم اللقاء فى مكتبة الانجلو المصرية .

لقد بسط العقاد جناحيه الحانيين ، فى سماء الأدب ، اكثر من نصف قرن ، وانتزع احترام الأوساط الأدبية ، فى كل مكان ، وفرض شخصيته الباسقة ، على أهل زمانه ، حتى انه قال للوسيط الذى جاءه يوما ، يعرض عليه منصبا من مناصب الحكومة ، بشرط ان يتصل بمسئول كبير ـ تلفونيا ـ يبدى فيه موافقته على هذا الترشيح ، سواء اكانت للوافقة مشفوعة بكلمة شكر ، ام كانت بدونها .. قال لذلك الوسيط الحكومى .. ان اجرة الاتصال بالمسئول الكبير ، ثلاث تعريفات (والتعريفة عملة مصرية ، تساوى خمسة مليمات) وان هذه التعريفات الثلاث ، لهى عندى اعز واغلى ، من هذا المنصب الحكومى ، الذى جئت تعرضه علي يا هذا .. وهذه القصة سمعتها من العقاد نفسه فى تلك الجلسة التى تمت فى مكتبة الانجلو المصرية فى القاهرة .. فى أول لقاء مع العقاد ، فى مطلع عام ١٩٥٦ ، والذى كان مع الأسف اخر لقاء ..

لقد فرض العقاد شخصيته الأدبية الشامخة ، ليس فقط على عصره الذى عاش فيه ، وإنما فرضها ، على جميع العصور حتى خاطبه الدكتور طه حسين ، وهو يهديه كتاب «دعاء الكروان» بقوله : «الى صديقى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .. سيدى الأستاذ . انت اقمت للكروان ديوانا فخما فى الشعر العربى الحديث ، فهل تاذن فى ان اتخذ له عشا متواضعا فى النثر العربى الحديث ، وان اهدى اليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص» .

هذا هو العقاد الذى عرفته لأول مرة ، فى كتابه الفلسفى العميق «مجمع الأحياء» ، وفحواه كما يقول العقاد نفسه : «ان الخير والشر فى هذه الدنيا ، لا ينفصلان ، وان اشرف ما يعرفه الناس من الحق ، غيرتهم على ما يعتقدون انه الحق ، وان الحق الذى نعرفه ونغار عليه غير الحق الذى تتوخاه حركات الكون المتجلية ، فى تاريخ البشر ، فليس ما نعتقده حقا ، إلا اداة موصلة الى الحق العميق المكنون عنا ، والذى يرتسم طرف منه فى عقائد الطبائع القوية السليمة» .

ويستمر العقاد فى تفسيره لهذا الكتاب .. بهذا الأسلوب الذى يقصم ظهر كل هاو للادب .. قبل ان يصل الى فهم أسرار ذلك الكتاب .. ويجعله غير قادر على مواصلة القراءة ، فيتوقف وهو لاهث متقطع الانفاس .. ولكننى اصررت على مواصلة قراءة الكتاب ، ثم اعدت قراءته حتى حفظت منه جملا ومقاطع ، مازلت اردددها حتى اليوم .. وبواسطة هذا الكتاب نشات بينى وبين العقاد مودة ازدادت على الأيام رسوخا ، ولم يزدها تقادم العهد إلا احماسا فوق حماس .. وحبا فوق حب .

رسالة وليدة الحرب

كتب العقاد كتاب «مجمع الأحياء» ، ونشره فى الحرب العالمية الأولى ، ثم أعاد طبعه للمرة الثالثة ، وذلك فى عام ١٩٤٤ وهى الطبعة التى اقتنيتها فى أواخر عام ١٩٤٤ ، كما قلت قبل قليل .

ويقول العقاد فى تصدير الطبعة الثالثة : «هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الماضية ، شغلنى موضوعها يومئذ لأنه موضوع الصراع فى الحياة الانسانية ، بل فى الحياة العامة ، واحببت ان اعرف لهذا الصراع معنى يطمئن اليه الضمير ، فانتهيت بالرسالة الى معنى فيه بعض الاطمئنان ، او كل الاطمئنان ، وهو ان الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان » .

ويواصل العقاد حديثه فيقول : «واعدت طبع الرسالة بعد الحرب الماضية بسنتين ، فقلت فى مقدمة الطبعة الثانية : لا ازال اعتقد بعد الحرب كما كنت اعتقد قبلها ان الغيرة على الحق ، هى روح الانسانية ، او هى مظهر آنانيتها ، وحب البقاء فيها . فاذا هى رضيت لأمة ان تستنزف موارد الأمم بغير الحق ، ثم اطمانت الى هذه الحالة ، فقد أذن ذلك بانحلالها ، وكان منها بمثابة ضعف الوطنية فى الأمة ، وضعف الحيوية فى الفرد ، وكلاهما نذير الفناء» .

ويستمر العقاد في الحديث فيقول : « وها هى ذى الطبعة الثالثة لمجمع الأحياء ، تصدر والدنيا مشغولة بحرب عالمية اخرى ، هى أشد هولا واوسع مدى ، واقوى اختلافا على المبادىء والآراء ، من الحرب التى نشبت قبل ثلاثين سنة .. فاذا كان هناك خاطر يرد على الذهن فى تصدير هذه الطبعة ـ خلال هذه الحرب القائمة ـ فذلك الخاطر مما يزكي موضوع الرسالة ، ويؤيد نتيجتها ، او يسير بنا فى وجهها ، وهى ان الصراع الاكبر الذى تشهده اليوم ، سينتهي ايضا إلى عاقبة بعض الاطمئنان ، او كل الاطمئنان ، لانها تناقض القوة العمياء : قوة الحديد والنار ، وتشايع القوة البصيرة : قوة العدل والحرية » .

إن اهتمامي بكتاب مجمع الأحياء قد يكون راجعا الى انه أول كتاب عميق الفكرة مشحون بالآراء الفلسفية ، التى سيطرت على وجدانى وانا دون العشرين ، بثلاث سنوات .. فختمت بلمساتها الحانية الغامضة احيانا ، والواضحة أحيانا اخرى ذلك الوجدان الحائر بزاد فكرى شهي لا يكف عن العطاء ، منذ اكثر من ثلاثين سنة .. وقد يكون ذلك راجعا الى ان كتاب « مجمع الأحياء »، هو أول كتاب ادبي فلسفي ، رافق مسيرتى الأدبية منذ فجر الشباب ، فبقى حيا فى الوجدان ، متلألئا فى النفس ، نابضا فى القلب ، بكل معاني الشوق والحب والحنان ، فاذا اهتممت بذلك الكتاب ، فانما الاهتمام لأيام الشباب ، وما أصدق أبا العلاء المعرى فى قوله :

تشتاق ايار نفوس الورى
وانمـــا الشوق الى ورده

فاذا اشتاق الناس الى شهر ايار وهو شهر « مايو » فانما شوقهم الى ورده الذى يعطر الاجواء ، فينعش النفوس ويطرب القلوب .. واذا اشتاقت النفس لكتاب مجمع الاحياء فهل هو شوق ايضا إلى أيام الشباب ، التى عرفت فيها ذلك الكتاب الأدبى الفلسفي ، الذى كتبه العقاد فى أيام شبابه ، وافرغ فيه من فلسفته ، وآرائه فى الحياة ما يجعله من الكتب المحببة الى نفوس الشباب ، فى عصره؟ فليس شباب العقاد الا شباب كل اديب طامح للمعالى ، ينشد المعرفة فى مسالك النور ، ويلاحق للجهول حتى يصبح معروفا فى عـــوالم الضياء ..

ليس قصصا وحكايات

نعود الى كتاب « مجمع الأحياء » لعباس محمود العقاد ، هذا الكتاب الذى كان اول كتاب قرأته لهذا الأستاذ الرائد ، فى مسيرتى الأدبية ، ولم يكن الكتاب ـ كما ذكرت ـ من الكتب السهلة بل كان من الكتب الفلسفية العميقة ، وقد عالج فيه المؤلف قضايا مختلفة فى شئون الحياة ، باسلوب غريب ، نستطيع ان نشبهه باسلوب كليلة ودمنة ، ونستطيع كذلك ان نشبه الكتاب نفسه ، بكتاب كليلة ودمنة .. واذا كان هناك اى فرق بين الكتابين ، فهو فرق فرضته الأزمان المتعاقبة ، التى تجاوزت الألف من السنين ، باكثر من مائتين .. وما تحمله هذه الازمان من تطورات ، فى نهج الحياة ، واساليبها ، وعاداتها وتقاليدها .. فزمان كليلة ودمنة ، غير زمان مجمع الأحياء وزمان ابن المقفع ، غير زمان العقاد .. والفلسفة التى كانت سائدة قبل الف عام ، غير هذه الفلسفة التى كانت تحيط بالعقاد بعد ان هبت رياح التقدم فى أوربا ، فمرت مرور الشعاع فى اقطار الأرض ..

وكتاب « مجمع الأحياء » ، ليس قصصا وحكايات كما هو الامر مع كتاب كليلة ودمنة ، وانما هو مجموعة من الخطابات ، يتوجه بها إلى مجموعة من الكائنات الحية ، الى جانب خطاب الحياة ، وخطاب الغاب ، وخطاب

الطبيعة .. اما الكائنات الحية فهى الانسان ، واليمامة ، والثعلب ، والقرد ، والمراة ، والأسد .. وكل واحد من هذه التشكيلة العجيبة ، يحاول بسط نفوذه على الآخرين ، بطريقته الخاصة التى هياتها له الحياة ، فاليمامة مخلوق رقيق فهي تدخل المعمعة عن طريق السرقة ، والثعلب معروف بالخبث ، وهو يقتحم الميدان بسلاحه الذى اشتهر به فى الحياة ، والأسد لا يعرف الا السيطرة والغلبة فاسلوبه فى العيش هو أسلوب القوة ، التى لا تعترف بالضعف ولا يعيش معها الخوف ، فى مكان واحد .

اما المراة فى نظر العقاد وفى كتاب «مجمع الاحياء» بالذات ، فهى المراة فى كل مكان ، وفى كل زمان ، فهى تحاول التمرد على وضعها ، وهى تعمل بكل جد لهدم الأسوار بينها وبين الرجل . وهى تدعو الى المساواة معه فى كل شيء .. والعجيب ان الفرد يدعو للقوة كذلك ، ولكن بطريقة اخرى غير طريقة الأسد ..

وأما الانسان فى كتاب «مجمع الاحياء» ، فهو الرجل .. الذى يقول فى الرد على خطاب المراة :

«قامت المراة بينكم اليوم تطالب بشيء ليس من ضروريات حياتها ولا هو مما يلزمها ، لاداء وظيفتها الطبيعية ، وإنما نراها تطالب بضرب جديد من الزينة ، سمعت باسمه فتعلقت به ، كما يتعلق الطفل بما يسمع عنه ، ولو كان مقره وراء النجوم .

فلا تصدقوا معشر الاحياء ان المراة تطلب الحرية ، لأنها تفهم الحرية ، ولكنها تطلبها كما تطلب قرطاً نفيساً ، أو ثوباً من الزى الأخير ، ولو صبغنا لها الحرية باللون الذى ألفت به الاستبعاد لما استطاعت أن تميز بين هذين النمطين من الثياب . ثياب النفس لا ثياب الجسد .

وأما الحياة فى كتاب «مجمع الاحياء» فهى الحياة ابداً .. والحياة غير الموت ، لذلك فهى تقول لخطباء المهرجان :

«فاليوم اجمعكم فى هذه الغاب ليمشى بعضكم الى بعض بالسلم فتعتصموا به ، وتتناصحوا فيما باعد بينكم ، وأولع بعضكم ببعض فتقلعوا عنه ، ذلك اولى لكم من هذه الشحناء التى شقت عصاكم ، واشمتت الجماد بكم ، وصيرت بعضكم يتمنى لو انه صخرة جامدة او جثة خامدة ، ويحسب الحياة لعنة عليه وعلى الخلق اجمعين» .

وأما الغاب ، فهى الغاب فى كل مكان وهى التى تغنى بها ابو القاسم الشابى بقوله

إننى ذاهب الى الغاب يا شعبى
لأقضى الحياة وحدى بيأس
إننى ذاهب الى الغاب علّي
فى صميم الغابات أدفن بؤسى
سوف أتلو على الطيور اناشيدى
وأفضى لها باشواق نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى
أن مجد النفوس يقظة حس
ثم أقضى هناك فى ظلمة الليل
والقى الى الوجود بيأسى

إنها الغاب التى يقول فيها العقاد فى كتابه «مجمع الأحياء» على لسان الغاب نفسها ، وفى خطابها الحنون :

«سلاماً يا ساكنى الغاب ، سلاماً يا ابناء الحياة سلاماً يسل غل الصدور ويصلح ما بين الوتر والموتور .. الي يا ابنائى ، فانا امكم الحياة ، جئت فى يد القدر ادعوكم لأمر خطير» .

إن فى كتاب «مجمع الأحياء» دروساً وعبر ، يجدر بكل محب للحياة وعاشق للأدب أن يتعمق فى كلماتها ، فهى ليست فى مجموعها إلا صوراً فلسفية ساخرة تلوح على مسرح الحياة يومياً فى تناقض عجيب ، يحير اولي الألباب ، فقد ورد على لسان الثعلب قوله :

«إن شئتم ان تستقيم احوالكم ، ويهدأ بالكم ، ويعرف كل منكم مقداره ، فانبذوا من بينكم هذه الكلمات الفارغة : العدل والحق والواجب والضمير . فانها اوهام يضيع الجهد وراءها هدراً ، وعلالات تخدع اصحابها ، ولا ترد عنهم ضرراً» .

إن كتاب «مجمع الأحياء» فى فلسفته الساخرة الهادفة ، وفى آرائه الجادة الرائدة ، هو الكتاب الذى أرغمنى على السير فى دروب الأدب ، فقد وجدت نفسى عندما اقتنيته لأول مرة فى عام ١٩٤٤ كالهائم فى مجاهل الغاب ، وكان يخيل إلي باننى أسمع عصف الرياح ، وانهمار المطر ، ودوى الشلال .. وحفيف الشجر .. وشدو الجداول وزمجرة الأعاصير وأصوات الحيوانات المختلفة .. وقد وجدت فى هذا الكتاب ، ما كنت ابحث عنه منذ ان عرفت طريقى نحو الكتب ، من تفسير لظواهر الحياة المختلفة .. وعندما اجتمعت بالعقاد فى مطلع عام ١٩٥٦ ذكرته بهذا الكتاب ، الذى هيا لي هذا الاجتماع الذى دام اكثر من ساعة كاملة كان فيها العقاد يتنقل من موضوع الى آخر كالبحر المتدفق الذى لا يكف عن الهدير ، وكان من تلك الموضوعات « نفط الكويت » .

●●

كان العقاد يتنقل من حديث الى آخر كالسيل الهادر بدون ان يتعثر بكلمة او يتذكر حادثة ، وكانه كان يغرف معلوماته من بحر او سحاب . وكل هذا لا غرابة فيه ، فهو معروف تمام المعرفة فى ميادين الأدب والثقافة والعلوم الاجتماعية ، بانه موسوعى لا تفوته شاردة ولواردة فى دنيا المعرفة ، ولكن الغريب فى الأمر ان يتحدث العقاد عن «نفط الكويت» بنفس السهولة التى يتكلم فيها عن الشئون الأدبية والثقافية والعلمية ، ولا اكذبكم انه بدا الموضوع عندما سالنى عن نفط الكويت ، وقد تحدثت بما اعرفه من معلومات عامة يعرفها كل مواطن كويتى ، فى ذلك الوقت قبل ان يكثر الحديث عن النفط ، وقبل ان تتولى الصحف والاذاعات نشر المعلومات الشاملة عن اكتشافه وتوزيعه فى اقطار الدنيا .. فما راعنى إلا تدفق المعرفة بشئون النفط الكويتى يفيض من العقاد كانه مهندس نفطى اتم فى الحال كتابة تقرير مفصل عن نفط الكويت ..

فايقنت عند ذلك صدق الروايات التى يتحدث بها المتحدثون عن اتساع افاق العقاد فى عالم الفكر والمعرفة والاطلاع ، فقد كان المقربون اليه يتحدثون عن معرفته فى الطب والهندسة والطبيعة والكيمياء وعلوم النبات والحيوان وطبقات الأرض ، وكنا نحن هنا على ضفاف الخليج ، نتلقى هذه الأنباء بشيء من الحذر ، شكاً فى رواية الاشياع الذين كانوا يذيعون عنه اخباره وينشرون غرائبه واعاجيبه فى مجال الاطلاع .. فلما رأيت من العقاد ما رأيت من سعة الحفظ والرواية ليس فى دنيا الأدب والفلسفة والثقافة والعلوم الانسانية .. وإنما فى شئون هندسة النفط ... وأين ؟ فى الكويت .. ايقنت عندها ان العقاد هو العقاد .. وان الذين نقلوا الينا ما نقلوه عنه من حكايات غريبة وقصص عجيبة فى الاطلاع والحفظ ، والاستيعاب لما يقراه من ثقافات متعددة كانوا صادقين فى حديثهم ، وان الشك الذى ساورنى قبل ذلك اللقاء ، كان سراباً تبخر امام الحقيقة الناصعة التى شهدتها تتلألا حول العقاد فى مكتبة الانكلو المصرية ..

ومن شاء الدليل على هذا الكلام فاحيله الى مصدر حى موجود فى مصر اليوم ، وكان يقيم فى ذلك الوقت فى الكويت خبيراً لدائرة المطبوعات والنشر .. وقد شهد معى ذلك اللقاء الموسوعى .. واقصد به الدكتور ابراهيم عبده ، أستاذ الصحافة فى جامعة القاهرة ، وصاحب التاليف الكثيرة فى تاريخ الصحافة .. ولولا خشية الاطالة هنا لنقلت الى حضرات القراء الكرام ملخصاً عما دار فى ذلك اللقاء عن النفط الكويتى ، يتحدث به عباس محمود العقاد الاديب العربى الكبير ، الذى كان يتتبع فى مسيرته الفكرية كل صغيرة وكل كبيرة فى رياض المعرفة ، لذلك اكتفى بما ذكرته على هامش النفط ، لكى لا يتحول الحديث من الأدب ، الى النفط .

وبهذا نختتم الكلام عن العقاد وعن كتابه «مجمع الأحياء» الذى حبب إلي العقاد ، فنشات بينى وبينه مودة حانية لا يزيدها تقادم العهد إلا صدقاً فوق صدق .. هذا وقد فارق العقاد عالمنا وهو عالم الأحياء الذى تغنى به العقاد كثيراً . ولكنه بقى بيننا ، وسوف يبقى الى آخر دولة الأدب أديباً خالداً وموسوعياً كبيراً يندر ان يجود الزمان بمثله فى مقبل الأيام .. وعندما فارق عباس محمود العقاد عالم الأحياء ودعته الأوساط الثقافية فى تونس فى دار الثقافة «ابن رشيق» بحفل أدبى مشهود وقد قلت فى ذلك الحفل قصيدة مطلعها :

من أسكت الغريد عن انشاده
فجفا الغناء وكان من رواده

فرحم الله العقاد .

فاضل خلف ـ الكويت



الجنازة

قصة قصيرة بقلم : وداد عبد اللطيف
نقد وتعقيب : الدكتور محمد عبد الرحيم كافود

عينت بعد تخرجي وحصولي على الشهادة من كلية الآداب قسم التاريخ ، في احدى المدارس الاعدادية للبنات ، وحين دخلت الصف لأول مرة ، شدت انتباهي فتاة صغيرة . عينان تلمعان بحزن يائس وشعر بني خشن قص بصورة منفرة ، بدا الجانب الأيسر أطول من الجانب الأيمن وكان قميصها الواسع يشعرك بانه ملك لأخرى .

أثناء الدرس كنت أبذل محاولات فاشلة لأبعد نظري عن وجهها المتشح بحزن يائس .. كان الصف مليئا بفتيات لايجمع شيئا بينهن إلا وحدة المكان ، وانتظار صوت الجرس معلنا انتهاء الدرس بفارغ الصبر . كنت أحس بأربعين عينا ترقبني بفضول ، وأشعرني هذا الاحساس بقربي منهن ، وبرغبة شديدة لمعرفة أدق خصائصهن الصغيرة ، حتى أصل الى قلوبهن النضرة وألغى الحاجز الذي يقف سدا بين المدرسة والطالبة ... الحاجز الذي طالما عانينا منه في الماضي البعيد حين كنا طالبات .

كانت لولوه ... الطالبة ذات العينين الحزينتين والشعر البني المقصوص بطريقة منفردة ، فتاة ذات ذكاء حاد ، واكاد لم أكتشفه الا بعد فترة طويلة ومحاولات عديدة من جانبي لأصل الى خبيئة نفسها ، ولأدفعها للدرس والتحصيل دون نتيجة :

ـ لولوه ما الذي يشغلك عن دراستك الى هذا الحد ؟

ـ أخوتي « يابله » أنا مضطرة لرعايتهم طوال النهار .

ـ ووالدتك ؟

وتترقرق دموع بائسة في عيون حزينة ثم تهمس بصوت مخنوق :

ـ والدتي مريضة لاتكاد تقوى على الحركة .

ولعدة أيام لم أستطع أن انزع صورتها من قلبي ، وهي تبذل جهدا في اجابتها وتحول دون نزيف الكلمات فتفضحها عيناها ، كنت اتصورها حين تعود من المدرسة فترمي حقيبتها وتشمر عن قميصها المهلهل لتدخل المطبخ ، ثم تعود بعد أن تعد وجبة فقيرة لأخوتها الصغار ، لترتيب البيت والقيام بواجبات أمها المقعدة ، ثم تنهار آخر النهار في نوم متقطع تتخلله صيحات الصغار أو طلبات المريضة .

وفي أحد الأيام رأيتها تبذل جهداً جباراً كي تطرد النعاس من عينيها ، وعبثاً تجاهلتها .

طوال الدرس ، كانت عيناي تجولان في الفصل ثم تعودان اليها باصرار غريب ، ولم أدرك السبب في اهتمامي بها هي بالذات ربما أرى فيها طفولتي اليتيمة وإحساسي بالوحدة والأهمال . احساس عانيت منه طوال فترة دراستي ، وحتى الآن ، وبعد أن كبرت ، وصارت لدي صداقات كثيرة . لم تنس مرارة الاحساس بالوحدة ، حين كنت أجلس في الفصل بين طالبات سعيدات ،

... مقروحة العين ، دامية الفؤاد ، أرتعش من وحدتي ومن برودة الشتاء ، وها هو الشتاء يعود بعد عشر سنوات ليلسع بسياطه فتاة أخرى تجلس مكاني ...

وبذلت جهداً مضاعفاً في ماض عذبني كثيراً ، لأتم درسي الذي بدأته .

وانتهت الحصة وهرعت الطالبات يتدافعن بالأكتاف ليخرجن بسرعة من الفصل وبقيت أنظر الى لولوه التي شعها خجلها من الاستسلام للنوم . دنوت منها ببطء وعيناي تطوفان بشعرها المشوش بدفء وحنان :

لم تنامي جيداً ... أليس كذلك ؟ .

ـ نعم

ـ هل أمك بخير ؟

بذلت جهداً لتفتح عينيها المتعبتين ، ولاحظت ضيقاً على وجهها أخفته بسرعة وأطرقت بعينيها ولدهشتي سمعت صوتاً أشبه بخشخشة الخشب حين يحترق كان صدرها يعلو ويهبط بصورة غريبة :

ـ أنها .. .. بخير ، أخي الصغير كان متعباً أضطررت للسهر بجانبه و .. .



انفجرت ببكاء مرير وأنفها المزرق يرتعش مع اهتزازات جسمها الصغير ، ولم أجد ما أقوله لمواساتها . أمسكتها بكلتا يدى ورفعتها من على المقعد دون جهد يذكر ، كانت رقيقة نحيلة وخائفة وحين أصبحت بمواجهتى وضعت رأسها المتعب على صدرى ، واستغرقت فى بكاء حاد متواصل ضممتها الى صدرى بقوة وبذلت جهداً فائقاً حتى لا أنهار معها .. .. ..

بعد أن هدأ بكاؤها ، أجلستها على المقعد الخشبى ، وطلبت منها بصوت خافت أن تخلد الى النوم ، ولم تكن بحاجة الى نصيحتى ، فما هى الا لحظات حتى غطت فى النوم ورأسها الصغير يتوسد الدرج الخشبى ، ولم تفق من نومها حتى بعد أن علا صوت جرس المدرسة معلناً انتهاء الوقت .

انسحبت بهدوء تاركة مهمة ايقاظها للعفاريت الصغار ، وهذا اصطلاح أطلقته احدى المدرسات على هذا الفصل بالذات ، فاصبح بمرور الأيام اصطلاحاً متداولا بين جميع المدرسات .

قبل أيام كنت ابحث عن طريقة أدخل بها الى حياة « لولوه » دون أن أجرح شعورها باهتمام قد تظنه فضولا ، وها قد جاءت الفرصة التى حطمت الحاجز بيننا واقربتنى منها بصورة مدهشة .

إن الحوادث الصغيرة دائماً تكون بداية لحوادث أكبر واعظم ... وكانت البداية حين رأيتها فى ساحة المدرسة تنحنى بجهد لتلتقط الورق والزجاجات الفارغة وتضعها فى صندوق خشبى تحمله على كتفها ... بينما حبات العرق تتناثر على وجهها فتمسحها بذات اليد التى تلتقط أوراق النفايات . ناديتها بصوت غاضب :

ـ لولوه تعالى هنا حالا .

انزلت الصندوق ببطء ووضعت احدى يديها على جبينها لتحجب اشعة الشمس الحارقة التى تمنعها من رؤية صاحبة الصوت ، وما أن رأتنى حتى اقتربت بخطوات خجلى .. .. وقفت تفصلنى عنها درجات اربع تؤدى الى ساحة المدرسة :

ـ ماذا تفعلين ؟

ـ أنظف الساحة .

ـ من أمرك بذلك ؟

ـ أنها ست « ..... » .

ـ عودى الى فصلك ولا تقومى بهذا العمل مرة أخرى .

شعرت بالمهانة والمذلة وكأننى أنا التى أهنت ، اندفعت الى غرفة المدرسات وابخرة الغضب تعمينى عن الرؤية ، وكلماتى تحرق جوفى :

ـ لماذا أمرت لولوه بالقيام بهذا العمل ؟

ـ وماذا فى ذلك ، لديها حصة فراغ أحببت أن تشغلها بشىء مفيد .

ـ ولم هى بالذات . ؟

ـ لولوه فتاة مطيعة بخلاف الآخريات .

ـ ولأنها مطيعة ، تستغلين طاعتها بتكليفها بعمل مهين ؟

ـ لا أسمح لك بهذا الوصف ، ثم أنه ليس عملا مهيناً .

ـ انه ليس عملها ، وكان الأجدر أن تكلفيها بعمل لايتنافى مع وضعها كطالبة

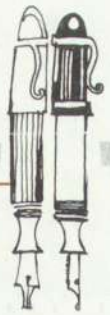
واحتدم النقاش بيننا وانقلب بعد لحظات الى سباب ، ولولا تدخل الزميلات لتشابكنا بالأيدى ... وحلت المشكلة على يد مديرة المدرسة ، بتوجيهها لفت نظر لكل منا ... وبقطيعة جافة منى لهذه المدرسة التى تجاوزت حدودها ... لم أقتنع ابداً بالحق الذى اعطته بعض المدرسات لأنفسهن ، الحق فى توجيه الأوامر المنفردة لطالباتهن دونما مبرر ، وقد اتخذت منذ البداية خطاً مختلفاً فى علاقتى بتلميذاتى فاكتسبت حبهن واحترامهن وفقدت الكثير من حب زميلاتى المدرسات .

فى اليوم التالى ، استدعيت لولوه الى غرفة المدرسات وصارحتها برغبتى فى استدعاء والدها لمناقشته فى علاماتها المدرسية ، ولاطلب منه تفرغها للمذاكرة خاصة وان الامتحانات النهائية قد دنت .

ـ والدى متوفى .

لم يذهلنى النبأ بقدر ما ادهشنى صوتها وهى تنبئنى بذلك ، وكأن المتوفى والد أحد زميلاتها لا والدها ، ولكنى عدت وقلت لنفسى ربما مضى على هذا وقت طويل فبرأت الجراح .

ـ هل بامكانى زيارة والدتك ؟



الجنـــازة

ـ لا أنها مريضة ولا ترغب فى رؤية أحد.

شعرت برجفة لنبرة صوتها الجافة وهى تؤكد لى أننى شخص غير مرغوب فى رؤيته ... تمالكت دهشتى وعدت أقول بصوت رقيق :

ـ عدينى بأن تدرسى قليلا ، لم يبق سوى شهر على الامتحانات .

ـ سأحاول يا « ابله » اعدك بذلك .

بعد أيام وصل الى سمعى بأن مدرسة اللغة العربية عاقبت لولوه لكسلها فى اداء الواجب ، بأن أوقفتها طوال الحصة فى الممر الرئيسى ، وحينما عاتبت الزميلة المدرسة على قسوتها ... انبرت تقول بانها فتاة كسولة وكان يجب أن تضربها لولا أن الضرب ممنوع ، عدت أقول :

ـ انها يتيمة ويجب أن تعامل معاملة خاصة ... لا أن تعاقب .

ولفظت مدرسة اللغة العربية كلماتها التى أدارت رأسى بصوت حاقد :

ـ يتيمة ؟ إن اباها رجل قادر يهز الدنيا بنقوده !

ـ أبوها هى ؟

ـ هل كذبت عليك أنت ايضا ، لو أن هذه الفتاة تبذل فى دراستها نفس الجهد الذى تبذله فى أكاذيبها ، لكانت الأولى دون مزاحم .

هالنى أن الصغيرة التى احببتها ، قد استدرت عواطفى بأكاذيب ملفقة ، واننى بطيبة ساذجة كونت لها صورة جميلة ... صورة فتاة بائسة لاحول لها ... فاذا بى اكتشف انها مضللة ، وأخرجنى من ذهولى صوت المدرسة الحقود :

ـ ساستدعى زوجة أبيها لتقوم بتاديبها نيابة عنى .

إذن هى تعيش مع ابيها وزوجته وكل الاشياء التى اخبرتنى بها ، عن والدتها واخوتها ووالدها المتوفى ما هى إلا أكاذيب

ـ ايتها الكاذبة .

اقتلعتها كلماتى من درجها الخشبى ، ووقفت امامى ترتجف كريشة حائرة ، وأخذت عيناها تجوسان فوق وجهى بخوف ظاهر دفعنى الى التراجع قليلا :

ـ لماذا كذبت على ، إن والدك على قيد الحياة .

ـ قتل أمى .

ـ هه ، هل هذه كذبة أخرى من أكاذيبك التى لاتنتهى .

ضاقت عيناها وامتلأتا بالدموع ، ولم يكن هناك مجال للتراجع ، عدت اقول وقد لان صوتى قليلا :

ـ لماذا تكذبين بهذه الصورة ؟

ـ لااكذب يا ابله .. لقد ماتت بين يدى ، لقد ذهبت مع جيراننا لاستقبالها فى مركز السعودية ... وكانت تحج للمرة الأولى ... لم تكن تعرف أن ابى طلقها وهى هناك فى بيت الله ، وتزوج من أخرى ... كانت تجهل وهى فى طريقها الينا انها باتت بلا مأوى وبلا زوج وأن جيراننا تطوعوا لاستقبالها فى بيتهم حتى تجد حلا لمشكلتها ... وكان الله أرحم بها منهم.ماتت وهى تعبر المسافة القصيرة التى تفصل بينى وبينها . دهستها شاحنة كبيرة . ماتت وذراعاها المفتوحان لأحتضانى معلقان فى الهـواء ، أحتضنها الموت قبلى .

شعرت بغصة وأنا اصغى للصوت المنبعث من صدرها والشبيه بخشب يحترق ... ولكنى خشيت أن لا تكون صادقة مرة أخرى :

ـ لماذا قلت انك تعيشين مع أمك ؟

ـ لااستطيع أن أخبر أحدا بما ألاقيه على يد زوجة أبى ، انها تبخل على بساعات النوم القليلة ، وتفرغنى لرعاية أولادها .

واستطردت بعـد صـمت مشحون بالألم وعبراتها تنهمر بغزارة :

ـ ثم أن أمى لم تمت . انها دائما معى ابثها شكواى ، وتساعدنى على التحمل والصبر !

لم يعد هناك ما يقال ، انصرفت عنها ومأساتها تثقل على صدرى ، من أين لها هذه القدرة العجيبة على الكتمان والانغلاق ، وكيف استطاعت بأكاذيبها الصغيرة ابعاد الناس من التغلغل فى اعماقها الممزقة ...

لم تعد مأساة « لولوه » تخصها وحدها ، لقد تغلغلت فى حياتى بشكل عجيب ومؤلم ، وقبل أن يتسنى لى أن أفعل شيئا من أجلها فوجئت بانقطاعها عن المدرسة ولم أجد اجابة شافية من صديقاتها أو مدرساتها تطمئننى عليها ، وقررت آخر الأمر أن أنتهز نهاية الأسبوع وأذهب لزيارتها .

كانت المرة الأولى التى أذهب فيها لزيارة خاصة لاحدى تلميذاتى ، ولكن « لولوه » لم تكن مجرد تلميذة فقط ، كانت شخصا جديدا الى نفسى يجمع بيننا شعور واحد بالمأساة التى تعانيها ، وحين خطوت داخل البيت التقت عيناى بعينيها كأول مرة حين دخلت الفصل ، كانت تجلس على مقعد طويل يشاركها فيه رجل قدرت أنه والدها وعيناها الواسعتان تطلان على الجمع المحتشد من حولها بدهشة أو حزن ... لاأدرى .

ـ انه أكبر منها بعشرين سنة ، حرام عليهم أن يزوجوها وهى فى هذا السن !

ـ لقد اختارته زوجة ابيها وكلمتها هى الأخيرة .

عدت أمعن النظر اليها ، ثوبها الأبيض يبدو مترهلا عليها كأنه لأخرى ، وخصلتا شعرها البنى لازالتا غير متناسقتين فى الطـول . والتقت نظراتى بنظراتهـا ... نظرات خالية من الحياة .. أنها لاترانى ، لا ترى أحدا ...

نظراتها فارغة كأنها تنظر من خلالنا الى شىء اسمى وأصدق .....

وعدت الى البيت . وحين سألونى عنها فى المدرسة قلت ونظراتها الخاليـة من الحياة محفورة فى قلبى :

لقـد ماتت ..

وداد عبد اللطيف

نقد وتعقيب

تبدأ الكاتبة قصتها بتلك المقدمة التى يشعر القارىء حين يطالعها بانها تكون منفصلة عن الحدث وربما تكون مثل هذه المقدمات من سمات القصة فى بداية نشأتها وهى ظاهرة تجاوزتها القصة المعاصرة ، وخاصة فيما يتصل بالقصة القصيرة . وكان بامكان الكاتبة أن تبدأ قصتها دون أن تلجأ الى هذه المقدمة التى حاولت فيما اعتقد من خلالها بالدرجة الأولى التأكيد على واقعية القصة .. ثم هذا الوصف المباشر للبعد الجسمانى لبطلة القصة التى أوردته الكاتبة فى هذه المقدمة كان بالامكان

أن تعرضه من خلال القصة ـ وهو ما قد حصل بالفعل ـ ولذلك تكرر هذا الوصف بين المقدمة وبين بداية القصة ..

تثير هذه القصة بعد ذلك مجموعة من القضايا أو المشاكل أو قل ان الكاتبة تريد أن تبلور مثل هذه المشاكل والجوانب السلبية لها وفى مقدمتها مشكلة (الطلاق) وما يترتب عليه من تفكك أسرى وتمزق اجتماعى ونفسى يكون ضحيته أولئك الأطفال الأبرياء الذين يظلون يعانون من سلبياته فى أحيان كثيرة حتى بعد أن يكبروا .. والاشكالية الثانية التى تثيرها هذه القصة ومترتبة ـ هنا ـ على المشكلة السابقة هى تزويج الفتاة بمن يكبرها سنا وما يترتب عليها من مآس تكون ضحيتها تلك الفتاة المغلوبة على أمرها ..

وهذه القصة تتمازج فيها واقعية الحدث أو الأحداث حتى لا يستبعد القارىء أنها قد حدثت بالفعل ، وان الكاتبة قد انتزعت مادتها هذه من أرض الواقع .. وتقتحمها فى مواضع كثيرة خواطر وأفكار الكاتبة بصورة مباشرة ، ودون مبررات كافية لتتحدث ـ أى الكاتبة ـ عن ماساتها التى كانت شبيهة ـ كما تقول ـ بماساة بطلة قصتها : (ربما أرى فيها طفولتى اليتيمة واحساسى بالوحدة والاهمال ، احساسا عانيت منه فترة دراستى ، وحتى الآن وبعد أن كبرت وباتت لدى صداقات كثيرة لم انس مرارة الاحساس بالوحدة ...) .

فهذا التعليل والتبرير لموقف الكاتبة من بطلة القصة ربما يعد خروجا عن موضوعية القصة واطار الحدث الى الحديث عن خواطر الكاتبة وذكرياتها ... وهو تعليل وتبرير غير مقنع الى حد ما ، ونحو ذلك قولها : (وقد اتخذت منذ البداية خطا مختلفا فى علاقتى بتلميذاتى فاكتسبت حبهن واحترامهن وفقدت الكثير من حب زميلاتى المدرسات ..) .

نحن لا نختلف أن النص الأدبى أو الأدب بمختلف فنونه يحمل أو يعبر عن الكثير من أحاسيس ومشاعر وأفكار واتجاهات كاتبه مهما حـــاول الالتزام بالموضوعية .. فالذاتية تطل برأسها ، والنص ينم عنها تارة بصورة قوية واضحة وتارة فى صورة ومضات تعلو وتخفت حسب المذهب الذى يدين به الكاتب وحسب الموضوع الذى عبر عنه . ولكن هذه الذاتية يجب أن لا نقحمها بأسلوب تقريرى مباشر ـ خاصة فى مجال النص الفنى ـ فبامكان الكاتب أن يخلع الكثير من أفكاره ومشاعره وأحاسيسه على شخصيات وأبطال قصصه ولكن كل ذلك يجب أن يأتى بصورة غير مباشرة .. فالكاتب يستطيع أن يجعل القارىء يحس بمعاناته من خلال تصويره لحياة شـــخصياته ، ومايبثه من خلالها من أفكار وقيم تتبلور نتيجة لذلك الصراع الذى يحدث بين الشخصيات بعضها البعض أو بينها وبين الواقع ، وما يعترضها من عادات وتقاليد تقف فى طريقها وتحرمها من نيل حقوقها .

وهناك الكثير من الأدباء الذين عبروا عن معاناتهم وعن مواقفهم تجاه الحياة وتجاه بعض القضايا التى تشغلهم من خلال أعمالهم الأدبية . ولكنه تعبير نستشفه من خلال هذا العمل أو ذاك عن طريق الايحاء متمثلا فى تصرفات هذه الشخصية أو تلك وقد نستدل نفسية وأفكار الكاتب من خلال العمل الأدبى ككل .. وهناك العديد من النماذج لشخصيات قصصية يرى النقاد أن هذه الشخصيات تمثل حياة كتابها منها على سبيل المثال : شخصية (محسن) فى قصة (عودة الروح) التى تمثل حياة توفيق الحكيم ..

الذى نريد أن نصل اليه أن الكاتب يمكنه أن يعبر عن حياته ومعاناته من خلال العمل الأدبى ، أو أن يتخذ من احدى الشخصيات نموذجا يمثله ، ولكن بشرط ألا يكون بتلك الصورة المباشرة فى التعبير والكشف عن ميول الكاتب ومعاناته ، والا تحولت القصة الى خواطر ذاتية ، وفرق بين المخاطرة ، وبين القصة ، هذا فن وذاك فن آخر .. والى جانب هذا الأســـلوب التقريري المباشر فى التعبير عن ذاتية الكاتبة ، أو فى سردها لأحداث القصة ، نجد ذلك الأسلوب التصويرى الشعرى ذا الطابع الرومانسى كقولها : (وتحول دون نزيف الكلمات فتفضحها عيناهـــا ..) (واستغرقت فى بكاء حاد متواصل كان له طعم مر فى حلقى ...) ومع ذلك فأسلوبها يتسم بالبساطة فى التعبير عن أفكارها .

وتنـهى الكاتبة قصتها بتلك النهاية الحزينة (وحين سألونى عنها فى المدرسة قلت ونظراتها الخالية من الحياة محفورة فى قلبى ... لقد ماتت) .

هى لم تمت حقيقة ، ولكن الماســـاة الجديدة التى كبلت حياتها بهذا النوع من الزواج اعتبرته الكاتبة نهاية لحياة بطلة قصتها فانهتها بهذه الصورة الدرامية .. .. فالقضـــية هنـــا عرض فنى لموقف اجتماعى انسانى فى وقت واحد . وتوفيق الفنان فى هذا العرض يعود الى منطق الفن المعروض ، ومن الواضح أن الكاتبة قد نقلتنا عدة نقلات من الخاطرة الى الحدث الى النهاية المفجعة دون أن نحس بالمركب الفنى المقصود . ولعل الموازنة توضح ذلك حين نأخذ هذه اللقطة من قصة كلثم جبر بعنوان (امرأة حاقدة) تصور نفس الموقف (واشمئز من أنفاسه ... وأحس به كالزيت المندلق يزحف نحوى ... فأكرهه أكثر . وأشعر باشمئزاز منه .. من أنفاسه .. ورائحة جسده .. وأحس بمنتهى السعادة .. عندما يغادر المنزل . وأمنيتى الخلاص منه . وهذا ليس بالشىء السهل .. فعائلتى متعصبة جدا . ولا تؤمن بالطلاق الذى يجلب العار عليها . وكنت فى الخامسة عشرة .. عندما تزوجتـــه . وهـــو فى الثلاثين (١) ...) .

وبعد ، هذه محاولات لكاتبة ناشـــئة لا زالت فى بداية الطريق ولكنها بدايات تبشر بخير نأمل لهذه المحاولات والكتابات أن تستمر وتنمو ، والاستمرارية والنمو هما السبيل لتحقيق التطور ..



هامش

١ ـ « أنت وغابة الصمت والتردد » : كلثم جبر ص ٥٣ .

الأخطبوط

هل الإنسان أقل ذكاء بحيث لايفهمه؟

بقلم مهندس : حسام جميل المدانات



الأخطبوط .. إنه في نظر الناس سمكة قاتلة للبحارة ، رغم انه مخلوق يثير في نفوس العلماء الاحترام والدهشة !

هل يعقل أن يوجد في البحار حيوان ذو ذكاء يندر وجوده بين الثدييات البرية أو البحرية على حد سواء ؟ حيوان يفكر أفكاراً غريبة ، بينما هو يراقبنا نسبح بجواره .

إن الأخطبوط هو هذا الحيوان !

قد يكون غريباً أن يتميز حيوان لا ينتمي للثدييات بالذكاء ، وخاصة إذا كان هذا الحيوان من الرخويات Mollusks والتي تقع في أدنى السلم الحيواني من ناحية التطور . فالأخطبوط Octopus مثل قريبه الجبار السبيدج Squid ، له عيون تكوّن صوراً مشابهة للأجسام المنظورة ، وله أطراف معقدة ، ودماغ كبير . وواضح أن تطور الدماغ في الرخويات قد تم منفصلاً عن تطوره في الفقاريات . فالرخويات تطورت عن حيوان صغير أنبوبي الشكل يشبه الهيدرا . إن الرخويات بدماغها ومنطقها الغريبين ، قد تملك ما يمكن أن نتعلمه منها عن ذكاء لا نعرفه في عالم مختلف !

لقد كان للرخويات وللفقاريات طريقان في التطور منفصلان . ولكن كليهما قد طور خصائص متشابهة : أطرافاً لينة مرنة تنثني وتقوم بحركات تتطلب مهارة . ودماغاً مركزياً ، وعينين بعدسات . ولكن هناك اختلافات هامة : فللثدييات أربعة أطراف ، بينما للأخطبوط ثمانية . ودماغها مكون من جزئين كل منهما كتلة من الأعصاب ، ومَوْقِعُهُ فوق الفم ، بينما دماغ الأخطبوط مكون من خمسة اجزاء على شكل حلقة تحيط بالبلعوم خلف الفم . والجهاز الدوري في الأخطبوط مكون من ثلاث مضخات تنفخ سائلا نحاسيا أخضر ، بالمقارنة مع قلب الانسان الذي يضخ دماً أحمر لاحتوائه على الحديد . كل هذه الاختلافات تجعل الأخطبوط يبدو غريباً ، رغم انه عاش بجوارنا منذ القدم .

والأخطبوط بالنسبة للبعض هو سمكة شيطانية أو وحش قاتل للبحارة . ولكن نظرة قريبة لهذا الحيوان ، تكشف عن مخلوق يبعث على الاحترام والدهشة .

وعندما يتسلل عبر الرمال على أقدامه المنثنية ، أو ينزلق عبر القيعان الصخرية للبحار بزوائده اللحمية التي تتبع الشقوق

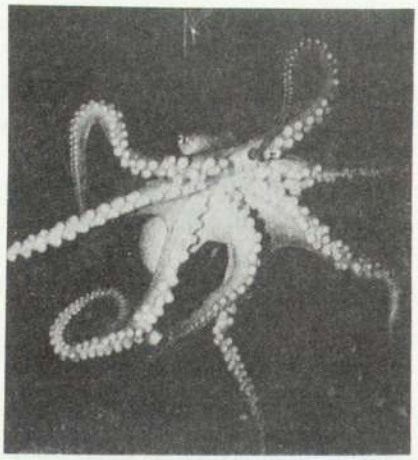
والانحناءات ، تراه يسير بجسمه اللدن متخذاً شكلا انسيابياً ، مقللا من مقاومة الماء لحركته .

يختلف الأخطبوط عن الرخويات الأخرى بكونه قد استغنى عن الصدفة القاسية لتحميه من الأخطار . واستبدل ذلك باعتماده على سرعة الحركة ، وعلى زيادة قوته الخاصة الجسمية والعقلية ليكون مهاجماً أكثر منه ضعيفاً أو مدافعاً . وأثناء هذه العملية التطورية نما له دماغ يفوق بما لا يدع مجالا للمقارنة دماغ الرخويات الأخرى من حلزون وصدف .

ليس هناك ما هو أكثر تعرضاً للأذى من الأخطبوط بجسمه اللحمي الطري غير المحمي ، خاصة في بحار يأهلها حيوانات خطرة مثل سمك القرش الشره ، وغيره من الأسماك الأخرى ذات الأسنان الحادة . ولكن حتى تتمكن هذه الحيوانات من التهام الأخطبوط ، فلابد لها من إمساكه أولا . ولكن ليس مثل الأخطبوط مهارة في طرق الهرب والتخفي . إن للأخطبوط القدرة على تغيير شكله وبنيته السطحية وحتى لونه ليتخلص من مطاردة أعدائه وليخرج من دائرة ملاحظتهم . وإذا فشلت وسائل التخفي والتمويه هذه ، فبإمكانه أن يضغط جسمه ليدخل في أصغر مكان يجده ليختبيء .

وقد يمر غواص مدرب بجانب العشرات من الأخطبوط دون أن يلاحظها ويحتاج الأمر لعين مدربة ، لتميز الأخطبوط من الصخور والفروع المرجانية التي يلتصق عليها .

وترجع القدرة العالية على التخفي لهذا الحيوان إلى احتواء جلده على نوعين من الخلايا الملونة Chromatophores ، وذات اللون الداكن منها تنتج الألوان البنية والحمراء ، بينما ذات اللون الفاتح تعطي اللونين البرتقالي والأصفر . وعند الولادة يحتوي جلد الأخطبوط على سبعين خلية ملونة فقط . ومع نمو الأخطبوط يزداد عدد هذه الخلايا حتى تصل كثافتها إلى مئة خلية في المليمتر المربع الواحد من الجلد . وهكذا فالحيوان البالغ يحتوي على ملايين من هذه الخلايا يسيطر عليها الجهاز العصبي . وتساعد عضلات متخصصة على شد هذه الخلايا ، مما يزيد قطرها إلى عشرين مرة من قطرها الأصلي . وبإمكان الأخطبوط أيضاً أن يظهر ظلالا ذات



أظهرت إحدى التجارب العلمية أن للأخطبوط قدرة سريعة على التعلم !

انعكاسات زرقاء وخضراء إذا ظهر على خلفية صافية فاتحة اللون . فالخلايا الملونة تحتوي على صفائح عاكسة من بلورات عضوية مشابهة للمخروط الزجاجي الذي يحلل الضوء إلى أطيافه ، ويعتمد اللون المرئي على الزاوية التي ينظر بها إلى هذه الصفائح . وهذا يشبه ما يظهره العصفور الطنان من ألوان ، وبالمثل تلك الألوان التي نراها عند النظر للماس وبعض الجواهر .

وهكذا ، فعندما يتحرك الأخطبوط ، فإن الأنماط اللونية لجلده تنساب في اتجاه معاكس لحركته . وحتى عندما يندفع سريعاً هارباً من الخطر ، فانه يبدو وكأنه لا يتحرك نتيجة هذه الحركة العكسية الظاهرية للألوان .

إنه خداع بصري عمل على إنقاذه من أكثر من عدو مفترس .

أما بنيته السطحية فتتم سيطرته عليها بشكل مستقل عن الخلايا اللونية ، فالعضلات تعمل في أجزاء صغيرة من الجلد ، وتستطيع أن تجعل الجلد يبدو ناعماً ، أو أن تجعله متجعداً خشناً كسطح رملي .

الاتصالات الاجتماعية

إن هذه القدرة العالية للأخطبوط على تقليد الوسط الذي يكون فيه ، تدل على امتلاكه لقدرة عقلية ذات مستوى مرتفع وذات سيطرة كبيرة على العمليات الجسمية . وبما أن الأخطبوط يمتلك حاسة إبصار قوية ، فمن المحتمل أنه يستعمل النماذج اللونية لجلده ، ليقوم بالاتصال مع الأفراد الأخرى بتركيبات صورية كاملة . وإذا صدق المثل القائل بأن صورة واحدة لها قيمة ألف كلمة ، فان بإمكان الأخطبوط أن يتخاطب بسرعة تفوق قدرتنا بآلاف المرات .

وقد يمتلك الحبار الذي يعيش في أعماق البحار قدرة مشابهة على التخاطب . والحبار قريب للأخطبوط ، وهو يمتلك في جلده خلايا متخصصة تولد ألوانها المشعة الخاصة بها . وبعض هذه البقاع المضيئة تعتبر كعيون بما تحتويه من فتحات بؤبؤية وعدسات . ويقوم دماغ الحبار بالسيطرة على عرض الألوان هذا حسب ردود فعله للمثيرات والظروف المحيطة . وقد تكون هذه العروض اللونية المضيئة نوعاً خاصاً من الاتصالات الاجتماعية .

القدرة على التأقلم والتعلم

أظهرت بعض التجارب على الأخطبوط ، أنه يمتلك قدرة كبيرة على التعلم السريع . ويظهر أحد الأفلام رد فعل أخطبوط أثناء تعرضه لتجربة « القرد والموز » ، (حيث قام القرد باستعمال صندوق وعصا لتناول الموز المعلق عالياً بعيداً عنه) . وفي هذه التجربة ، وضع أمام الأخطبوط دورق زجاجي مملوء بالماء وبالسرطان البحري الذي يشكل غذاء مفضلا له ، وأغلق الدورق بقطعة فلين . فلوحظ أن الأخطبوط أمضى وقتاً طويلا يدور حول الدورق ، ويتلمس جوانبه الملساء وقمته الفلينية الخشنة . وفي عدة مرات كان يعود بعد تلمسه هذا إلى مكانه في إحباط واضح . وفجأة ترك مكانه واتجه بدون تردد نحو الدورق ، حيث لف ثلاثة أطراف له حول الدورق ، ومد طرفاً نحو الفلينة وأخذ يجذبها ، وخلال لحظات اندفعت الفلينة خارجة ، وبدأ الأخطبوط يتناول وجبته .

وتدل تجربة أخرى على قدرة الأخطبوط السريعة على التعلم . فقد قام الباحث بوضع قرص أسود اللون في حوض الأخطبوط ، وعندما لمسه الحيوان تلقى مكافأة فورية على شكل قطعة من سمكة . ثم أدلى له في الحوض بقرص أبيض اللون وعندما لمسه أصيب بصدمة كهربائية خفيفة جعلته ينزوي مستنكراً في أحد أركان الحوض .

الأخطبوط

هل الانسان أقل ذكاء بحيث لايفهمه؟

وعندما وضع القرص الاسود للمرة الثانية ، اقترب منه الأخطبوط ولمسه بدون تردد ، حيث تلقى مكافاته ، بينما عندما رأى القرص الأبيض نظر نحوه ، ولكنه لم يحاول أن يلمسه . إن سرعة التعلم في هذه التجربة تدل على ذكاء متطور .

وقد دل رد فعل الأخطبوط لرؤية المرآة على منطق متطور أيضاً ، فمعظم الحيوانات البحرية تفترض أن انعكاس صورتها في المرآة ما هو إلا منافس لها ، وتحاول أن تبعده . ولا تتعلم مطلقاً أن هذا ما هو إلا جهد ضائع . أما الأخطبوط ، وهو معتاد أن يطرد المتطفلين من أفراد جنسه ، فانه قد نظر نحو انعكاس صورته في المرآة لفترة طويلة ، ثم مد أحد اذرعه حتى لمست سطح المرآة ، وحرك ذراعه جيئة وذهاباً على طول صورته كانما يحاول أن يمحو الانعكاس في المرآة . وبعد أن أمضى دقائق قليلة في ذلك ، انسحب إلى جحره ورفض أن يخرج . وكان يبدو انه مضطرب بعمق . لقد كانت تجربة مواجهة نسخة خيالية لا تُلمس عن نفسه .. تجربة أقسى من أن يتحملها في ذلك اليوم .

وماذا عن النوم ؟

إن الأخطبوط يستريح كل يوم ، إذ يبقى في وضع سكون تام ، ويخفض من معدل تنفسه كما تفعل الثدييات . وواضح أن ساعات النوم هذه خطره ، حيث يمكن للحيوانات البحرية المفترسة أن تهاجمه بسهولة أثناءها .

وحقيقة أن حيوانات ذكية مثل الرخويات وجدت نفسها بحاجة للنوم ، حقيقة قد تقودنا لاعطاء تفسير لهذا التصرف الغريب « النوم » . فقد لا يكون الهدف الأساسي من النوم هو الحصول على الراحة الجسدية ، وإنما قد يكون الكائن الحي ، المتمتع بمستوى عال من النشاط العصبي ، بحاجة للنوم لاعادة برمجة وتنظيم ما حصل عليه من معلومات خلال يومه ، وليضع التجارب الاكثر أهمية في أماكن التخزين الدائمة .

يتمتع الأخطبوط بحاسة إبصار ممتازة ، وتشبه عيناه عيون الفقاريات ، رغم أن كلا منهما قد تطور بطريقة منفصلة ومستقلة . ووجه التشابه أن العيون في كل من الرخويات والفقاريات لها أجفان ، وفتحات بؤبؤ ، وعدسات بلورية ، وشبكية . ولكن هناك اختلافات بسيطة وهامة . فالبؤبؤ في الأخطبوط عبارة عن فتحة خطية عريضة وأفقية تظهر في مركز عينه الصفراء . وتحتوي الشبكية على عدد أقل من خلايا الحس بالمقارنة مع الانسان ، وهكذا فان نظره أقل دقة من نظرنا . ولكن هناك تحسين هام في عين الأخطبوط . فالعصب البصري عنده يتصل مع مؤخرة العين بالمقارنة مع العصب البصري عند الانسان والذي يتصل مع الشبكية مكوناً ما يسمى بالنقطة العمياء الخالية من خلايا الحس البصري ، والتي بالتالي لا تتكون صورة إذا سقطت عليها الأشعة . وهكذا فلا نقطة عمياء في عين الأخطبوط .

أما حاسة اللمس عند الأخطبوط ، فهي متطورة أكثر منها عند الانسان ، ففي حين تعتمد حاسة اللمس عند الانسان على الضغط فقط ، فان الأخطبوط (يرى ويشم) بواسطة جلده ، خاصة الجلد ذي الحساسية الفائقة المحيط بأذرعه الثمانية فعند لمسه من طرف احد اذرعه ، فانه يعرف فوراً شكل ، ومدى نعومة أو خشونة الحجم الذي يلمسه ، بالاضافة إلى رائحته وطبيعته الكيماوية .

وحسب ما نعرف ، فالأخطبوط أخرس لا يتكلم ، رغم أن بعض أنواع الحبار تتكلم ، وقد تم تسجيل أصواتها على أشرطة . ولكنه يعوض عن هذا الخرس ، بالتعبير عن أفكاره ومشاعره عن طريق الجلد . ويستطيع الغواصون المجربون أن يعرفوا متى يكون الأخطبوط خائفاً أو غاضباً من تغيرات الشكل واللون في جسمه ، ولكن رغم أنه لا يتكلم فهناك أدلة على أنه يسمع

وعندما يتعرف الأخطبوط إلى شخص معين ويتغلب على خوفه الطبيعي وحذره تجاهه ، فانه يبدي رغبة في أن يربت عليه ويدلل . ولكن يجب أن يتم لمسه بلطف . فالجهاز العصبي الحساس للأخطبوط سهل العطب . وبعض أفراده أصيب بصدمة ومات نتيجة إمساكه بنوع من الخشونة ، رغم عدم ظهور إصابة واضحة في جسمه .

هل نحن أقل ذكاء ؟

الأخطبوط حيوان بحري ، فهو يتنفس عن طريق الخياشيم وليس الرئات ، ولكنه يستطيع أن يبقى لعدة ساعات خارج الماء إذا بقيت الرطوبة على جلده . ولكن جسمه أضعف من أن يتحمل المعيشة على اليابسة فهو كتلة لحمية طرية بدون عظام ، والحياة على اليابسة تتطلب بناء متيناً يحمل ثقل الجسم ويتحمل الصدمات .

وهكذا ، فهناك حدود لقدرات الأخطبوط ، حدود تستبعد إمكانية أن يستغل ذكاءه يوماً ما فيما يمكن أن يشابه ما قام به الانسان . وأحد الحدود الانسانية لقدرات الأخطبوط تأتي من تركيب دمه الأخضر اللون . فالنحاس هو المادة التي تلتقط الأوكسجين من الهواء وتنقله إلى خلايا الجسم . والنحاس يحد من قدرة امتصاص الأوكسجين إلى حوالي ٤٪ ، بينما نجد أن كريات الدم الحمراء المحتوية على الحديد ، لها قدرة تتراوح بين ثلاث وخمس مرات على امتصاص الأوكسجين .

وإذا تذكرنا أن الأخطبوط حيوان لا يحتوي هيكلا عظمياً أو شوكياً ، فانه يظهر واضحاً مدى الجرأة التي تميز حياته . فبعد أن تخلى عن بيته الصدفي الذي يميز الرخويات الأخرى ، فانه قد تحول إلى حيوان مفترس مهاجم ، بدل أن يكون طريدة دائمة الهرب .إنه يمشي ويسبح ويندفع مهاجماً أو مدافعاً عند قيعان المحيط كما لو كان مخلوقاً متفوقاً غير عادي . وهو يظهر ذكاء يستحق الاعتبار ، ولكنه ذكاء مختلف

وبعد .. لم يكن من السهل على الانسان أن يحقق الاتصال مع تلك الثدييات مثل القرد والدلفين ، رغم أنها تمتلك ذكاء مشابهاً بطبيعته لذكاء الانسان ، ولو انه محدود .

وهل يمكن أن يكون الأخطبوط غريباً لدرجة أننا لسنا أذكياء بدرجة كافية لنفهمه حق الفهم ؟ .

وإذا حقق الانسان في المستقبل أحلامه بزيارة عوالم غريبة تعمرها حياة من نوع غريب ، فهل سيكون من الممكن أن نميز إذا كانت هذه المخلوقات الغريبة ذكية ؟ وهل سيكون من الممكن تحقيق الاتصال معها ؟ .

إن معرفتنا الطويلة بحيواننا البحري الأخطبوط ، قد تساعد ، فهو مثال قريب على حيوان غريب من ذكاء مختلف .

مهندس حسام جميل المدانات
الأردن ـ عمان



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

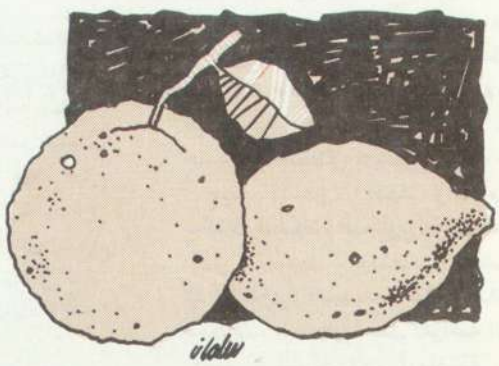
لماذا كانت ألوان قوس قزح بالترتيب الذي نراها عليه؟

نحن نصف الضوء العادى بأنه الضوء الأبيض أو ضوء الشمس . والحقيقة أن هذا الضوء هو خليط من عدة ألوان .. فعندما يسقط ضوء الشمس على طرف مرآة مشطوف أو على حرف منشور زجاجى أو على سطح فقاعة صابون نرى هذه الألوان مجتمعة فى الضوء .. ما حدث هو أن الضوء الأبيض تكسر فى موجات مختلفة الأطوال فشبه بحزمة من الخطوط نرى فيها بأعيننا اللون الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق النيلى والبنفسجى .. وترتب حزمة هذه الخطوط على حسب كل موجة ... ونسمى هذه الحزمة « الطيف » أو « طيف الضوء » ونجد اللون الأحمر فى طرف الطيف دائماً والأزرق النيلى والبنفسجى فى الطرف الآخر .. ويقرر ذلك كما ذكرت أطوال موجاتها المختلفة .. وعندما ترى قوس قزح فانك ترى قوس طيف عظيم تسبب عن تكسر ضوء الشمس .. فعندما ينفذ ضوء الشمس من قطيرات المطر فانه يتكسر .. تماماً كما يحدث له عندما ينفذ خلال منشور زجاجى. ولهذا فاننا نرى داخل قطرات المطر الألوان المختلفة بادئة من جانب النقطة مرتبة إلى الجانب الآخر .. وبعض هذه الأضواء الملونة يكون منعكساً من جانب بعيد من قطرات أخرى خلف القطرات التى نراها ...

وينفذ الضوء من بين القطيرات فى اتجاهات مختلفة على حسب اللون. وعندما تنظر إلى هذه الألوان فى قوس قزح تراها مرتبة ابتداء من الأحمر فى القمة إلى البنفسجي أسفل القوس .

ونرى قوس قزح عندما يرش المطر وتكون الشمس ساطعة فى نفس الوقت ولكن فى الجانب المقابل للناظر .. فلكى ترى قوس قزح عليك أن تكون بين الشمس وقطيرات المطر على أن تكون الشمس من خلفك حيث يجب أن تكون الشمس وعيناك ومركز منحنى قوس قزح جميعاً على خط مستقيم .

لماذا يحتاج الإنسان إلى فيتامين "ج"؟



هناك طريقة غريبة للاجابة على هذا السؤال .. هل عرفت أن البحارة البريطانيين كانوا يسمونه « الليمونيين » والسبب أنه منذ سنة ١٦٠٠ عندما بدأت شركة الهند الشرقية تزود سفنها بالفواكه الطازجة كان البحارة يعطون الفواكه الحمضية « الليمون والبرتقال والليمون الحلو » ليأكلوها ، لماذا كان ذلك؟ للوقاية من مرض مخيف يسمى الأسقربوط ... فقد عاش البحارة مئات السنين وهم فى رعب من هذا المرض .. فهو يصيب الناس الذين يعيشون فترات طويلة على اللحوم والأطعمة المحفوظة ولا يستطيعون الحصول على خضروات أو فواكه طازجة . والليمونادة أو عصير الليمون هو الذى كان يقى من هذا المرض .

لقد كان واضحاً أن هناك شيئاً ما فى هذا العصير يحتاجه الجسم الانسانى ليقوم بوظائفه العادية .. الآن . نحن نعرف أن ذلك الشيء هو فيتامين « حـ » . وإذا كان البحارة يتناولون كمية كبيرة من الطعام فلماذا لا يحصلون على فيتامين « حـ » لأن فيتامين « حـ » تفسده الحرارة بسرعة وكذلك التخزين أو التعرض للهواء .. وعندما كانت تعد معظم الأطعمة للتخزين فى الأزمان السابقة كان فيتامين « حـ » يفسد فيها فيفقد فاعليته .

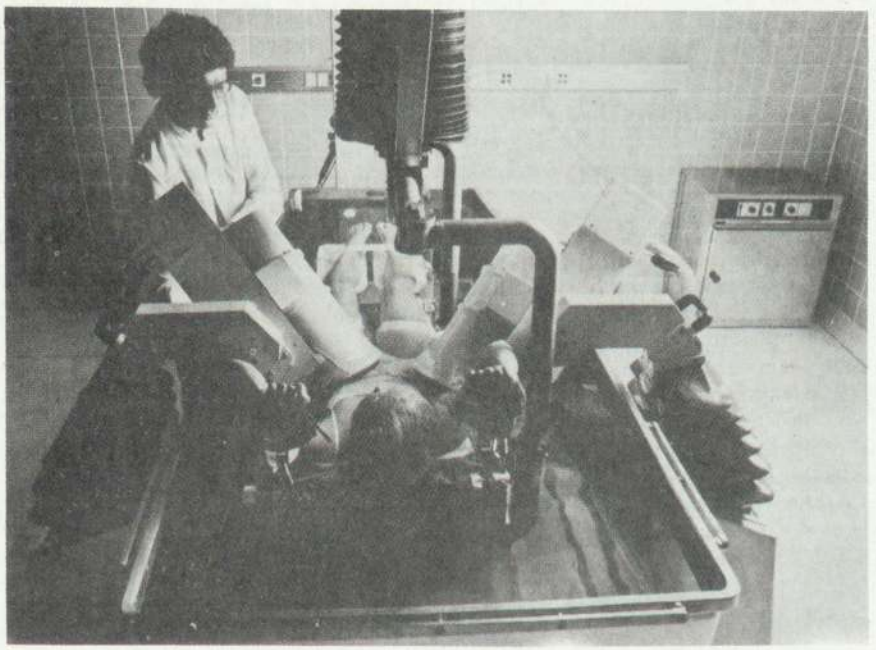
وهناك مشكلة أخرى تتعلق بفيتامين « حـ » هى أن جميع الحيوانات الثديية ـ تقريباً ـ تعد حاجتها من فيتامين « حـ » فى أكبادها ، ولهذا فانه لا يمكن أن تعانى من نقص فيتامين «حـ» ولكن الانسان والقرود وخنزير غينيا من الثدييات التى لا تنتج فيتامين « حـ » فى أجسامها. ولذا فان عليها أن تحصل عليه من الطعام .. وفيتامين « حـ » لا يسهل تخزينه .. وهو لا يخزن الا بكميات صغيرة تفى بالحاجة وعلينا أن نتناول فيتامين « حـ » باستمرار وأفضل مصادر هذا الفيتامين هى : البرتقال والليمون ، والفراولة ، والجريب فروت . وطبيعى أن كثيراً من الناس يتناولون حبوب الفيتامين « حـ » ليكملوا القدر الذى يجب أن يحصلوا عليه من الطعام .

وأفضل شيء تعمله هو أن تكون متأكداً من أن طعامك يحتوى كمية متوازنة من الفيتامينات التى يحتاجها جسمك وأن تستشير طبيبك قبل استخدام أي نوع من الفيتامينات .

بقي أن نتساءل ماذا يحدث إذا نقص فيتامين « حـ » من الجسم ؟ تصير الأوعية الدموية هشة تنزف بسرعة ، وتبدو هالات سوداء وزرقاء على الجلد قرب العينين ، وتنزف اللثة لأقل سبب ، ولا تؤدى الهرمونات ولا الأنزيمات وظيفتها كاملة فى أجسامنا وتقل مناعتنا ضد البكتريا وتظهر الالتهابات فى الحلق .

تقديم : لبنى الريدي

الشرارة الكهربية وعلاج حصوة الكلى



المريض يرقد فى حوض الماء اثناء عملية تفتيت الحصوة

نجح الأطباء الالمان فى تخليص ٤٥٠ مريضا من حصوة الكلى دون اللجوء الى الجراحة وبدون استخدام اشعة الليزر .

وتتلخص الطريقة الجديدة فى توليد موجة كهربية نتيجة تكون شرارة بين قطبين، وهى ظاهرة تحدث عندما تنطلق طاقة كهربية كبيرة فى زمن قصير جدا . وتنعكس هذه الموجة داخل جهاز عاكس بيضاوى الشكل يعمل كمرآة مقعرة . بحيث يتم تركيز طاقة هذه الموجة فى بؤرة لا تزيد مساحتها عن سنتيمتر واحد وهى بؤرة الجهاز العاكس، ويكفى وضع الحصوة المطلوب تفتيتها فى هذه البؤرة لكى تتركز عليها كل الطاقة المتولدة وتفتتها .

فبفضل نظام اشعة خاص يتم تعيين موضع الحصوة بشكل دقيق للغاية وتظهر على الشاشة فى شكل بقعة بيضاء كما يتضح من الصورة. ويرقد خلال ذلك المريض فى حوض من الصلب مملوء بماء دافىء خالي من الغازات تماما لتفادى حدوث رنين للموجة الكهربية، وباطلاق عدد من الموجات المتكررة يتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٨٠٠ موجة متتالية تتفتت الحصوة وتتحول الى رمال لا يزيد قطر حباتها عن ملليمتر واحد بحيث تطرد مع البول . ويختلف عدد الموجات تبعا لصلابة وحجم الحصوة . وتستغرق هذه العملية ما بين نصف ساعة وثلاثة ارباع ساعة .

وبعد ثلاثة أيام يستطيع المريض مغادرة المستشفى .

ولكن يجب مراعاة ان هذه الموجات الكهربية لا تستخدم الا فى حالات الحصى الصغيرة نسبيا اى لا يزيد قطرها عن ثلاثة سنتيمترات وذلك لان كمية الرمل الناتجة عن تفتيتها ستكون كبيرة جدا وسوف يصاحب التخلص منها نوبات مغص كلوى عنيفة . كما لا يتعين استخدام هذه الطريقة فى حالة وجود التهابات فى المسالك البولية .

نظارة شمسية تلتقط الصور

تمكن مخترع نيوزيلندى من ابتكار نظام تصوير فيديو جديد يعتمد على كاميرا الكترونية متناهية فى الصغر ومثبتة فى نظارة شمسية . ويعتمد هذا النظام على أكثر التقنيات تطورا . اذ يتكون من رقيقة من اشباه الموصلات تضم كل الدوائر الالكترونية التى تحتاجها الكاميرا الفيديو التقليدية . ولتصور مدى صغر حجم هذه الرقيقة يكفى معرفة انها مثبتة خلف كوبرى النظارة المرتكز على الانف بحيث تبدو هذه النظارة وكأنها نظارة شمس عادية ذات عدسات عاكسة .

ولكن احدى عدساتها تخفى وراءها لوحا صغيرا من البللورات السائلة ليقوم بعمل وبدور العدسة الاضافية الموجودة فى آلات التصوير والتى من خلالها يحدد المصور ما ستشتمل عليه الصورة .

وتتصل عدسات النظارة بواسطة سلك بمسجل صغير يحمله المصور فى حزامه أو على كتفه اذ لا يزيد عرض هذا المسجل الفيديو عن خمس بوصات، وسمكه عن ست بوصات ونصف، وهو يستخدم شريط فيديو فى حجم الثقاب الا ان سعته التسجيلية ساعتان كاملتان .

ويتم تشغيل الجهاز والقيام بكل عمليات الضبط والتصوير بواسطة أزرار جهاز التسجيل . وتتعدد استخدامات هذه النظارة الشمسية خاصة بالنسبة للمجالات العسكرية مثل المراقبة السرية وبالنسبة للتسجيلات الرياضية .

كاميرا تكتب على الصور

تحولت الكاميرا فى السنوات الأخيرة الى وحدة مركزية للتصوير يمكن توصيلها بوحدات اضافية عديدة ابتداء من اجهزة التصوير الميكروسكوبى الى



الكاميرات ذات الطباعة

التحميض مرورا باجهزة التوجيه من بعد. فقائمة المعدات التكميلية لبعض مجالات التصوير تزداد كل يوم .

وآخر هذه الابتكارات طباعة تثبت على ظهر الة التصوير بحيث تسمح بكتابة تعليق أسفل كل صـــورة يتم التقاطها . وتضم هذه الطباعـــة التى لا يزيد وزنها عن ربع كيلوجرام لوحة بها الحروف الابجدية والارقام من صفر الى تسعة . وتستطيع هذه الطباعة الصغيرة كتابة تعليق يتكون من ثلاثين حرفا او رقما يبلغ ارتفاع كل منها حوالى سنتيمتر واحد . بحيث يتم طبع الرسالة على الفيلم مباشرة .

وكما تبين الصورة فهناك شاشة من البللورات السائلة تظهر عليها الكلمات والارقام المبرمجة لكى يستطيع المصور التحكم فيهاقبل طباعتها وتستغرق عملية الطبع خمس ثوان فقط ومن ثم يسجل التعليق المصاحب لكل صورة بمجـــرد التقاطها .

وفى حالة التصوير العلمى فهى تسمح بتدوين المعطيات العلمية الخاصة بكل صورة مما يسهل على الباحث بعد ذلك عملية التجميع وكتابة التقارير العلمية . وتحتاج هذه الطباعة الى بطـــارية ٩ فولت لتشغيلها .

اشعة الليزر وقتـــل الخلايا السرطانية

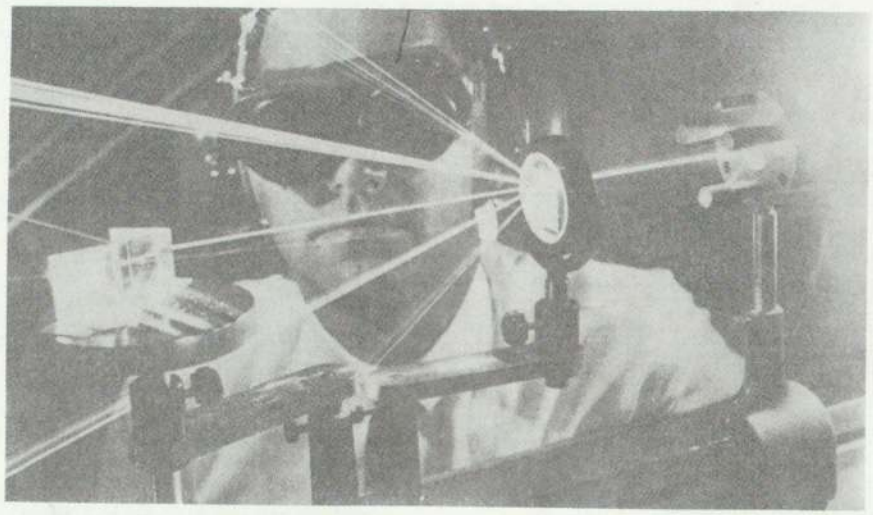
لم يعد استخدام اشعة الليزر فى الجراحة شيئا جديدا إلا أن هذه الاشعة السحرية لا تكف عن ابهارنا كل يوم بامكانياتها المتجددة . يجرب الجراحون طريقة مبتكرة لاكتشاف الاورام السرطانية والقضاء عليها باشعة الليزر بدون جراحة أو استئصال للاورام .

لقد اثبتت هذه الاشعة فاعلية اكبر من الجراحة التقليدية بالنسبة لاستئصال الاورام السرطانية اذ تتميز بدقة اكبر ومعدل نزف اقل بالاضـــافة الى ان احتمالات التلوث غير واردة .

إلا ان اشعة الليزر لا تســـتطيع الوصول الى جميع اجزاء الجسم بينما الطريقة الجديدة تجمع بين قوة العلاج بالاشعاعات وقدرتها على النفاذ الى داخل الجسم وبين دقة وتحديد الجراحة بالليزر .

وتعتمد الطريقة الجديدة على مادة كيمائية مســـتمدة من الهيموجلوبين المنحل فى دم الابقار فعندمـــا يحقن الانسان بهذه المادة تنتشر فى جميـــع الخلايا الى ان يتم التخلص منها عن طريق الوظائف الطبيعية لهذه الخلايا . الا انها تبقى مدة اطول فى الخلايـــا السرطانية بحيث يستطيع الاطباء تحديد مواطن الاورام مهما كان حجمها صغيرا وذلك بفضل حساسية هذه المادة للضوء اذ تتوهج الخلايا المحتوية على المادة بلون أحمر عند اضاءتها بشعاع بنفسجى من اشعة الليزر . وبالتالى يستطيع الطبيب اكتشاف الخلايا السرطانية فى وقت مبكر مما يساعد على الشفاء . وبعد تحديد مواقع الاورام بدقة يوجه اليها ضوء أحمر من أشعة الليزر ليحدث تفاعل كيمائى ضوئى ينتج عنه تولد أكسجين ذرى يقوم بقتل جميع الخلايا الحية المجاورة .

ولقد حققت التجارب التى استمرت لمـدة خمس سنوات نجاحا مع جميع انواع السرطان بما فى ذلك سرطان الرئة فى مراحله الأخيرة . وتستخدم هـذه الطريقة حاليا فى ثمانى مستشفيات فى الولايات المتحدة .



اشعة الليزر والقضاء على الأورام السرطانية



«نور الشريف» يعود إلى سيارته التاكسى ، بعد أن سرقها منه اللصوص ذات ليلة فى أحد الشوارع الجانبية .

سينما

رؤوف توفيق

فيلم الجوائز والمهرجانات

"سوّاق الأتوبيس"

والحرب الخامسة لجيل لم يستمتع بحياته!

هناك نوع من الأفلام ، تشعر أنك تحمله بداخلك .. ولا تدرى بالضبط ، هل هذا الفيلم جزء منك .. أم أنك أنت جزء منه ؟ !

ذلك لأنه فى لحظات كثيرة .. تتراءى لك بعض مواقف الفيلم .. ويرن فى أذنك صدى بعض من حواره .. وتشعر أنك اشتركت فى هذه المواقف من قبل .. أو قلت هذا الحوار ، أو تمنيت أن تقوله !

وهذا النوع من الأفلام .. قليل ونادر ..



عندما ذهب إلى بورسعيد ليستنجد بشقيقته « نبيلة السيد » فوجدها غارقة فى البضائع التى ملأت البيت .. أما زوجها « وحيد سيف » فلم يعد يهتم بشىء إلا تنمية تجارته !

كندرة الصدق فى حياتنا .. ولهذا يبدو كجوهرة أصيلة ، وسـط ركام الزيف والافتعال وهوجة ركوب الموجة .

وفيلم « سواق الأتوبيس » جوهـرة حقيقية فى السينما المصرية عام ٨٣ .. ورغم أنه لم يعرض حتى الآن للجمهور العريض فى مصر .. الا أن سمعته الفنية سبقته .. وتخاطفته العروض الخاصة ، تزهو به ، وتستعيد رؤيته أكثر من مرة .. حتى أنه فى خلال الشهور القليلة الماضية عرض أكثر من خمس عشرة مرة ، لعل أهمها ليالى الاسكندرية السينمائية .. ومهرجان القاهرة السينمائى .. وأسبوع افلام نور الشريف فى مدينة بنها .. ثم عرضه مهرجان جمعية الفيلم فى ختام أيامه .

واشتركت مصر بهذا الفيلم فى ثلاث مهرجانات سينمائية دولية .. مهرجان قرطاج السينمائى ، حيث حصل الفيلم على جائزة العمل الأولى لمخـرجه « عاطف الطيب » .. ثم عرض الفيلم فى المسابقة الرسمية لمهرجان نيودلهى السينمائى ، وحصل الفنان نور الشريف على جائزة الطاووس الفضى كاحسن ممثل عن دوره فى هذا الفيلم .. وجاءت هذه الجائزة الكبرى تكريماً لفنان مصرى استطاع أن يحقق أعلى مستوى فى الأداء .. واستحق أن يأخذ مكانه على القمة بين نجوم التمثيل فى العالم ..

ثم عرض الفيلم بعد ذلك فى مهرجان « مانيلا » السينمائى بالفلبين ـ خـارج المسابقة الرسمية ـ تحوطه موجة ملحوظة من اهتمام نقاد السينما ومراقبيها .

سينما النقد الاجتماعى

وقد شاهدت هذا الفيلم ، ثلاث مرات .. متعمداً أن أختبر مشاعرى ، وصدق حكمى ، بعد انفعال المشاهدة الأولى .. ولكن اكتشفت أنه كلما شاهدت الفيلم ، كلما أحببته أكثر ، وارتبطت به أعمـق .. واكتشفت ما هو أغرب .. إنه فى كل مرة تخنقنى الدموع ، وتطفو على وجهى .. لم يكن نوعاً من التأثر الوقتى .. بل كان حزناً يملأ القلب .. وكان الفيلم يضغط علينا لنشعر بفداحة ما جرى لنا ، سواء أكنا ننتبه له ، أو تعودنا عليه حتى كاد أن يصبح جزءاً من نسيج حياتنا . !

ففيلم « سواق الاتوبيس » يلقى نظرة متأملة محللة لما حدث فى العلاقات العائلية داخل بعض الأسر المصرية .. بعد أن أصبحت «النقود» و «المصالح الشخصية» هى المحرك الأول للعواطف .. وللقرارات الأخلاقية .. فانهارت قيم أصيلة ، وسادت قيم مادية ، غريبة تماماً عن المجتمع المصرى .. ولكنها جاءت نتيجة السياسـات الخاطئة التى صاحبت «الانفتاح الاقتصادى» .

وقد تناولت السـينما المصريـة ،

سينما

فيام الجوائز والمهرجانات

"سواق الأتوبيس"

والحرب الخامسة لجيل لم يستمتع بحياته!

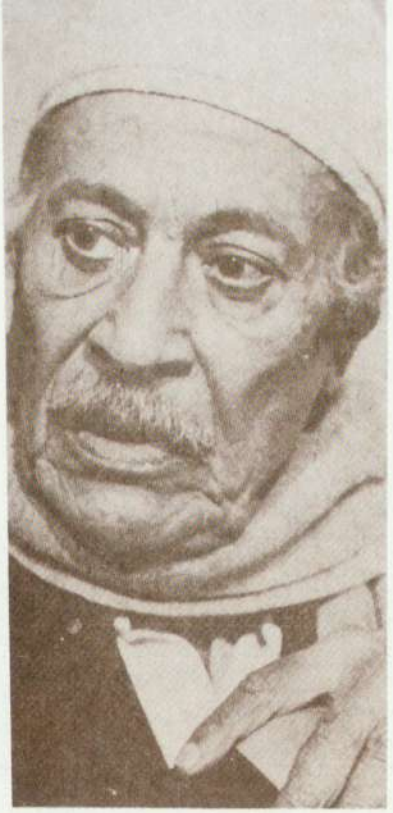
الانعكاسات الاجتماعية التى حدثت نتيجة فتح الأبواب بلا ضوابط لما سمي بالانفتاح الاقتصادى .. وظهرت أفلام عديدة على مستوى فنى جيد ، ولا تنقصها الجراة ، لرصد ونقد ما حدث ..

من هذه الأفلام نذكر : «انتبهوا أيها السادة» للمخرج محمد عبد العزيز .. «.. ولايزال التحقيق مستمراً» لأشرف فهمى .. ورائعة المخرج علي بدرخان «أهل القمة» .. وعودة المخرج علي عبد الخالق للصفوف الأولى المؤثرة وفيلم «الحب وحده لا يكفى» .. ومحاولة المخرج محمد راضى لاستعراض نماذج الانهيارات الاجتماعية فى فيلم «أمهات فى المنفى» (راجع مقال السينما فى عدد ديسمبر ٨١ من الدوحة) .. ثم عاود المخرج علي عبد الخالق تالقه الفنى فى فيلم «العار» من خلال قضية اختلال القيم ومحاولات التبرير الخادعة للاحتفاظ بالمستوى الاقتصادى المرتفع مهما كان أصله !

ثم يأتى فيلم «سواق الاتوبيس» ليقول كلمته فيما حدث بنظرة واعية .. وبكثير من الصدق والجراة .. يدعونا لأن نفتش داخلنا ، ونضع أصابعنا على الميكروب الخبيث الذى تسلل الينا وكاد يفتك بنا ..

ما بين البداية والنهاية

يفتتح فيلم «سواق الاتوبيس» بحادثة نشل داخل أحد أتوبيسات القاهرة .. وينتهى الفيلم أيضاً بحادثة نشل داخل نفس الأتوبيس .. السائق هو نفسه لم



الاب « عماد حمدى » اثناء محنتـــه أمـــام لذين تخلوا عنـــه فى وقت الشـــدة !

يتغير .. ولكنه كما رأيناه فى أول الفيلم يهم بمطاردة النشال ومعاقبته وعندما يكتشف أن النشال أسرع منه في الحركة والاختفاء .. يتراجع عن مطاردته ويعود الى مقعده مستسلماً ليقود الأتوبيس وكان شيئاً عادياً قد حدث ..

بينما فى نهاية الفيلم .. يتغير موقفه .. يصبح أكثر جراة وضراوة .. يقفز من مقعده ليطارد النشال ، ويحاول النشال أن يرعبه بمطواة حادة يشهرها فى وجهه .. ولكن السائق يلعن كل حواجز الخوف .. ويقتحم الخطر .. وبكل الالم والمرارة والغيظ الذى يعتمل فى داخله ، ينهال على النشال .. لكماً وصفعاً .. وهو يلعنه فى صيحة غضب «يا أولاد الكلب .. يا أولاد الكلب» ..

وينتهى الفيلم بهذه اللعنات وهى تدوى ..

ما الذى تغير فى شخصية هذا الشاب سائق الأتوبيس ؟ .

إن فعل النشل واحد ، فى بداية الفيلم ونهايته .. وأيضاً ألم الضحية واحد ، فى بداية الفيلم ونهايته .. ولكن سائق الأتوبيس لم يعد كما كان ..

كان مراقباً للأمور ، بوعي ، وفهم .. ولكن كانت تنقصه القدرة على الفعل ، ليس خوفاً من المواجهة .. وإنما لاحساسه أنه يغير شيئاً من الواقع ..

وفى نهاية الفيلم .. نرى هذا الشاب سائق الأتوبيس .. يتخلى عن حذره وتردده .. ويدخل المواجهة .. ليس النشال فى حد ذاته هو المقصود .. ولكن كل هذه القوى الفاسدة التى خلخلت القيم الأصيلة ! .

فهذا النشال هو رمز للذين سرقوا الحياة .. وأجهضوا الأحلام .. وحولوا الأيام الى عملية حسابية ، أرباح وخسائر ، أرصدة ومصالح خاصة ، سمسرة ومضاربات .. وعلاقات تقوم على النقود .. وتوارى الحب والحنان .. وتحولت الروابط الأسرية الى هياكل من الورق ! .

هل انتهت المعارك ؟

سائق الأتوبيس (نور الشريف) شاب انضجته أربعة حروب خاضها .. فقد اشترك فى حرب اليمن .. وحرب ٦٧ .. ثم حرب الاستنزاف ثم حرب ٧٣ .. شاب مصرى عاش أجمل سنوات عمره بين البارود والنار .. يواجه الخطر فى كل لحظة .. ومع اشراقة الشمس كل صباح كان لا يدرى هل سيأتى عليه الليل حياً أم يكون شهيداً .. أيام لا يعرف طعمها إلا من عاشها : (قعدت ثلاث سنين راقد فى خندق أيام حرب الاستنزاف .. وعديت مع اللي عدوا فى ٧٣ .. قابلت كثير .. وعاشرت كثير .. ولكن عمرى ما حا أنسى زميلنا صادق اللي مات فى ٧٣ .. عدى معانا .. رقصنا .. فرحنا كلنا .. وما كنش يعرف انه حيموت بعد لحظات .. مات قدامنا وبين أيدينا) .

هذا الشاب بكل تجربته العظيمة ، وبكل مشاعره النبيلة .. يعود الى أهله وبيته .. ليخوض معركة جديدة ليتزوج من الفتاة التى أحبها وأحبته (ميرفت أمين) ويتحمل بكل الصبر أهانات أم زوجته (زهرة العلا) وتنديدها المستمر بأن ابنتها ارتضت أن تتزوج سائق أتوبيس ..

ولكن الحب بينهما لم يسمح بهذه الاعتراضات أن تهدد حياتهما .. وانجب منها طفلا جميلا .. وباعت مصوغاتها لتشترى له سيارة تاكسى ليعمل عليها فى وقت فراغه ، ويسدد أقساطها من عائدها ..

ولكن هل انتهت المعارك ؟ لا .. فهناك أشرس معركة قدر عليه أن يخوضها .. معركة داخل أسرته بين أخوته البنات وأزواجهن وقد تفرق كل منهم فى عالمه الخاص بينما والده يعانى أزمة مالية خطيرة وقد سقط مريضاً من هول الصدمة .. فقد فوجىء الأب بأن هناك ضرائب متأخرة عليه وصلت الى عشرين ألف جنيه .. إما أن يسددها فوراً أو تباع ـ فى المزاد العلنى ـ ورشة الأخشاب التى يملكها ويعيش فيها ولها .. فقد بنى هذه الورشة طوبة طوبة .. وصنع آلاتها بنفسه .. واتسعت بمجهوده واصراره حتى أصبحت من الورش ذات السمعة الطيبة فى السوق





لقطتان .. الأولى لسائق الاتوبيس البسيط الشريف مع زوجته التى باعت مصوغاتها لتشترى له تاكسى .. واللقطة الأخرى لسائق الأتوبيس مع والده يواجهان الأزمة التى تهدد حياتهما !



عندما تغيرت شخصية الشاب « سائق الأتوبيس » وانهال على النشال لكما وصفعا !

.. فهل بعد هذا العمر كله يضيع كل شىء فى لحظة ؟!

انها معركة جديدة عليه أن يخوضها لصالح والده .. بحثاً عن الحق الضائع ..

لقاء الذكريات

ومن هذه المعركة .. يبدأ الفيلم أحداثه الحقيقية ..

فالفيلم لا يخوض فى تفاصيل الحروب التى خاضها سائق الأتوبيس من أيام حرب اليمن الى حرب ٧٣ .. وإنما يوجزها المخرج عاطف الطيب فى مشهد بالغ الرقة والشفافية .. عندما يتجمع رفاق السلاح فى نزهة خلوية عند سفح الأهرام فى ليلة قمرية .. وصدى أغنية قديمة لعبد الحليم حافظ تتردد من مذياع السيارة التاكسى .. وتدريجياً تتلاشى الأغنية .. ليبدأ توزيع موسيقى جديد لنشيد «بلادى بلادى» فى ايقاع حزين .. ومجموعة الأصدقاء يتذكرون أيام الحروب .. وقد صورتهم كاميرا الفنان «سعيد شيمى» ورمال سفح الهرم تحيط بهم .. والهرم ببنائه الفخم المعجز يطل عليهم .. وهم متناثرون فى حلقة دائرية .. وكأنهم جزء من تاريخ مصر الطويل ..

جيل من الشباب أعطى وضحى .. وعاش لحظات البطولة والانكسار .. وتفرق منهم من تفرق .. بالموت أو الغربة عن الوطن .. أو الغربة داخل مجتمع لا يعرفون ما الذى جرى له ؟!

انه مشهد من أهم مشاهد الفيلم .. وأكثرها تعبيراً عن فن المخرج «عاطف الطيب» .

والمشهد يقطر بالحزن والشجن .

الحزن يغلف الرحلة

وهذا الحزن النبيل يطرز الفيلم من بدايته الى نهايته .. فنحن منذ البداية ورغم التوزيع الموسيقى الجديد للحن سيد درويش «طلعت يا محلا نورها» على رحلة أتوبيس داخل شوارع القاهرة المزدحمة .. إلا أننا نشعر بأن شيئاً ما سينكسر ! .

ومع الايقاع المتدفق بالحيوية ، والذى يتشكل من عشرات من التفاصيل الانسانية الصغيرة والتى تعبر عن الحياة اليومية المصرية .. يأخذنا الفيلم الى رحلة هذا الشاب سائق الأتوبيس ليحصل لوالده على حقه الضائع .. وليعيد اليه حياته وعافيته مع دوران آلات الورشة التى صنعها .

والرحلة مريرة .. ساخرة .. تعرى الوجوه القبيحة التى أعمتها النقود حتى لم تعد تدرى موضع قدميها .. والى أى جذور تنتمى ..

فالأخوة البنات .. كل منهن أغلقت باب بيتها على نفسها .. وعاشت عالمها الخاص مع زوجها وأولادها .. ولا يستطعن تقديم المساعدة لوالدهن فى أزمته الحادة ، سوى



الزوجة « ميرفت امين » عاشت قصة وفاء مع زوجها ، ولكنها بدأت تعطى اذنيها للآخرين .

سينما

فيام الجوائز والمهرجانات

"سوّاق الأتوبيس"

والحرب الخامسة لجيل لم يستقتح بحياته!

ترديد الكلمات الطيبة والدعوات .. وكأن كلمات المجاملة ستحل المشكلة .. ولكن هذا لا يهمهن فى الحقيقة .. بقدر ما يسعين الى ازاحة المشكلة خارج أبواب بيوتهن ..

أما الأزواج .. فكل منهم شق طريقه فى التجارة .. أحدهما استولى على ايراد ورشة الأخشاب ووظفها لحسابه الخاص .. والثانى وجد طريقه فى أسواق بورسعيد حيث يتاجر فى كل شىء .. ولا يهتم بأى شىء سوى أرباحه .. والثالث استقر فى دمياط تاجراً للأثاث .. ولا يكاد يتعرف على شقيق زوجته .. فالصلات مقطوعة منذ زمن طويل .. وهو مشغول بتنمية ثروته .. ويماطل ويتلون عندما يدرك المهمة التى جاء من أجلها شقيق زوجته .. فاذا كان الوالد مريضا فالف سلامة وتمنيات بالشفاء ..

واذا كانت الورشة محجوز عليها للضرائب .. فهو مستعد لشرائها وهدمها لتحويلها الى عمارة .. أما ما عدا هذا فليس عنده وقت للمناقشة ..

وكما يبرع سيناريو «بشير الديك» فى رسم الشخصيات .. فهو أيضاً يضع على لسانها عبارات الحوار المعبرة والمركزة والتى تنم عن فهم كامل لأسلوب هذا النوع من التجار .. فالعمل اليومى يبدأ وينتهى بالنقود .. ولكن لا مانع من بعض الطقوس كستار لاستكمال الشكل الخارجى !

ممثلون فى أدوار جديدة

ويتوقف المخرج «عاطف الطيب» ليلخص هذه المواقف والنماذج داخل صورة سينمائية خالصة .. فكل لقطة تضيف معلومة جديدة .. وترسم أبعاد الشخصيات من خلال أسلوب الأداء وطريقة النطق بالكلمات ..

ورحلة الشاب لانقاذ والده .. تزداد مرارة وحزناً .. حتى زوجته التى عاش معها قصة حب رائعة .. تنتهى القصة بمأساة .. فالزوجة ترضخ لكلمات أمها واحد أقاربها ، للخلاص بنفسها من هذه الحياة التى تعيشها مع سائق الأتوبيس .. ويأتى مشهد الانفصال رائعاً حزيناً ينعى كل هذا الحب الذى كان .. والأحلام التى ستكون ..

وقد اختار المخرج «عاطف الطيب» مجموعة من الممثلين بعناية واضحة .. ووضعها فى اطار الفيلم لتخدم الموضوع بكل تفاصيله الصغيرة .

ولهذا رأينا فنانين لا يمثلون أدواراً .. بل يعيشون حياة كاملة .

على القمة يأتى نور الشريف الذى أعطى خلاصة تجربته الفنية فى شخصية تعبر عن جيل من الشباب يحارب أكثر من معركة من أجل الحق والعدل ..

وانعكس على وجه نور الشريف كل عذابات تفاصيل معركته لانقاذ والده .. فالعينان تخبئان كلاماً كثيراً لا تقوى الشفتان على البوح به .. ولكن كل الكلمات تصلنا .. ونرددها معه ..

ميرفت أمين .. عادت الى الشاشة أكثر نضجاً .. عماد حمدى فى دور الأب أعظم تتويج لهذا الفنان العظيم وهو ينهى الآن حياته الفنية .. فى هذا الفيلم لم يكن أباً عادياً .. ترتعش الكلمات على شفتيه من الحزن والصدمة .. ولكن كان أباً يعبر عن

معنى جحود الأبناء ، وضياع العمر ..

حتى الممثل الهزلى «وحيد سيف» تخلى عن لزماته المتكررة وخضع للدور الذى يمثله .. تاجر من بورسعيد .. بكل ما توحى هذه الكلمة من فهلوة وثراء سريع بلا أساس ..

ولعب «علي الغندور» و «حسن حسنى» و «محمد شوقى» أهم أدوارهم السينمائية حتى الآن ..

وقدم الفيلم على نفس المستوى من الاهتمام أدوار الممثلين الشبان : «صفاء السبع» ـ «شعبان حسين» ـ «سمير وحيد» ـ «محمد كامل» .

وكذلك قدمت «نبيلة السيد» مزيجاً من خفة الدم ، وسلبية الزوجة التى تخاف على مشاعر زوجها .. وهى نفس السلبية التى يؤكدها الفيلم من خلال شخصية زوجة تاجر دمياط «علية عبد المنعم» .. وايضا شخصية الأم «عزيزة حلمي» .

إن المرأة هنا .. هى المرأة المغلوب على أمرها !

كيف كتبوا الفيلم ؟

وإذا كان فيلم «سواق الأتوبيس» يعتبر شهادة ميلاد فنية للمخرج الشاب «عاطف الطيب» .. فان الفيلم يؤكد من جديد براعة المصور «سعيد شيمى» أحد الشبان الموهوبين الذين يصنعون السينما المصرية الآن بحب وفهم وجمال ..

ويؤكد الفيلم أيضا على هذا الاحساس المتوهج فى المونتاج للفنانة نادية شكرى .. والتى حافظت على ايقاع الفيلم ساخنا ، ومريحا ..

وكشف الفيلم عن موهبة الموسيقار «كمال بكير» الذى طوع الألحان القديمة المتداولة ، ليصنع منها موسيقى لها مذاق خاص كانت من أهم دعائم نجاح الفيلم ..

إنه فيلم صنعه حب الذين تعاونوا فيه .. وإيمانهم بالرسالة التى يريدون ابلاغها للجمهور ..

وقصة الفيلم كتبها المخرج «محمد خان» والذى يعتبر من أهم علامات السينما الجديدة في مصر .. شاب موهوب يبحث ويقرأ ويفكر ويتعلم دائما .. وهو صديق شخصى لكتب السيناريو «بشير الديك» وللمخرج الشاب «عاطف الطيب» .. وفى كل لقاءاتهم تشغلهم مسألة تقديم شخصيات ومواقف غير تقليدية . والتى استهلكتها السينما المصرية على طول تاريخها .. انهم يؤمنون أن المجتمع بكل أحداثه اليومية يصلح لصنع سينما مختلفة ، لها طابع



للمخرج : عاطف الطيب

مصرى متميز ، وتستطيع أن تغزو العالم ..

وقصة فيلم «سواق الأتوبيس» ولدت فى احدى لقاءاتهم هذه .. وأعيد كتابة السيناريو أكثر من مرة حتى وصل الى الصورة التى ظهر بها الفيلم ..

جيل لم يستمتع بحياته

والمخرج عاطف الطيب عمره الآن ٣٥ عاما .. تخرج من معهد السينما بالقاهرة عام ١٩٧٠ .. وقضى خمس سنوات فى الجيش .. وهذه الفترة شكلت جزءاً من شخصيته والتى انعكست فى رؤيته لبطل فيلم «سواق الأتوبيس» .. يقول لي عاطف الطيب :

ـ نحن من جيل لم نستمتع بحياتنا .. تخرجنا .. دخلنا الجيش .. خرجنا الى المجتمع لنفاجأ بقضايا الفساد .. وجشع التعامل بالنقود .

وعاطف الطيب .. تمتد جذور عائلته فى صعيد مصر .. والده انسان بسيط عاش أزمات كثيرة ولم يعرف راحة البال إلا قليلا .. يقول «من حكايات أبى .. عرفت الكثير عن صعيد مصر .. كنت أشعر من كلماته .. أنهم أناس من معدن جيد ولكن لم يأخذوا حقهم فى الحياة» .

كان أول فيلم قدمه «عاطف الطيب» .. فيلم تسجيلى قصير عام ٧٦ بعنوان «مقايضة» يحكي فيه رحلة فلاح بسيط يعمل طوال العام فى حقله .. ثم عندما يبيع المحصول .. يذهب الى المدينة ليشترى راديو ترانزستور .. لينقل له الراديو اعلانات البرفانات والشامبو !!

أول فيلم طويل اخرجه عاطف الطيب كان عام ٨١ .. والفيلم بعنوان « الغيرة القاتلة » ـ أول عرض له فى القاهرة كان فى مارس ٨٣ (!!) ـ قام عاطف الطيب بانتاج هذا الفيلم لحسابه حتى يجد مكانا له على الشاشة .. » ولا انكر فضل نور الشريف فى مساعدتى لانتاج هذا الفيلم .. ولكن عندما عرض الفيلم فى عروض خاصة .. كتب بعض النقاد يهاجمون الفيلم .. يومها بكيت بدموع غزيرة .. وشعرت اننى لن اقدم شيئا ناجحا على الشاشة .. واننى ابتعد عن حلمى بمسافات طويلة .. السينما هى هوايتى وحياتى .. فكيف أخرج من هذا المأزق .. ظللت فترة طويلة مترددا .. خائفا .. وحتى بعد ان انتهيت من فيلم « سواق الأتوبيس » لم اكن متأكدا من نجاحه .. وتصورت ان هذا الفيلم لو فشل .. فلن أعمل مرة أخرى فى السينما » .

البحث عن سينما خاصة

ونجح الفيلم .. ولكن مازال « عاطف الطيب » يمر بلحظات التردد والخوف .. يقول لى .. انه بعد نجاح الفيلم .. انهالت عليه عروض العمل فى افلام أخرى .. وصل عدد السيناريوهات التى قدمت له حوالى ٢٥ سيناريو .. ولكنه رفضها كلها .. لأنه ـ على حد تعبيره ـ لا يريد أن يفقد نفسه بعد المستوى الذى وصل إليه .. وأخيراً بدأ يفكر مع كاتب السيناريو « بشير الديك » فى موضوعين لفيلمين .. ربما لعبت أحدهما الممثلة الكبيرة فاتن حمامة التى أبدت اعجابها الشديد بفيلم « سواق الأتوبيس » وطلبت رؤية هذا المخرج الذى صنع فيلما بهذا الجمال والقوة .

ما الذى يحلم به مخرج شاب لاقى كل هذا النجاح ؟

يجيب عاطف الطيب على سؤالى :

« اهم قضية بالنسبة لى ان احافظ على نفسى .. وان أكون صادقا دائما ولا انحنى لاغراءات السوق .. اننى اتمنى ان اكون فردا وسط مجموعة من السينمائيين تهدف الى خلق سينما خاصة متطورة .. لها روح وطعم مصرى .. وتلعب دورا هاما فى اثارة الفكر والحيوية عند المتفرج » .

● ●

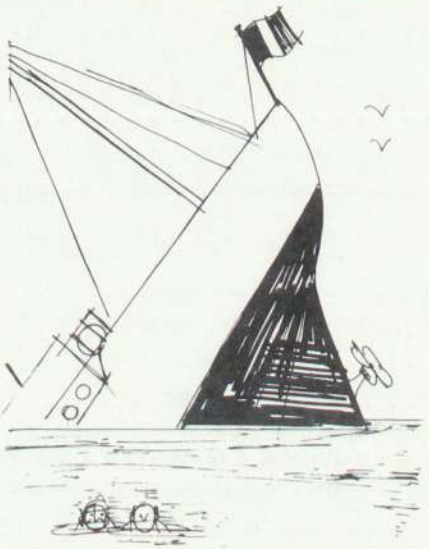
ان فنانا له هذا المنطق .. وهذا الهدف .. لا يسعنا الا ان نقف بجواره ونشجعه ونحميه حتى يحقق لنا هذا الحلم .

« رءوف توفيق »



ضحكات الشهر

صلاح الليثي



ـــ .. تشترى ساعة ووتر بروف .. ؟ ؟

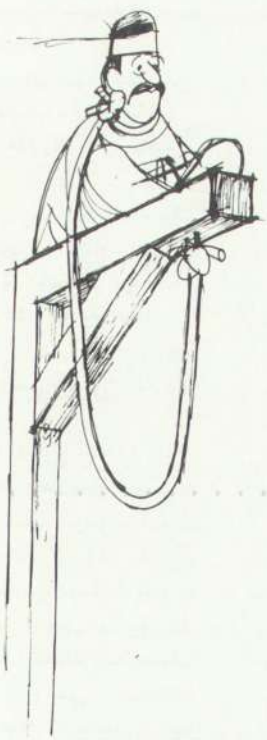


بدون كلام .. ! !



(مزيكه)

ـــ .. وانت « عازف » ... ولا متجوز .. ! !



بدون كلام .. ! !

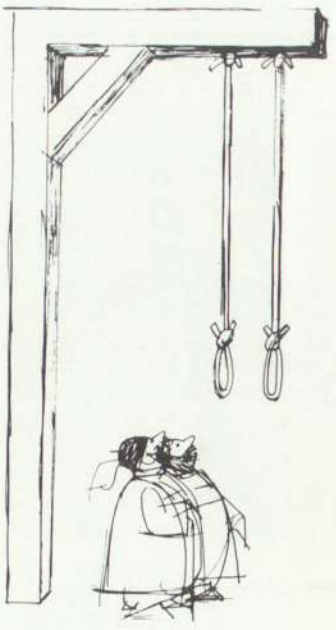


بدون كلام .. ! !

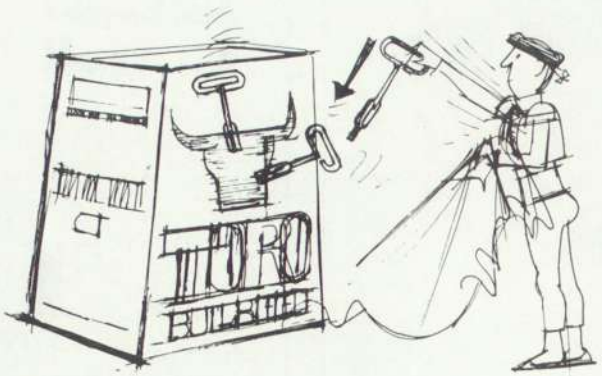


(مشكلة المواصلات فى المدن)

مارى انطوانيت ـ .. وليه الشعب مايركبش طيارات ؟؟



ـــ ... مشنقه بروحين .. ! !



بدون كلام .. ! !



دوحة القراء

حاول أن تعرف



صورة (١) سوق لعرض أنواع «الجبن» فى دولة أوربية .. يقام هذا السوق فى صباح كل يوم جمعة من شهر مايو الى شهر أكتوبر .. وهذا السوق يحظى بشهرة عالمية ويعتبرونه من ضمن المعالم التى تميز هذه الدولة .. هل يمكنك التعرف على اسم الدولة ؟ .



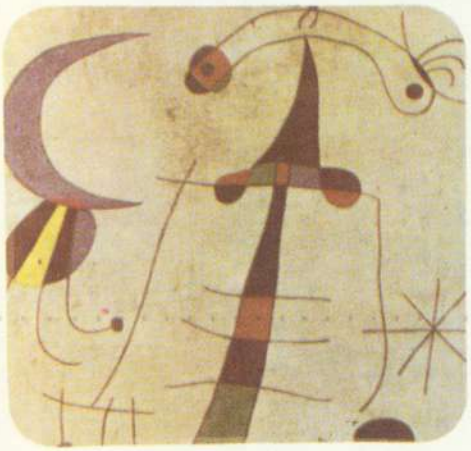
صورة (٢) إنه أحد كبار الشعراء فى العصر العباسى .. ولد فى محلة كندة فى الكوفة ودرس بها ، واتجه الى البادية بين العراق والشام ، وأتقن اللغة العربية ، واحترف نظم الشعر ، واتصل بسيف الدولة الحمدانى وصار شاعره وصديقه وقتل هو وابنه محمد وبعض رفاقه فى عام ٩٦٥ هـ .. هل يمكنك التعرف على هذا الشاعر ؟ .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٧



الصورة الأولى : قاسم أمين

الفائز : زهير مصطفى / المغرب
الفائز : رجاء سليم عدي / الامارات



الصورة الثانية : جوان ميرو (ولد سنة ١٨٩٣) .

الفائز : عبد العاطي الطحاوى / مصر
الفائز : ابراهيم خليل محمد خليل / مصر

؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

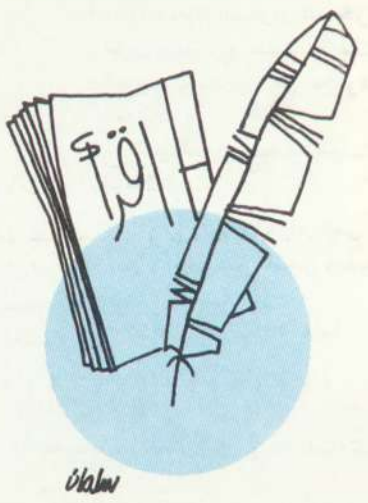
رَجَع بِخُفَّي حُنَيْن

قيل كان حنين اسكافياً من أهل الحيرة . ساومه اعرابى بخفين فلم يشتر منه شيئاً فغاظه ذلك . فخرج فعلق أحد الخفين على شجرة فى طريقه وتقدم قليلا وطرح الأخرى وكمن .

وجاء الاعرابى فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال .. ما أشبهه بخف حنين لو كان معه الآخر لتكلفت أخذه . وتقدم .. فرأى الخف الآخر مطروحاً فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الخف الأول . فخرج حنين من الكمين فأخذ بعيره ورجع الاعرابى الى حيه بخفى حنين . وصارت مثلا .

محمد أحمد حجاج ـ مصر

أحلى الكلام



● إن حب الاستطلاع فى العقول العظيمة السخية هو أول وآخر حب .
«صمويل جونسون»

● النزاع الطويل يعنى أن كلا الطرفين على خطأ . «فولتير»

● إن مأساة الحرب .. هى أنها تستخدم أفضل ما فى الانسان لاحداث أسوأ ما يصيب الانسان .
«هاري ايمرسون»

● تستغرق مناقشة المسائل التافهة وقتاً طويلا لأن بعضنا يعرف عنها أكثر مما يعرف عن المسائل الهامة ! «جوته»

محمد الحسن سالم ـ ج . م . ع

لقطة الشهر



صداقة غير مأمونة العواقب !

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : طارق أحمد علي ـ القاهرة

وقالوا..

● قيل للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .. أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . قال : هو أكبر منى وأنا ولدت قبله .

● نظر زاهد الى فاكهة فى السوق فلما لم يجد معه شيئاً يبتاعها به قال .. يا فاكهة موعدى وإياك الجنة .

● قال شبيب بن شبيبه .. اطلب الأدب فانه دليل على المروءة ، وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة ، وصلة فى المجلس .

● قال الجاحظ .. سمعت بعض العلماء يقول ، طبقات الشعراء ثلاث .. شاعر ، شويعر ، وشعرور .

عبد الكريم محمد العبيدى ـ العراق

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

● الملك الأوروبى الذى هزمه طارق بن زياد اسمه المعرب من خمسة أحرف :

٢ ـ ١ مهانة وسوء حال .

٥ فعل أمر .

٣ ـ ٤ امتلاء بالماء .

أين ؟

● المكان الذى انهزم فيه العدو أمام طارق بن زياد ، اسمه من كلمتين فى سبعة أحرف :

٧ ـ ١ ـ ٤ عشق .

٢ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٦ أقودك فى الطريق .

ما ؟

● صفة تميز بها العرب واشتهر بها لسانهم ، قبل أن تطغى العاميات الدارجة فى اقطارهم ، الكلمة من سبعة أحرف :

٥ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٧ العافية .

١ ـ ٣ ـ ٢ غاب أو اختفى تحت الأفق .

الإجابة الصحيحة

(١) ثلاثة من الأفاوية والعطور الآتية ورد ذكرها فى القرآن الكريم القيصوم ـ الزنجبيل ـ القرنفل ـ الكافور ـ المسك ـ الزعتر ـ الشيح

(٢) « يلتقط الغواصون نبات الاسفنج من قاع البحر الأبيض المتوسط » هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

(٣) معدنان من المعادن التالية يدخلان فى صناعة الألومنيوم : التورمالين ـ البوراكس ـ البوكسايت ـ الكرايولايت ـ الزيولايت .

(٤) الاسم الدارج لسمك القرش فى دولة قطر هو : الجرجور ـ الخثاق ـ النهم ـ الناشوش .

(٥) واحد من الشعراء العرب الآتية أسماؤهم كان يدين باليهودية : أمرؤ القيس ـ السموأل ـ الأخطل ـ عنترة .

(٦) انفصلت دولة بنجلاديش عن الباكستان فى سنة : ١٨٧١ ـ ١٩٠٧ ـ ١٩٧٠ .

(٧) الموطن الأصلى للجمل كما اثبتت دراسات الحفريات المستحجرة هو : امريكا الشمالية ـ آسيا ـ استراليا ـ الربع الخالى

(٨) مؤلف كتاب الخصائص فى القرن الرابع الهجرى هو : أبو الفتح عثمان بن جنى ـ ابو ذؤيب الهزلى ـ ابو المسك كافور

(٩) نبات السكران الصحراوى الذى نستخرج منه عقار الهيوسيامين من مجموعة النباتات : النجيلية ـ الباذنجانية ـ الزنبقية .

(١٠) عدد الأعوام التى مرت بين مذبحة دير ياسين ومذبحة صبرا وشاتيلا هو : ٣٤ ـ ٤٤ ـ ٥٤ عاماً .

حل مسابقة العدد ٨٧

من ؟ : روجيه جارودى .
أين ؟ : فرنسا .
ما ؟ : الصهيونية .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ بيت لحم .
٢ ـ الكوموروس ـ مدغشقر موريشسيوس .
٣ ـ الأزوت .
٤ ـ الطين .
٥ ـ نعم .. صحيحة .
٦ ـ محدبة .
٧ ـ كجلمود صخر حطه السيل من عل . لامرىء القيس فى وصف حصانه ومن بحر الطويل .
٨ ـ الأزتيك ـ الانكا ـ المايا .
٩ ـ المصرية .
١٠ ـ الأبقار .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة :
الحل : كلمة «ماركت ـ شعر البائع ـ عيونه ـ شاربه ـ شعر المرأة ـ فمها ـ حذاؤها» .
الفائز : عبد الهادى ساتى محمد / الامارات
الفائز : محمود محمد السيد ابو ركبه / مصر

٢ ـ لأقوياء الملاحظة :
الحل : طائر ـ جزرة ـ وردة ـ كرة ـ تفاحة ـ حذاء .
الفائز : سليمان سعيد حماد العيرى / عمان
الفائز : دينا عبد الحبيب سلام / اليمن الديمقراطية .

٣ ـ المثل يقول :
الحل : يا قاعدين يكفيكم شر الجايين .
الفائز : حياة علي محمد / مصر .
الفائز : أحمد سند عبد الله / مصر .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مصطفى عميره ـ الدوحة ـ قطر .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : ابو القاسم محمد ابراهيم ـ السودان .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك صدة نصف سنة القارىء : غسان توفيق غنام ـ سوريا .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ علي محمد أحمد الحسن ـ قطر
٢ ـ صلاح الدين عبد العزيز شرف ـ مصر
٣ ـ يوسف عبد الله الشبعان ـ البحرين
٤ ـ رعد حسن فخر الدين ـ لبنان
٥ ـ منى وحيد مناع ـ الكويت
٦ ـ بابكر حامد ابراهيم ـ قطر
٧ ـ خالد حسن المهدى ـ الامارات
٨ ـ أشرف مصطفى الهندى ـ مصر
٩ ـ خالد اللبابيدى ـ سوريا
١٠ ـ عبد الرحمن أبكر سليمان ـ السودان

استراحة الدوحة العدد ٨٧

٤ ـ لوحة لم تتم : الحل : يوسف وهبي .
الفائز : محمد عبد الحسين عبد علي / البحرين .
الفائز : عماد حمودة / سوريا .
٥ ـ لعبة الظلال :
الحل : رقم ٣
الفائز : الخلفانى رحال / المغرب .
الفائز : مروان محمود مصلح / قطر .
٦ ـ يخلق من الشبه أربعين :
الحل : رقم ٣
الفائز : رياض فضلون / تونس .
الفائز : تركى محمد النهار / الأردن .
٧ ـ هات أجمل تعليق :
التعليق : مين طفى النور .
الفائز : عبد المعز عوض / سوريا

قرأت المرأة وطوابع البريد

ـ صدر أول طابع بريد يحمل صورة سيدة فى العالم فى ٦ مايو عام ١٨٤٠ للملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى .

ـ أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد صدر أول طابع تذكارى فى العالم عام ١٩٠٣ م يحمل صورة « مارتا واشنطن » زوجة جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية .

ـ ومن ايطاليا صدر طابع بريد يحمل صورة سيدة تدعى «كريوبره دى سليتا» التى أحبها غاريبالدى أحد زعماء ايطاليا والتى كانت مثالا لجهاد المرأة لتحرير وطنها .

ـ واحتلت «فلورنس نايتنجيل» أحد طوابع البريد الألمانية تقديراً لجهودها فى خدمة الجنود الانجليز أثناء حرب القرم .

ـ أما عالمة الذرة «مدام كورى» فقد كانت أول امرأة يصدر لها طابع بريد فى إمارة موناكو .

ـ وأصدرت فرنسا طابعاً تذكارياً يحمل صورة الممثلة الفرنسية الشهيرة «بريجيت باردو» .

ـ وتكرر اصدار طوابع بريد تحمل صورة امرأة فى جمهورية مصر العربية .. الأول صدر عام ١٩١٤ يحمل صورة الملكة «كليوباترة» وهو من المجموعة السياحية والثانى صدر عام ١٩٤٧ بمناسبة المعرض الدولى للفنون الجميلة وكان يحمل صورة الملكة «نفرتيتى» .. كما حمل الطابع الثالث الذى صدر عام ١٩٦٠ بمناسبة الدعوة لانقاذ آثار النوبة ـ صورة الملكة «ايزيس» .

وكان الطابع البريدى المصرى الوحيد الذى حمل صورة امرأة عادية من عامة الشعب للفلاحة المصرية العريقة .



كارم بخيت شحاته ـــ مصر

جائزة نوبل .. والفائزون الأوائل

جائزة نوبل أسسها رجل الصناعة وعالم الكيمياء السويدى «ألفريد نوبل» الذى ولد فى ستوكهولم عام ١٨٣٣ م وتوفى عام ١٨٩٦ م . وقد توصل الى اختراع مادة الديناميت عام ١٨٦٦ م ولكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة حين تحول اختراعه الى وسيلة لنشر الخراب والدمار بدلا من الاستفادة به فى الأغراض السلمية . وقد دفعه هذا الى تخصيص جوائز تمنح للشخصيات والعلماء الذين يعملون لخير البشرية وتقدمها ويسعون لنشر السلام .

وقد منحت جوائز نوبل للمرة الأولى عام ١٩٠١ م فى كافة المجالات عدا المجال الاقتصادى الذى بدأ توزيعها فيه عام ١٩٦٩ م .

عبد الله سليمان الجابرى ـ سلطنة عمان

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

دووو

دوري الكاريكاتير



● اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً في مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف وما رقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا)

بالماكياج !



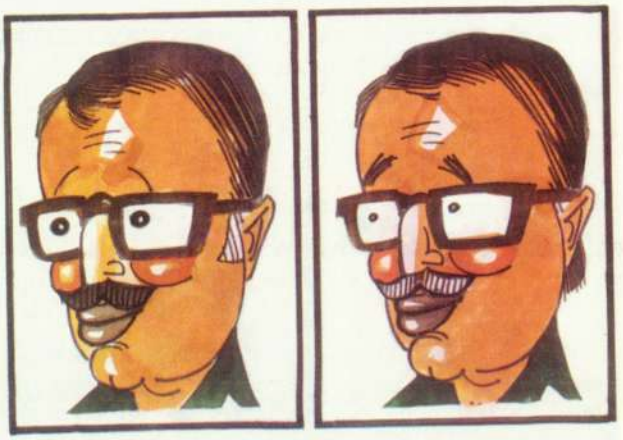
● دخل هذا الفنان غرفة الماكياج وخرج منها على هذه الصورة .. ليؤدي دوراً جديداً .. هل تستطيع ان تتعرف على هذا الفنان مع العلم بانه فنان عربي محبوب . ؟
ولك جائزة (٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط !



امامك رسوم لستة اشياء متداخلة . هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

أصل وصورة



● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تكتب تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. حاول ربما حصلت بخفة ظلك على جـــائزة (٦٠ ريالا) .

لعبـــــة الظـــــلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الستة المنشورة هذا الشهر لستة اشخاص يشبهون الفنان الراحل « عبد الحليم حافظ » الذى كانت تلقبه الجماهير بالعندليب الأسمر .. إلا انك لو دققت النظر لاكتشفت ان هناك إختلافات بسيطة موجودة فى هذه الصور فيما عدا صورة واحدة تشبهه تمام الشبه .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. حاول لتكسب (٦٠ ريالا) .

النـــورس .. والعصفـــور

بقلم: إسـماعيـل تـــامر

تقفين على الف شاطىء .. وترسمين الف درب .. ولدى رسالة واحدة ابعثها إليك تبتعد عنها الشواطىء بقدر لهفتها للوصول .. وتضيع منها الدروب بقدر شوقها للوجود وتبقى رسالتى هائمة على وجهها ، حزينة كقلبى .. جامدة كمرآة على حائط ..

ـ «بحسرة» لو كان لي حزنك هذا .. ؟!

ـ هل تحسدنى أيها العصفور ؟

ـ بل ادفعك أيها النورس .

ـ «باستخفاف» انت تدفعنى !!

ـ «باعتداد» إن الكلمة لا يضعفها أن تخرج من فم صغير .

ـ هل تعرض بي أيضاً .. إياك .. إنك لا تحتمل أكثر من خفقة بجناحى على أم رأسك .

ـ «متحاشياً» لقد دافعت عن نفسى .. فهل استحق عنفك هذا ؟

ـ اسمع انا لا أحب الجدل ، ولا أسلوب لف الكلام على بداياته

ـ يا عزيزى النورس ، إنك تنظر إلي بعدوانية شديدة لا أكاد أجد لي منفذاً من حصارها .

ـ لا يهمنى . ذلك شأنك .. يكفينى همومى واحزانى .

ـ ولماذا لا تشركنى فى همومك هذه .

ـ اشركك انت ؟!

ـ «بنرفزة عصفورية» أقول لك .. لماذا لا تغلق عينيك وأنت تستمع إلي .

ـ «ضاحكاً» مع ذلك ، سيظل صوتك صغيراً .

ـ خذ صوتى الذى بحجم كلماتى .

ـ ألا تقول لي ما الذى تريده منى بالضبط !

ـ أبداً .. هذا يتوقف عليك .

ـ ولكن كيف ؟

ـ هل تسالنى بقوة ؟

ـ بقوة تعادل حزنى .

ـ هل يهمك أن تغسل هذا الحزن ؟

ـ هل يعقل ذلك ؟

ـ بل يعاش !

ـ كيف ؟!

ـ تسمع هذه الحكاية عن النورس الذى ذهب الى الغابة ذات الأبواب السبعة .

ـ ذهب للغابة وترك البحر ؟!

ـ إن السمك لا يهرب من البحر !

ـ قل لي هذه الحكاية .

واتكأ النورس على جانحه .. بينما ذهب العصفور الصغير يحكي له عن النورس الذى ذهب الى الغابة ذات الأبواب السبعة ..

ـ يحكى أن نورساً حزيناً عاش فى فترة لا يحسبها الزمان .. ذهب للغابة ليغسل حزنه .. كل شىء كان مثيراً فى بابها الأول .. تكاد التفاصيل تخنق من يعيش هناك وكل شىء مباح فيها والمتعة لا تصدق .. !!

ـ وبعد ؟

ـ خيل للنورس الحزين ، انه لن يشبع أبداً وهو غارق هناك .. لكن الزمان لا يمل السير للامام وبدا على النورس أنه بات يشعر برتابة الأشياء .. خاصة عندما شعر أن الباب الثانى صار قريباً منه .

ـ وهل ذهب للباب الثانى .

ـ نعم !!

ـ وما الذى حدث له هناك ؟

ـ تغير كل شىء رغم أن التفاصيل الجديدة نفس التفاصيل القديمة ..ولكن بهندسة أجمل .. وعاش هناك سابحاً .. لكنه سرعان ما أحس بأن شوقه يكبر .. ولم يدر إلا وهو يقف على عتبة الباب الثالث فقد كان مفتاحه الشوق .

ـ «باستسلام» ثم ماذا ؟!

ـ تغيرت الأحوال ، وكادت التفاصيل أن تختفى .. وبدأ شىء ينمو ويكبر فى داخله يريد أن يتجاوز كل شىء .. يجمع كل التفاصيل بلون الغابة وينشرها بلون الحزن ! وعندها دخل ففى الباب الرابع .. حيث لا يجد هناك الأشياء .. بل عناوينها !!

ـ وبعد ؟

ـ ترك نفسه للطريق الذى يصل الى الخامس والسادس !!

ـ ولماذا الخامس والسادس معاً ؟

ـ لانهما بابان ولكن مفتاحهما واحد .. وهناك .. وجد لافتة ممن أوراق الغابة مكتوباً عليها : احذر .. إنك حتى هذه اللحظة لديك الخيار للرجوع .. أما إذا دخلت فيجب أن تكمل الطريق الى النهاية .

ـ الى النهاية ؟!

ـ هناك .. حيث الباب السابع !!

ـ وهل ذهب الى هناك ؟!

ـ دعنى أحكي لك أولا عن الباب السابع .. هناك .. حيث يتوحد كل شىء .. وتعيش جمعك بعد تفريقك .. هناك حيث لا أنت ومن انت وكيف أنت .. هناك حيث لو بقي لديك شىء من ارادتك أو ذاكرتك لوجب عليك أن تقفز من نافذة الباب السابع الى عمق الغابة حيث تحترق الى الأبد !

ولحظتها .. نظر النورس الى حزنه الذى بلون جناحيه وهمس لقلبه المذعور أن يخفق بعيداً عن العصفور .. وعند ذاك ناداه العصفور قائلا :

ـ ألا تريد أن تذهب الى الغابة ذات الأبواب السبعة ؟؟!

ـ لا أريد أن أرجع للبحر .

ـ وحزنك الذى تريد أن تغسله ؟

ـ إننى لا أثق بحكاية عصفور !!

ـ ألم أقل لك أن تغمض عينيك .. وأنت تستمع لصوتى .

ـ أفضل ذلك .. عندما اصطاد سمكة جاءت تبحث عنى !!!

ـ إن السمك لن يهرب من البحر .

ـ سيهرب لو صدقت الحكاية !!



إرو عَطشَكَ مَعَ

تيم



"فرسان".. للفنان القطري : محمد الجيدة